تحقيق العبودية

بمعرفة الأسماء والصفات

تأليف
فوز بنت عبد اللطيف بن كامل الكردي

دار طيبة للنشر والتوزيع

ⓗ دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كردي، فوز بنت عبد اللطيف كامل

تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات.ـ الرياض

٥٠١ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٨ ـ ٦٢ ـ ٨٠٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الأسماء والصفات ٢ ـ الألوهية أ ـ العنوان

ديوي ٢٤١ ٢١/٢٢٩٦

رقم الإيداع: ٢١/٢٢٩٦

ردمك: ٨ ـ ٦٢ ـ ٨٠٠ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ

دار طيبة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض – السويدي – ش. السويدي العام – غرب النفق

ص.ب: ٧٦١٢ – رمز بريدي: ١١٤٧٢ – ت: ٤٢٥٣٧٣٧ – فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

تحقيق العبودية

بمعرفة الأسماء والصفات


بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب

رسالة علمية تقدمت بها المؤلفة لنيل درجة العالمية (الماجستير)، في العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية التربية للبنات بجدة؛ وتكونت لجنة المناقشة من:

١- فضيلة الدكتور عبد اللطيف الشيخ توفيق الصباغ

الأستاذ المشارك بكلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز بجدة

عضواً

٢- فضيلة الدكتور عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض

عضواً

٣- فضيلة الدكتورة. زينب بنت محمد البلادي الحربي

مشرفة

الأستاذ المساعد بكلية التربية للبنات بجدة

وقد أجيزت الرسالة من اللجنة بتقدير ممتاز.



شكر وتقدير

أول الشكر وآخره ، لوليه ومستحقه ، ذي المنن الوفيرة ، والآلاء الجسيمة ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا ، سبحانه لا أحصي ثناء عليه ، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه .

ثم الشكر الجزيل والثناء العاطر لمن منحاني الكثير من وقتهما تربية وتوجيهاً ، والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، ووالدتي أطال الله عمرها في طاعته وجزاهما الله عني خير ما جزى والداً عن ولده .

ثم إلى الصرح العلمي الذي ضمنا بين رحابه ننهل فيه من معين العلم : إلى كلية التربية للبنات بجدة وعلى رأسها عميدتها الكريمة ووكيلاتها الموقرات وجميع أساتذتنا الفضلاء .وأخص بالذكر قسم الدراسات الإسلامية أساتذة وزميلات على ما قدموه من معونة ومشاركة وتفقد ودعاء .

كما أخص منهم أستاذتي الفاضلة الدكتورة زينب الحربي – المشرفة على هذه الرسالة – التي لم تأل جهداً في المتابعة والتوجيه ،

فذللت – بفضل الله – كثيراً من العقبات برغم مسؤولياتها في رئاسة القسم . وعميق شكري إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة ، الذين وافقوا على مناقشة هذه الرسالة برغم مسؤولياتهم ، فجزاهم الله عني خيراً وأجزل لهم المثوبة والعطاء .

كما أشكر إخوتي الأعزاء الذين آزروا وساعدوا ، وخالي الفاضل الشيخ عبدالعزيز مصطفى ، الذي كان لتشجيعه واقتراحاته أعظم الأثر في إتمام هذا البحث،كما أشكر زوجي الكريم الدكتور عبد الغني مليباري ،الذي كان وراء إكمال دراستي وتنمية حب البحث في ذاتي . وأبنائي الأعزاء عمار وأسماء وأمامة ومريم ونسيبه وعائشة الذين كانوا خير عون في تحملهم انشغالي عنهم بل مساهماتهم في الطباعة والإخراج.

كما أشكر كل من قدم لي معونة ، أو وجهني بتوجيه، أو اقترح لي فكرة ، أو أعارني كتاباً مسهما بذلك في إثراء هذا البحث . وأشكر جميع أخواتي في الله اللاتي ما فتئن يتفقدن مراحل تطور البحث مع الدعاء الدائم .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي شكري وتقديري ، وأسأله سبحانه أن يجزي الجميع عني خير الجزاء ويرزقني وإياهم مراتب الصديقين والشهداء .

❁ ❁ ❁

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، السيد الصمد ، المتفرد بالجلال والكمال على التفصيل والإجمال . أحمده سبحانه ، وأثني عليه الخير كله .

وأصلي وأسلم على الهادي الأمين ، أعرف الخلق بربه ، وأكثرهم خشية له ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فإن البحث المتعلق بأسماء الله وصفاته لمن أهم مباحث الاعتقاد ، إذ بمعرفتها يُتوصل للمعرفة الحقة بالله تعالى ، التي هي أعظم مايرجوه العبد من المقاصد والمطالب في العلم والعبادة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١) : (من كان في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم ، أو نهمة

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية ، شيخ الإسلام ، آية في التفسير والأصول والفقه ، محدث زاهد ، أتقن العربية أصولا وفروعاً ونظر في العقليات ، وعرف أقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، أفتى ودرس وهو دون العشرين ، له تصانيف كثيرة =

للعبادة ؛ يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه – يعني أسماء الله وصفاته – ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده ، وأعظم مطالبه)[١] وقال : (وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر)[٢] .

وكذا فإن الاشتغال بالأسماء والصفات علما وعملا هو الاشتغال بتحقيق غاية الوجود ، قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقال : ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، فهي أصل تحقيق العبودية ، والغفلة عنها غفلة عن هذه الغاية العظيمة . ومن هنا كان البحث فيها شرفاً عظيماً شجعني عليه ما شُرِّفت به من الانتماء لتخصص العقيدة .

وقد كان موضوع معرفة الأسماء والصفات والتعبد بها يشغل ذهني لسنوات طويلة، ويدفعني لمتابعة ما يكتب عنه مع محاولات متنوعة يسيرة للإسهام في هذا الباب، ثم بمجرد الانتهاء من السنة

= توفي سنة ٧٢٨هـ . انظر الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ٣٨٧) ، والدرر الكامنة لابن حجر (١ / ١٥٤) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ١٤٤) ، والأعلام للزركلي (١ / ١٤٤) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ٨) .

(٢) المرجع السابق .

التمهيدية من مرحلة الماجستير رأيت أن أختار هذا الموضوع لهذه الرسالة العلمية وجعلت عنوانه : " تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات" .

وتتلخص أسباب اختياره فيما يلي :

أسباب اختيار الموضوع

١- أن ما كتب في هذا الموضوع على وفرته متناثر في كتب القدماء والمحدثين مختلط بمباحث الرد على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة ، ولم يفرد – على حد علمي – ببحث مستقل ؛ فكان من المهم جمع المتناثر وتنسيقه واستخلاص نتائجه وجني ثماره.

٢- الاستجابة للتوصيات العلمية بالكتابة في موضوعات العقيدة بما يلبي حاجة الفطر السليمة ، ويتميز بالاستقاء المباشر من ينابيع الكتاب والسنة ، دون التأثر بعبارات المتكلمين وإشارات المتصوفين[١] .

---

(١) انظر على سبيل المثال تقريظ المناقشين لرسالة "عبودية الكائنات لرب العالمين" للتوني ، وكذا خاتمة الرسالة .

٣- انتشار كتابات المخالفين لأهل السنة في باب شروح الأسماء والصفات والتعبد بها . فكان من الواجب الإسهام في إبراز المعتقد الحق في هذا الباب .

٤- الإسهام في تقديم الدواء القرآني للضعف الإيماني ، والقلق النفسي ، والاختلال السلوكي الذي يعاني منه كثير من الناس اليوم نتيجة البعد عن المعرفة الحقة بالله تعالى ، والغفلة عن التعبد بأسمائه وصفاته .

٥- التقرب إلى الله عز وجل بتعريف العباد بباب عظيم في تحقيق العبودية غفل عنه كثيرون ، قال ابن القيم : (من عرف الله أحبه على قدر معرفته به وخافه ورجاه وتوكل عليه وأناب إليه ولهج بذكره واشتاق للقائه واستحيا منه وأجله وعظمه على قدر معرفته به)[١] .

❁ ❁ ❁

(١) تهذيب مدارج السالكين ص٦١٧ .

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة :

المقدمة ، وتتضمن :

أ- أسباب اختيار البحث .

ب- خطة البحث .

ج- منهج البحث .

د- الدراسات السابقة .

فصول ثلاثة :

الفصل الأول: العبودية للّه رب العالمين وتحقيقها .

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: مفهوم العبودية .

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معنى العبودية في اللغة .

المطلب الثاني : معنى العبودية في الاصطلاح الشرعي .

المطلب الثالث : أنواع العبودية .

المبحث الثاني : تفاضل العباد في تحقيق العبودية .

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى تحقيق العبودية .

المطلب الثاني : أقسام العبودية .

المطلب الثالث: درجات العباد في تحقيق العبودية .

المطلب الرابع : أكمل العباد تحقيقا للعبودية .

المبحث الثالث : التوحيد الذي به تتحقق العبودية .

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: معنى التوحيد في اللغة .

المطلب الثاني : معنى التوحيد عند أهل السنة والجماعة .

المطلب الثالث: أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة .

المطلب الرابع : العلاقة بين أقسام التوحيد .

الفصل الثاني: معرفة الله بأسمائه وصفاته .

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: مفهوم "معرفة الأسماء والصفات" .

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: معنى المعرفة في اللغة .

المطلب الثاني: معنى "معرفة الأسماء والصفات" .

المطلب الثالث : في بيان ألفاظ دالة على معنى "معرفة الأسماء والصفات" .

المبحث الثاني : أهمية معرفة الأسماء والصفات .

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : معرفة الأسماء والصفات أصل التوحيد

المطلب الثاني : معرفة الأسماء والصفات سبب في زيادة الإيمان .

المطلب الثالث : معرفة الأسماء والصفات أشرف المعارف .

المطلب الرابع: معرفة الأسماء والصفات هي الطريق إلى معرفة الله .

المطلب الخامس: معرفة الأسماء والصفات هي الطريق إلى عبادة الله .

المبحث الثالث: تفاضل العباد في معرفة الله .

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أدلة تفاضل العباد في معرفة الله .

المطلب الثاني: أنواع معرفة الله .

المطلب الثالث: درجات العباد في معرفة الله.

المبحث الرابع : طريق معرفة أسماء الله وصفاته .

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : طرق معرفة الله .

المطلب الثاني : طريقة القرآن في التعريف بأسماء الله وصفاته.

المطلب الثالث: طريقة السنة في التعريف بأسماء الله وصفاته.

المطلب الرابع : طريقة السلف ومعتقدهم في باب الأسماء والصفات .

الفصل الثالث : أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق العبودية .

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق المحبة .

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: معنى المحبة وبيان منزلتها من العبودية .

المطلب الثاني: الأسباب الباعثة على تحقيق المحبة .

المطلب الثالث: بيان بعض الأسماء والصفات المحققة للمحبة .

المطلب الرابع: أثر المحبة في تحقيق العبودية .

المبحث الثاني: أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق الخوف .

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: معنى الخوف وبيان منزلته من العبودية .

المطلب الثاني: الأسباب الباعثة على تحقيق الخوف .

المطلب الثالث: بيان بعض الأسماء والصفات الباعثة على الخوف .

المطلب الرابع: أثر الخوف في تحقيق العبودية .

المبحث الثالث: أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق الرجاء .

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: معنى الرجاء وبيان منزلته من العبودية .

المطلب الثاني: الأسباب الباعثة على تحقيق الرجاء .

المطلب الثالث: بيان بعض الأسماء والصفات الباعثة على الرجاء .

المطلب الرابع: أثر الرجاء في تحقيق العبودية .

خاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

فهارس عامة :

فهرس الآيات الكريمة الواردة في البحث .

فهرس الأحاديث الشريفة الواردة في البحث .

فهرس الأسماء الحسنى الواردة في البحث .

فهرس الصفات العلا الواردة في البحث .

فهرس لأنواع العبادة الواردة في البحث .

بالإضافة إلى المتعارف عليه من :

فهرسة المصادر والمراجع .

فهرسة موضوعات البحث .

❁ ❁ ❁

منهجي في البحث

حرصت أن تكون الرسالة سهلة التناول للجميع في الحجم والأسلوب ، واتبعت المنهج الاستقرائي في جمع المادة التي هي محل البحث واستخلاص نتائجها وفوائدها ، والمنهج التحليلي في العرض والبيان بتركيز وإيضاح ، متبعة في ذلك الآتي :

١- عرض الموضوع وفق عقيدة أهل السنة والجماعة ، مع الإشارة للمخالفين بما يبين للقارئ موطن الزلل دون الخوض في عرض أقوالهم أو مناقشتها .

٢- بيان أهم مصطلحات البحث بذكر معانيها اللغوية اعتماداً على أشهر معاجم اللغة ، ومعانيها الاصطلاحية من مظانها التخصصية.

٣- إختيار الأسماء والصفات كان على أساس ماهو ثابت بالخبر الصادق من الكتاب أو السنة ، ونص عليه المعتمدون من أهل السنة والجماعة ، على أن يكون ارتباط معانيها ظاهراً بركائز العبودية الثلاث.

٤- الاكتفاء بذكر معاني الأسماء والصفات في حق الله تعالى ، دون الخوض في معانيها اللغوية ؛ بغية البعد عن التكرار والاستطراد.

٥- الاكتفاء عند التعليق على النصوص المنقولة بما يوضحها فقط ويبرز الشاهد منها دون استطراد ، وإن كانت تشير إلى مسألة عقدية مهمة أنبه على ذلك في الهامش ، مع إعطاء فكرة موجزة عن المسألة ، والإحالة على المراجع المتوسعة في بيانها .

٦- عزو الآيات القرآنية أو أجزائها الواردة في البحث إلى سورها، مع ذكر رقم الآية في السورة .

٧- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصيلة ، وإذا وجد الحديث عند البخاري ومسلم أو أحدهما أكتفي به ، أما إن كان في غيرهما فإنني أتتبعه في أكثر من مصدر ، وأذكر حكم العلماء عليه . وأذكر في كل الأحوال اسم الكتاب والباب مع رقم الجزء والصفحة .

٨- الترجمة للأعلام الذين ترد أسماؤهم في البحث بما يسهم في معرفة أهم سمات شخصياتهم وما اشتهروا به ، ولم أترجم للمشاهير ككبار الصحابة ، والأئمة الأربعة طلباً للاختصار .

٩- عند التوثيق في الهوامش دونت المعلومات الأساسية فقط عن المرجع فيما يتصل باسم المؤلف ، وعنوان الكتاب ورقم الجزء والصفحة.

١٠- إثبات جميع المصادر والمراجع مع بيانات النشر الكاملة في قائمة المراجع والمصادر في آخر الرسالة بعد ترتيبها على حروف المعجم

بحسب أسماء الكتب .

١١- مراعاة ترتيب حروف المعجم في تنظيم الفهارس العامة ماعدا فهرس الآيات الذي راعيت فيه ترتيب المصحف .

الدراسات السابقة

لا يوجد ـ على حد علمي ـ دراسات جامعية متخصصة في موضوع البحث ، وإن كان باب الأسماء والصفات من الأبواب التي تناولتها كثير من دراسات طلبة العلم الشرعي في تخصص العقيدة ، إلا أنها جميعها تناولته من نواحي أخرى غير موضوع تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات ، وأغلب تلك الدراسات في بيان مذهب أهل السنة والجماعة ، والرد على مذاهب المخالفين مثل :

دراسة مقدمة للجامعة الإسلامية من الباحث : سعد الشهري ، بعنوان : "الصفات الإلهية عند الفرق الإسلامية عبر العصور" .

ودراسة مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من الباحث : عبد الله بن صالح الغصن ، بعنوان :"أسماء الله الحسنى" بيّن فيها الباحث مذهب أهل السنة والجماعة مع دراسة لمناهج المؤلفين في هذا الباب .

أو في تحقيق مخطوطات ،مثل : دراسة مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من الباحث : عبد العزيز الشهوان ، بعنوان : "تحقيق كتاب التوحيد واثبات صفات الرب لابن خزيمة" .

أو تأصيل قواعدها مثل دراسة مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، من الباحث : إبراهيم البريكان ، بعنوان : "القواعد الكلية للأسماء والصفات" .

وكذا الأمر بالنسبة لموضوع العبودية ، فالدراسات التي تناولته كان محورها غير محور هذا البحث ، مثل : دراسة مقدمة لجامعة أم القرى من الباحث : فريد إسماعيل التوني ، بعنوان : "عبودية الكائنات لرب العالمين" ، تناول فيها العبودية وأنواعها ودرجاتها وشمولها لجميع الكائنات .

ودراسة مقدمة لكلية التربية للبنات بالرياض من الباحثة : عفاف بنت حسن مختار بعنوان : "العبادة أركانها وأثرها في السلوك" ، فصّلت القول في بيان العبودية وأركانها وأشارت إشارات يسيرة إلى أثر المعرفة على العبادة .

وهكذا فلم أجد -حسب ما اطلعت - رسالة علمية تركز على الربط بين معرفة الأسماء والصفات والعبودية ، فاخترته موضوعاً للدراسة والبحث .

ولا أزعم أن لي قدم سبق في هذا الموضوع ، بل أعترف بجهود الأوائل –رحمهم الله وجزاهم عنا خيراً – فقد أفرد كثير منهم الأسماء الحسنى والصفات العلا بمصنفات خاصة ، شرحوا معانيها وتعرضوا لموضوع العبودية بها بإشارات في ثنايا الشرح ، ومن أشهرها :

"تفسير الأسماء الحسنى" لإبراهيم الزجاج (ت. ٣١١هـ) .

- "شأن الدعاء" لأبي سليمان الخطابي (ت. ٣٨٨ هـ) .
- "كتاب الأسماء والصفات" لأبي بكر البيهقي (ت. ٤٥٨ هـ) .
- " المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" لأبي حامد الغزالي (ت. ٥٠٥هـ) .
- " لوامع البينات في الأسماء والصفات" لفخر الدين الرازي (ت. ٦٠٦هـ) .
- " النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" لمحمد القرطبي (ت. ٦٧١هـ) .

بينما تكلم آخرون عن العبودية بها ، والفقه فيها بتفصيل أكثر ، ولكنه متفرق في كتب كثيرة في الإيمانيات والرقائق والسلوك ، ومن ذلك ما يوجد بوفرة في :

- مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ت. ٧٢٨ هـ) مثل : "رسالة

العبودية" ، "التحفة العراقية" ، "أمراض القلوب وشفاؤها" ، "قاعدة في المحبة" وغيرها .

- مؤلفات الإمام ابن القيم (ت.٧٥١هـ) مثل: "مدارج السالكين" ، "طريق الهجرتين" ، "الجواب الكافي" ، "مفتاح دار السعادة" وغيرها .

كذلك لم يغفل العلماء وطلبة العلم الشرعي المعاصرون هذا الموضوع ، بل أدلوا فيه بدلوهم وأسهموا في بحثه ودراسته[1] ، فحققوا بعض ما كان مخطوطاً ، وبيّنوا بعض ما كان مجملا ، وزادوا على ذلك ما فتح الله به عليهم ، وفي قائمة مراجع هذا البحث عدد من مؤلفاتهم.

ومع هذه الوفرة من الكتب والمصنفات عن موضوع البحث إلا أن أهمية الموضوع للخاصة والعامة ؛ جعلت الحاجة ماسّة لدراسة تخص الأسماء والصفات والعبودية بها بالبحث ، وتعرضه عرضا إيمانياً سهلا أصيلا وفق معتقد أهل السنة والجماعة ، وتبعد عن الاستطراد في ذكر

---

(١) سواء في الدراسات العلمية الجامعية المتخصصة كالتي سبق ذكرها ، أو في الكتب المطبوعة ككتاب النهج الأسنى لمحمد الحمود النجدي ، أو المقالات المنشورة . وقد استفدت من هذه الإسهامات كثيراً في هذا البحث وأشرت لذلك في مواضعه .

أقوال الفرق المخالفة والردود عليها ، حيث أنه على هذا النحو لا يوجد - حسب ما اطلعت - كتاب أو بحث ، فرغبت أن يكون لي شرف هذه الدراسة . و ماقصدت إلا النصح لله ولرسوله ولكتابه ولخاصة المسلمين وعامتهم ، فإن أحسنت فأحسن اللهم جزائي ، وإن أسأت فأحسن عزائي ، واغفر ذنبي وتقبل جهدي . اللهم آمين .





الفصل الأول

العبودية لله رب العالمين وتحقيقها

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم العبودية .

المبحث الثاني : تفاضل العباد في تحقيق العبودية

المبحث الثالث : التوحيد الذي به تتحقق العبودية .



توطئة

فطر الله الخلق على الإقرار بربوبيته[١] ، قال تعالى : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]. وجعل عز وجل الغاية من خلق الإنس والجن تحقيق هذه العبودية وتكميلها فقال: عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فالعبودية درجة عالية ومنزلة رفيعة ، و(كلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته)[٢] ، لذا وصف الله تعالى نبيه ﷺ بالعبودية في أكمل أحواله فقال : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]، وقال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] .

وجعلها سمة وسم بها الصالحين من الخلق فقال : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. وزف لهم البشارة بقوله عز وجل : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

---

(١) سيأتي بيان هذا عند الحديث عن العبودية العامة القهرية ص ٤٨ .

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١١١ .

[الزمر: ١٧، ١٨]، وهم الذين منّ عليهم الأمن المطلق قائلا : ﴿ **يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٨]، ولم يجعل للشيطان عليهم سبيلا ؛ فقال : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢].

والعبودية هي طريق الفلاح والفوز ، قال ابن تيمية : (من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية) [١] ، إذ بها يتحقق الدين الذي أمر به الله تعالى فقال : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ** ﴿٢﴾ **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، قال ابن تيمية: (إنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه)[٢]، فبالعبودية يتم الإسلام ، ويكمل الإيمان ، ويرتقي العبد إلى مرتبة الإحسان .

ولهذا كانت الدعوة إلى العبودية دعوة الله تعالى إلى الناس جميعاً، قال عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١]، وهي التي أرسل بها الرسل جميعا ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا**

---

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (١ / ٤٣١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢١٣) .

الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال عز وجل : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ولما كانت هي أولى وظائفهم عليهم الصلاة والسلام ، فما فتئوا يرددون لأقوامهم : ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾[1] [الأعراف: ٥٩] .

وبدأوا بأنفسهم فكانوا قدوة لعباد الله في تحقيقها ، حكى لنا القرآن ما أمر به سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ : ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ** ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١] وحكت لنا سيرته العظيمة كيف كان في تحقيقها خير قدوة لأمته[2] .

وهذا الفصل يبين معنى العبودية وأنواعها وأقسامها ، وكيفية تحقيقها والارتقاء في درجاتها .

❁ ❁ ❁

---

(١) ذكرت في سورة الأعراف على لسان نوح عليه السلام في آية ٥٩ ، وعلى لسان هود عليه السلام في آية ٦٥ ، وعلى لسان صالح عليه السلام في آية ٧٣ ، وعلى لسان شعيب عليه السلام في آية ٨٥ .

(٢) انظر للفائدة مبحثاً بعنوان : " تحقق العبودية في شخصية النبي ﷺ " ، في كتاب عبودية الكائنات لرب العالمين للتوني ص١٩٦ وما بعدها .

المبحث الأول

مفهوم العبودية

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطـــلب الأول : معنى العبودية في اللغة .

المطـــلب الثاني : معنى العبودية في الاصطلاح الشرعي .

المطـــلب الثالث : أنواع العبودية .



المطلب الأول

معنى العبودية في اللغة

أصل الكلمة من الفعل (عَبَدَ) ، الذي وردت مادته (ع ب د) باشتقاقاتها للدلالة على معنى الذل والخضوع ، فأصل العبودية : الخضوع والذل ، يقال : فلان بيّنُ العُبودَة والعُبودية والعَبدِية ، وأقر بالعُبُودِية[1].

ويقال : طريق مُعَبّد ؛ إذا كان مُذللا بكثرة الوطء . والتَعبِيد : التذليل ، والعِبَادة : الطاعة مع الخضوع ، وقيل هي الخضوع للإله على وجه التعظيم[2].

---

(١) انظر أساس البلاغة للزمخشري (٢ / ٩٥) . ولسان العرب لابن منظور (٣ / ٣٦٩) .

(٢) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٣ / ٦٤٢) .

ولسان العرب لابن منظور (٣ / ٣٧٠) .

والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١ / ٣١١) .

والمعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بمصر (٢ / ٥٧٩) .

والتَعبّد : التنسّك والتذلل(١) ، يقال عَبَد الله يعبده عبادة : أي تألّه له وتنسّك وانقاد له وخضع وذل(٢) ، و(فلان عابد : هو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره)(٣). وقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي نخشع ونذل(٤)، فهي الطاعة التي يُخضع معها ، وقيل إياك نوحد(٥).

والعبد خلاف الحر ، وقيل : العبد : الإنسان ، حراً كان أو رقيقاً . وإنما خلاف الحر : العبد المملوك ؛ وهذا على اعتبار أن الإنسان مربوب لبارئه عز وجل ، مملوك مسخر مقهور(٦).

---

(١) انظر تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٢ / ٥٠٣) . ولسان العرب لابن منظور (٣ / ٣٧١) . والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١ / ٣١١).

(٢) مجمل اللغة لابن فارس (٣ / ٦٤٢) . و أساس البلاغة للزمخشري (٢ / ٩٥) .

(٣) لسان العرب لابن منظور (٣ / ٣٧٢) . تاج العروس للزبيدي (٢/ ٤٠٩) .

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١ / ٦٩) .

(٥) انظر تاج العروس للزبيدي (٢ / ٤١٠) .

(٦) انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي (١ / ٣١١) . و تاج العروس للزبيدي (٢ / ٤٠٩).

وجمع عبد : عَبيد وعِباد ، وقيل : جمع العبد الذي هو مُسترَق سواء كان رِق العبودية العامة لله تعالى أو رقه لسيده من البشر : عبيد، وجمع العبد الذي هو طائع منقاد عابد لله تعالى : عباد .

فـ (العبيد إذا أضيف إلى الله أعم من العباد)[١] . ولهذا قال عز وجل : ﴿ **وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [ق : ٢٩] ، فالله تعالى ليس بظلام للخلق؛ الذين هم كلهم عبيده تسخيراً وقهراً، بينما قال عن الطائعين المؤمنين: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقال : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا** ﴾[الفرقان: ٦٣] ، فالخلق كلهم عبيد الله ؛ بينما عباد تنصرف غالبا للمؤمنين الطائعين اختياراً فقط[٢] .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥٤٣ .

(٢) وقد ورد لفظ عباد على غير المؤمنين كما في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ** ﴾ [الفرقان: ١٧] ، فسماهم عباده مع ضلالهم ، لكنها تسمية مقيدة بالإشارة ، كما ورد للتعبير عن عموم الخلق مؤمنهم وكافرهم كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [غافر: ٤٨] ، إلا أن إضافة العباد إلى الله مطلقاً لم ترد إلا والمقصود بها المؤمنون الطائعون ، كما وأن لفظة عبيد لم تأت في القرآن مطلقاً بمعنى المؤمنين الطائعين ، انظر مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٠٦) .

أشار ابن تيمية إلى ذلك بقوله : (إن العبد تارة يعنى به المُعبّد فيعُم الخلق كما في قوله تعالى : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]، وتارة يعنى به العابد فيخص)[١] أي يخص المؤمنين المنقادين لأوامرالله حباً وتعظيماً .

وخلاصة القول : إن معنى العبودية في اللغة لا يخرج عن كونها ذلا وخضوعاً وتنسُّكاً للمعبود .

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ١٠٥) .

المطلب الثاني

معنى العبودية في الاصطلاح الشرعي

عُرّفت العبودية في الشرع بتعريفات عدة منبثقة من أصلها اللغوي، ومن ذلك :

تعريف ابن تيمية : (هي اسم يجمع كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته)[١]. وتعريف ابن كثير[٢] : (العبادة في الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف)[٣]. وكذلك تعريف الآلوسي[٤] : (العبودية : هي أعلى مراتب

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ١٩) .

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي ، أبوالفداء عماد الدين ابن كثير ، حافظ ومفسر ومؤرخ ومحدث فقيه ، رحل في طلب العلم وأخذ عن ابن تيمية ، له تصانيف كثيرة تناقلها الناس في حياته ، توفي سنة ٧٧٤هـ . انظر الدرر الكامنة لابن حجر (١ /٣٩٩) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٣٩٧) ، والأعلام للزركلي (١ / ٣٢٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١ / ٢٦) .

(٤) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، أبو الثناء شهاب الدين ، مفسر ومحدث وأديب ، كان سلفي الاعتقاد مجتهدا ، تقلد الإفتاء ثم انقطع =

الخضوع)[١].

وهي تعاريف تبرز الجانب القلبي للعبودية ، والذي يدل بالالتزام[٢] على جانب العبودية الظاهرة على الجوارح .

بينما أكد الراغب[٣] في تعريفه للعبودية على الجانب الظاهرمنها فقال : (العبودية : إظهار التذلل لله تعالى)[٤]. ولاشك أن إظهار

= للعلم وله عدة مصنفات ، توفي سنة ١٢٧٠هـ . الأعلام للزركلي (٧/١٧٦) .

(١) روح المعاني للآلوسي (١ / ٨٦) . وكذا عند الزمخشري في الكشاف (١ / ٦٢) . وعند الشوكاني في فتح القدير (١ / ٢٢) .

(٢) دلالة الشيء على تمام معناه يسمى مطابقة ، ودلالته على بعض معناه يسمى تضمناً ، ودلالته على معنى آخر خارج عن معناه لازم له عقلا أو عرفا يسمى التزامًا . للتوسع في معنى الدلالات انظر ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن الميداني ص٢٧ .

(٣) هو الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب من حكماء العلماء ، له مصنفات في الأدب واللغة والتفسير وغيره ، توفي سنة ٥٠٢هـ . انظر تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ص١١٢ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨١ / ١٢٠) ، والأعلام للزركلي (٢ / ٢٥٥)

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥٤٢ .

التذلل يكون بالطاعة والانقياد للأمر والنهي ، لذا عرفها ابن القيم[١] به ، فقال : (العبودية هي الخضوع للأوامر والنواهي)[٢] فبيّن أن العبودية تُبنى على الامتثال والطاعة مع الخضوع والذلة ، وتتحقق إذا تحقق القلب واللسان والجوارح بما يحبه الله ورسوله ويرضاه فـ (العبودية : اسم جامع لهذه المراتب الأربع من قول اللسان والقلب ، وعمل القلب والجوارح)[٣].

لذا عُرّفت العبودية كذلك بمظاهر الخضوع والانقياد ، وأنواع من أعمال الطاعة فقيل : (العبودية : الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، شمس الإسلام ابن قيم الجوزية، من أركان الإصلاح في عصره ، وأحد كبار العلماء ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وواسع العلم في فنون متعددة فقد كان عارفاً بالتفسير وأصول الدين والحديث والفقه وأصوله والعربية وله اليد الطولى في ذلك ، عالماً بمصطلحات علم الكلام وإشارات علم السلوك والتصوف ، له تصانيف كثيرة جداً ، توفي سنة ٧٥١هـ . انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٤ / ٢٣٤) ، والدرر الكامنة لابن حجر (٤ / ٢١) ، شذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٢٨٧) ، والأعلام للزركلي (٦ / ٥٦) .

(٢) الفوائد لابن القيم ص١٢١ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١٠٠) ، وانظر تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ١١٧ .

والرضا بالموجود والصبر على المفقود)[١] . فأول العهود ، وأوثقها عهد الربوبية والعبودية لله رب العالمين . وحفظ الحدود أي حدود الله ومحارمه ، وفي هذا إشارة إلى أداء الأوامر واجتناب النواهي . والرضا بالموجود والصبر على المفقود إشارة إلى معاني الحب والذل والخضوع والتسليم.

كما عُرِّفت العبودية بأنها أحد معنيي العبادة ، إذ (العبادة تطلق على معنيين :

أحدهما : التعبد وهو فعل العابد فتكون بمعنى التذلل للمعبود بفعل أوامره واجتناب نواهيه محبة وتعظيماً . والثاني : المتعبد به ، فتكون كما قال ابن تيمية : (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[٢])[٣] .

فالمعنى الأول هو الذي يدل على العبودية ، والمعنى الثاني هو الذي ينصرف لتعريف العبادة . ولعل أقرب تعريف لمعنى العبودية

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٥١ .

(٢) انظر تعريف ابن تيمية في رسالة العبودية ص٤ .

(٣) انظر تقريب التدمرية للعثيمين ص١١٣ . وانظر القول المفيد على كتاب التوحيد للعثيمين (١ / ١٦) .

المقصود هنا[١] ما ذكره ابن جرير الطبري[٢] في تعريف العبادة : (العبادة : الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة)[٣] لأنه يبرز الجانب القلبي المتمثل في الخضوع والتذلل لله تعالى الدال على الحب والتعظيم ، كما يبرز الجانب العملي الذي هو الطاعة والاستكانة بفعل أوامره واجتناب نواهيه عز وجل .

والمناسبة بين هذا التعريف والمعنى اللغوي ظاهرة ؛ إذ العبادة في اللغة – كما تقدم – تطلق على الخضوع والذل والطاعة وهذه المعاني

---

(١) وهناك تعريفات أخرى لا تخرج عن هذه التعريفات كتعريف النعمي في معارج الألباب ص١٨٨ : العبادة هي وقفك النفس على مطلوب حكم الله تركا وعملا واعتقاداً على مقتضى حكمه الطلبي . وكذا تعريف صاحب تفسير المنار (١ / ٥٦) العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها ، واعتقاده بسلطة لا يدرك كنهها وما هيتها ، وقصارى ما يعرفه عنها أنها محيطة به ولكنها فوق إدراكه .

(٢) هو محمد بن جرير بن كثير الطبري ، أبو جعفر ، إمام مجتهد في أحكام الدين لا يقلّد أحداً ، مؤرخ من ثقات المؤرخين ، ومفسر غزير العلم ، برع في علوم كثيرة وله كثير من التصانيف ، استوطن بغداد وتوفي سنة ٣١٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤١ / ٠٨٢) والأعلام للزركلي (٦/ ٦٩) .

(٣)جامع البيان للطبري (١ / ١٦٠) .

كلها موجودة في هذا التعريف فالعبد المتذلل لله يخضع له وينقاد طائعا لأمره ونهيه ، كما أنه يفرده بهذا التذلل والانقياد بلا شريك لأن في الشرك بُعداً عن مقتضيات التذلل والخضوع(١) .

واسم العبودية واسم العبادة بينهما ارتباط وثيق في المعنى ، فالعبودية والعبادة ، أصلهما اللغوي واحد والتقارب بين مدلوليهما كبير ، لذا لم يفرق بينهما العلماء غالبًا(٢) فاستعملوا العبادة والعبودية بمعنى واحد .

---

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (١ / ٣٦٢) .

(٢) في مصنفات عقيدة أهل السنة والجماعة المعتمدة . بينما المتصوفة فرقوا بين العبادة والعبودية والعبودة فجعلوا العبادة مرتبة العوام من المؤمنين ، والعبودية للخواص ، والعبودة لخواص الخواص ، انظر الرسالة القشيرية ص١٩٧١، وكذا عند الرازي في تفسيره (٢٤ / ٢٥) . والحق أن العبادة للمؤمنين جميعهم خواصهم وعوامهم وبها يدللون على عبوديتهم الحقة لله رب العالمين . كما ذكر الزبيدي تفريقاً آخراً فقال : العبودية الرضا بما يفعل الرب ، والعبادة : فعل ما يرضى به الرب ، ولهذا كانت العبادة هي التي تسقط يوم القيامة لا العبودية ، انظر تاج العروس (٢ / ٤٠٩) . وفرّق الجرجاني بينهما في التعريفات فقال : (العبادة : فعل ما يرضي الرب مخالفة للهوى ، والعبودية : الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود) انظر ص١٥١ . وهذه الفروق تبين أن العبودية مرتبة أعلى من العبادة، بينما خالف الراغب الأصفهاني فجعل =

والذي عليه هذا البحث أن بينهما ترادفاً في حال الافتراق[١] ، أما في حال الاجتماع ؛ فاسم العبادة ينصرف أولا لأنواع العبادات الظاهرة والباطنة ، والطاعة ، والشعائر الدينية ، وبهذا فسرها كثير من أهل اللغة[٢] وعلماء التفسير[٣] . بينما يدل اسم العبودية على حال العبد

= العبادة مرتبة أعلى من العبودية بقوله : (العبودية : إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها ؛ لأنها غاية التذلل) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٢ . ودلالة اللغة تبين أن زيادة المبنى زيادة في المعنى ، ففي معنى العبودية معنى زائد عن معنى العبادة ، وكلا الأمرين مطلوب من العامة والخاصة ، فالعبادة طريق تحقيق العبودية ، والعبودية ثمرة الالتزام بالعبادة ، والله أعلم .

(١) وهناك مسميات أخرى تشترك في الدلالة على نفس المعنى ، بين ذلك ابن تيمية بقوله : (العبادة والطاعة ولزوم الصراط المستقيم والإيمان والبر والتقوى ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد وهي أسماء لدين الله الذي أمر الله به ورسوله ، فهو في نفسه واحد لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر وتكون تلك الصفة هي الأصل في اللفظ والصفات الأخرى لازمة لها أو دالة عليها بالتضمن وكذا تختلف دلالة كل اسم بحسب الإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران) . انظر العبودية لابن تيمية ص٢٠ .

(٢) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٣ / ٦٤٢) .تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٢ / ٥٠٣) . القاموس المحيط للفيروز آبادي (١ / ٣١١) . المعجم الوسيط (٢ / ٥٨٠) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ /٢٥٢) ، وتفسير ابن كثير (١ / ٦٢) .

العابد لله تعالى ؛ فهي غاية الحب وغاية التذلل الذي يقتضي الطاعة والامتثال . فالعبادة هي المنهاج العملي الذي يترجم به العبد معاني العبودية تذللا وحباً لمعبوده الحق عز وجل[١] .

كما أن في لفظة العبودية مبالغة في الوصفية من حيث الصيغة لأنها جمعت بين طريقي توصيف : ياء النسب وصيغة الوصف[٢] بخلاف العبادة التي جاءت بصيغة الوصف فقط[٣] .

وما التعريفات في النواحي العقدية والقلبية إلا محاولة لوصف أمور تَقصُر عنها اللغة ، فما يقوم بقلب المؤمن من التذلل لربه كلما عرفه أكثر ، ومن طاعته والتقرب إليه ، ومن تعظيمه ومحبته ، وإجلاله ومهابته وغير ذلك من الأعمال ؛ أمر لا يعبر عن كنهه مقال ولا تحيط به العبارة ولا تُدرَك حقيقته إلا بالاتصاف به ، لا بمجرد الوصف والخبر[٤] .

---

(١) انظر المصطلحات الأربعة في القرآن للمودودي ص٧ .

(٢) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (١ / ١٨٣) .

(٣) ولهذا تم اختيار اسم العبودية دون اسم العبادة في هذه الرسالة ، فاسم العبودية أنسب لبيان ما يرمي إليه هذا البحث من إبراز عبودية القلب عند استحضار معاني الأسماء والصفات ، فتتحرك فيه محبة الله وتذل الجوارح، ويترجم الحب والذل إلى انقياد وعبادة .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٣٣٣) . والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي (١ / ٤٩) .

ويجدر التنبيه هنا على أن مفهوم العبودية واسع يشمل كل مناحي الحياة ، فيشمل أعمال القلوب و الشعائر التعبدية من الفرائض ومن بعدها النوافل ، كما يشمل الأخلاق الفاضلة ، وكذا أنواع السلوك والأعمال المباحة في إعمار الأرض إن قصد بها وجه الله تعالى[١] ، دلّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر للتوسع في هذا وأمثلته : العبادة في الإسلام للقرضاوي ص٥١ وما بعدها ، ومفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد قطب ص١٧٣ وما بعدها .

المطلب الثالث

أنواع العبودية

إن النظر في معنى العبودية اللغوي ومعناها الشرعي يبيّن أن العبودية لله نوعان : عامة وخاصة[١] :

فالعبودية العامة : عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله ، برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، عبودية التسخير والقهر والملك. فهي عبودية متعلقة بربوبيته عز وجل، وهي المقصودة في قوله تعالى : ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً** ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣]، فالكل مخلوق لله تعالى مُسّخر بتسخيره ، مُدَبر بتدبيره .

---

(١) انظر للتوسع مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥٤٢، و مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ٤٥) ، ومدارج السالكين لابن القيم (١ / ١٠٥) ، ومعارج القبول للحكمي (٢ / ٤٣٥) . والقول المفيد للعثيمين (١ /٣٦). وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١ / ٣٦). وكذا مقدمة المحقق – الجليند – لكتاب التوحيد مع إخلاص العمل والوجه لله عز وجل لابن تيمية ص ٤٧ .

وحقيقة هذه العبودية هي الخضوع لأمر الله الكوني[١] فجميع من في السموات والأرض (مقرون بالصانع[٢] بفطرتهم ، وهم خاضعون مستسلمون ، قانتون مضطرون من وجوه :

---

(١) أمر الله عز وجل نوعان : أمر كوني وأمر شرعي ، وكذا قضاؤه وإرادته وكلماته وحكمه وإذنه ونحو ذلك من الكلمات . والأمر الكوني هو الأمر الذي يقع لا محالة ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] ، ومن هذا النوع كل ما يقع في الكون من آثار الربوبية والملك والتصريف كالخلق والرزق والإحياء والإماته ونحوها . أما الأمر الشرعي فهو الذي تعبّد الله الثقلين به من الشرائع وهو إما أمر فعل أو أمر ترك . وهو إما أن يقع على ما أمر الله وهو ما يحبه ويرضاه ، وإما أن يفرط فيه وهو ما يسخطه ويغضبه ، فالأمر الشرعي هو مناط الابتلاء والعبودية الاختيارية ، وهو المراد في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠]، ومن هذا النوع الأمر بالصلاة والصيام وسائر الشعائر التعبدية والأمر باجتناب الربا والزنا وسائر الإثم والفواحش . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢٤) ، وكذا شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٥١٩ ، وشرح الواسطية للعثيمين (٢ / ١٩٢).

(٢) في تسمية الله تعالى بالصانع خلاف لأنه لم يرد كاسم علم دال على الله ، انظر أسماء الله الحسنى للغصن ص ٣١٥ . ولعله ذُكر في قول ابن تيمية من باب الإخبار عن الله لا من باب الأسماء والصفات. وما يدخل في =

منها : علمهم بحاجتهم وضرورتهم إليه . ومنها : خضوعهم واستسلامهم لما يجري عليهم من أقداره ومشيئته . ومنها : انقيادهم لكثير مما أمر به في كل شيء)[١] .

فالعبد في هذا النوع من العبودية يراد به : المعبد المذلل ، (والعبد إن أريد به المذلل المسخر دخل فيه جميع المخلوقات من جميع العالم العلوي والسفلي من عاقل وغيره ، ومن رطب ويابس ، ومتحرك وساكن ، وظاهر وكامن)[٢]، قال ابن تيمية : (العبد يراد به المعبد الذي عبّده الله ، فذلله ودبره وصرفه ، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله : الأبرار منهم والفجار ، والمؤمنون والكفار ، وأهل الجنة وأهل النار . إذ هو ربهم كلهم ومليكهم ، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته ، وكلماته التامات ، التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر . فما شاء كان وإن لم يشاءوا ، وما شاءوا إن لم يشأه لم يكن ،... فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ، ومصرف

= الإخبار عن الله عز وجل أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ، انظر للتوسع بدائع الفوائد لابن القيم (١ / ٤٣١) ، والقواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف للبريكان ص ٦٦ .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ٤٥) .

(٢) معارج القبول للحكمي (٢ / ٤٣٥) .

أمورهم ، لا رب لهم غيره ، ولا مالك لهم سواه ، ولا خالق لكل شيء ومدبره ومسخره إلا هو ، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه ، وسواء علموا ذلك أو جهلوه... ... فإن اعترف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه فقير إليه محتاج إليه ، عرف العبودية المتعلقة بربوبيته ... ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار ، ولا يصير بها الرجل مؤمناً، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦][1] .

والنوع الثاني هو : **العبودية الخاصة** ؛ عبودية الطاعة والمحبة ، واتباع الأوامر وهي العبودية المتعلقة بإلهيته وهي المأمور بها في قوله تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله عز وجل: ﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٦]. وأصحابها هم المقصودون في مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٨] وقوله : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [الحجر: ٤٢].

فهي صفة قلبية إيمانية ، وعمل وتقرب إلى الله تعالى . وحقيقة هذه العبودية : الخضوع لأمر الله الشرعي[2] رغبة ورهبة ، ومحبة وتعظيماً للمعبود الحق الذي عرفه عباده فآمنوا به وخضعوا له ، وذلوا

---

(١) العبودية لابن تيمية ص ٩ - ١٠ .

(٢) تقدم في ص٤٩ بيان المراد بالأمر الشرعي والأمر الكوني .

لعظمته ، وانقادوا لأمره طائعين مختارين ، فهي أخص من الأولى ، وأصحابها هم : المؤمنون العابدون ، الطائعون عن اختيار ومحبة.

والعبودية بهذا المعنى الخاص مرتبطة بالمعنى الثاني للعبد ، وهو العبد بمعنى العابد الذي لا يعبد إلا الله ؛ فيطيع أمره وأمر رسله ، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ، ويعادي أعداءه الكافرين والفاسقين ، وهو بذلك يخضع لأمر ربه طوعاً ، وكذلك لما يقدره من المصائب ، فإنه يفعل عندها ما أمر به من الصبر وغيره طوعاً ، فهو مسلم لله طوعاً خاضع له طوعاً[١].

وهذه العبودية هي مناط الكفر والإيمان قال تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ** ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢]، وقال سبحانه : ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٣٢] ، فبإخلاص هذه العبودية لله يتحقق التوحيد والإيمان ويكمل الدين الذي من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب .

(وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة[٢]، لأن أصل معنى

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ٥٤) .

(٢) ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة : انقسام القنوت إلى خاص وعام والسجود كذلك ، فالقنوت العام كما في قوله ﴿**بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ** ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: ١١٦]، أي خاضعون أذلاء ، والقنوت =

اللفظة : الذل والخضوع . يقال طريق معبد إذا كان مذللا بوطء الأقدام ...فأولياؤه خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً ، وانقياداً لأمره ونهيه . وأعداؤه خضعوا له قهراً ورغماً)[1] في حياتهم ومماتهم والأقدار التي تجري عليهم وغير ذلك ، (فالخلق كلهم عبيد ربوبيته . وأهل طاعته وولايته : هم عبيد إلهيته)[2].

وهذه العبودية الخاصة يتفاضل العباد في تحقيقها والارتقاء في درجاتها تفاضلا كبيراً يبيّنه المبحث التالي .

❁ ❁ ❁

= الخاص نحو قوله تعالى في حق مريم عليها السلام : ﴿**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ [التحريم: ١٢]. وفي السجود الخاص: ﴿**إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** ۩﴾ [مريم: ٥٨]. والسجود العام : ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ**﴾ [النحل: ٤٩]. وهو سجود الذل والقهر والخضوع . بتصرف عن مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١٠٧).

(١) المرجع السابق (١ / ١٠٦)

(٢) المرجع السابق (١ / ١٠٥) .

المبحث الثاني

تفاضل العباد في تحقيق العبودية

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى تحقيق العبودية .

المطلب الثاني : أقسام العبودية .

المطلب الثالث : درجات العباد في تحقيق العبودية .

المطلب الرابع : أكمل العباد تحقيقاً للعبودية.



المطلب الأول

معنى تحقيق العبودية

أصل الحق : من المطابقة والموافقة ، ويطلق في الاعتقاد : على الشيء المطابق لما عليه الشيء نفسه[١] .

والتحقيق : تفعيل من حقق الشيء تحقيقاً ، فهو مصدر حقق الشيء : أي أثبته وخلصه من غيره [٢] . وكذلك يطلق التحقيق على إثبات المسألة بدليلها[٣] .

ويقال : بلغ حقيقة الأمر إذا بلغ يقين شأنه ، وفي الحديث : (لايستكمل أحدكم حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه)[٤] يعني خالص الإيمان ومحضه وكنهه[٥] ويقال : فلان لفعله حقيقة إذا لم يكن مرائياً فيه ، والحقيقة تستعمل في الشيء الذي له ثبات ووجود ،

---

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٢٤٧ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٣٨٨) .

(٣) انظر التعريفات للجرجاني ص ٥٥ .

(٤) ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ٨٢٢) حديث رقم ٢٨٤١ .

(٥) انظر لسان العرب لابن منظور (٦ / ٥٢) .

كقوله ﷺ لحارث : (لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟)[١] أي ما الذي ينبئ عن كون ما تدعيه حقًا ؟[٢] .

وتحقيق العبودية هو ثمرة النصح[٣] لله تعالى الذي بيّنه رسول الله ﷺ بقوله : (الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٤] فالنصح لله : وصفه بما هو له أهل وتنزيهه

---

(١) وهو جزء من حديث معضل ، يستأنس هنا بدلالة لفظه في توضيح معنى التحقيق المراد ونصه : (عن صالح بن مسمار أن رسول الله ﷺ قال لحارث بن مالك الأنصاري : كيف أنت ؟ أو ما أنت يا حارث ؟ قال : مؤمن يا رسول الله ، قال : مؤمن حقًا ؟ قال : مؤمن حقاً . قال : لكل حق حقيقة فما حقيقة ذلك ؟ قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي عز وجل، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أسمع عواء أهل النار ، فقال رسول الله : مؤمن نوّر الله قلبه) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص١٠٦ .

(٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٢٤٧ .

(٣) أصل النصح : الخلوص ، انظر لسان العرب لابن منظور (٢ / ٦١٦) . وحقيقة الإضافة في :"النصح لله " راجعة إلى العبد في نصحه نفسه بالعبودية الحقة ؛ فالله تعالى غني عن نصح الناصح وإنما العبد هو المحتاج للنصح في العبودية ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢ /٣٨) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ص٣٥ .

عز وجل عن جميع النقائص ، والخضوع له ظاهراً وباطناً ، والرغبة في محابه بفعل طاعته ، والرهبة من مساخطه بترك معصيته ، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته وشكره عليها ، والجهاد في رد العاصين إليه ، والإخلاص في جميع الأمور [١] .

وقد بيّن ابن القيم ذلك بقوله : (مدار الدين على النصح في العبودية . وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي له) [٢] .

وللسلف (عبارات كثيرة في بيان حقيقة العبودية ، وكيفية إيقاعها على الوجه المحبوب لله المرضي له : فابن تيمية يؤكد على ما للمحبة من شأن في تحقيق العبودية فيقول : (الخلة والمحبة لله : تحقيق عبوديته . وإنما يغلط من يغلط[٣] في هذه حيث يتوهمون العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لا محبة معه)[٤] .

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١ / ١٨٢) . وصحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ٣٨) .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١١٠) بتصرف يسير .

(٣) يشير بذلك إلى الجهمية الذين ينكرون محبة العبد لله ، ومحبة الله للعبد . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٦٦) .

(٤) العبودية كتبها ابن تيمية ص٤٥ .

والمحبة المشروعة[١] هي التي تبعث على تحقيق العبودية بالتزام الأمر والنهي ، أما المحبة التي يزعم بها العبد ارتفاعه عن العبودية وسقوط تكاليف الأمر والنهي عنه ! فهي غاية التلبيس ومنتهى مراد إبليس[٢] .

وكذا ابن القيم يؤكد على أهمية الحب الصحيح الذي يخضع صاحبه لله عز وجل فقال : (حقيقة العبودية : الحب التام مع الذل التام والخضوع للمحبوب)[٣]، وركّز على أهمية التذلل لله عز وجل بقوله : (إن مقام العبودية[٤] هو بتكميل مقام الذل والانقياد ،

---

(١) إذ هناك محبة غير مشروعة ؛ كالحب والعشق والوله والهيام الذي يدعيه كثير من شيوخ الصوفية ، ويخرج بهم عن أدب العبودية .وقد أوضح ابن تيمية هذا بقوله : (وجد في نوع من المستأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى تنافي العبودية ، وتدخل العبد في نوع من الربوبية لا تصلح إلا لله ، فيدعي أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين) ثم بين سبب هذا بقوله : (إذا ضعف العقل وقل العلم بالدين ، وفي النفس محبة طائشة جاهلة انبسطت النفس بحمقها في ذلك) انظر العبودية لابن تيمية ص٦٤ .

(٢) سيأتي في الفصل الثالث من هذه الرسالة تفصيل المحبة وتحقيقها .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٣٠) .

(٤) نبه ابن القيم على تسمية الصوفية لهذا المعنى بالفقر بقوله : (ومراد القوم بالفقر : شيء أخص من هذا كله ، وهو تحقيق العبودية والافتقار إلى الله =

وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلا لله وانقياداً وطاعة . ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل فهو ذليل لقهره ، ذليل لربوبيته فيه وتصرفه ، وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه ، فإن من أحسن إليك فقد استعبدك وصار قلبك معبداً له ، وذليلا تعبّد له لحاجته إليه على مدى الأنفاس في جلب كل ما ينفعه ودفع كل ما يضره)[١] .

كما أبرز المقريزي[٢] أهمية اتباع الأمر والنهي في تحقيق العبودية فقال : (عند اتباع الأمر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة)[٣] .

وخلاصة القول أن تحقيق العبودية يكون بإحقاق الحق ، (والحق نوعان : حق موجود وبه يتعلق الخبر الصادق ، وحق مقصود وبه يتعلق

في كل حالة وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقراً بل هو حقيقة العبودية ولبها) انظر المرجع السابق (٢ / ٤٣٩) .

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ٥٠٠) .

(٢) هو أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني ، تقي الدين المقريزي ، عالم في التاريخ والحديث ، قال السخاوي : قرأت بخطه أن تصانيفه زادت على مئتي مجلد كبار ، ولد ونشأ ومات في القاهرة سنة ٨٤٥هـ . انظر شذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٣٧٠) ، و الأعلام للزركلي (١ / ١٧٨).

(٣) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ١١٤ .

الأمر الحكيم والعمل الصالح)[١] .وتحقيق العبودية الجمع بينهما أي : تصديق أصدق الحق الموجود الذي هو ما أخبر الله بوجوده ، وتصديق خير الحق المقصود الذي هو أمر الله وشرعه . وهكذا تتحقق العبودية بإثباتها بدليلها من محبة الله ورسوله ﷺ ، التي تستلزم إخلاص التوحيد لله عز وجل ، والخلوص من الشرك . وبذل الجهد في التزام ما يحبه الله ويرضاه مما أمر به ورسوله ﷺ ، والبعد عما يسخطه مما نهى عنه ورسوله ﷺ ؛ طاعة وعبودية ،وأصل هذا واجب ، وكماله مرتبة المقربين[٢] .

وتحقيق العبودية أمر يشترك فيه القلب و اللسان وسائر الجوارح ، فلكل عضو عبودية خاصة به ، بتكميلها يبرهن على محبته الصادقة وخضوعه التام ، ويكون عبداً حقاً لله رب العالمين[٣] .

وبيان هذه الأقسام وأنواع العبادة المتعلقة بكل قسم في المطلب التالي .

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ١٠٢ .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١١٠) .

(٣) وهذا هو التحقيق الصحيح لا التحقيق الذي يزعم أهله أنه مرتبة ليس فيها طاعة ولا معصية ، وقد أسماه ابن تيمية تحقيق فرعون وقومه ، انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢١٦) .

المطلب الثاني

أقسام العبودية

إِن تمثل العبد بالعبودية الحقة لله رب العالمين ، أمر تشترك فيه كل جوارحه ؛ كل جارحة تحقق ما يناط بها من أنواع العبادة المختلفة ، ولاشك أن الجوارح تتباين من حيث أهميتها فليس للقلب بين سائر الجوارح شبيه ، وليس اللسان كاليد أو الرجل ، وإِن كان لكل جارحة أهميتها ومكانتها ، ولكن المكانة الأعلى فيما يتعلق بالعبودية هي للقلب أولا ثم اللسان ، وسائر الجوارح تبع لهما كما دلت على هذا نصوص الكتاب والسنة[١] .

ومن هنا قُسمت العبودية بحسب جهتها ومتعلقها من الجوارح لأقسام ثلاثة[٢] : عبودية القلب ، وعبودية اللسان ، وعبودية باقي

(١) سيأتي بيان هذه النصوص عند الحديث عن سبب تخصيص القلب واللسان بالذكر .

(٢) وهو تقسيم اجتهادي فني مبني على الاستقراء ذكره ابن القيم واخترته في هذا البحث غرضه الدراسة والبيان ، وقد اختار بعضهم أن تكون أقسامًا خمسة : اعتقادية ، وقلبية ، ولفظية ، وبدنية ومالية ، انظر مدخل لدراسة العقيدة الإِسلامية لضميرية ص٢٢٩ . أو أربعة بدمج الاعتقادية مع القلبية، انظر دعوة التوحيد لهراس ص٤٠ .

الجوارح ، قال ابن القيم : (العبودية منقسمة على القلب ، واللسان والجوارح . وعلى كل منها عبودية تخصها)[١] .

وإنما خصت عبودية القلب بالذكر وقدمت على سائر أقسام العبودية لأنها الأصل لعبودية سائر الجوارح[٢] ، وقد علق الله النجاة يوم القيامة على صلاح القلب وسلامته من الشرك فقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، فصلاح سائر الجسد وسلامته متعلق به دل على ذلك حديث رسول الله ﷺ : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[٣] . قال ابن حجر : (وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب)[٤] فهو كالملك والأعضاء جنوده ، إذا استقامت استقامت الجوارح ، وإن فسد فسدت .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١٠٩) .

(٢) انظر للتوسع في بيان مكانة أعمال القلوب كتاب العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين لمحمد موسى ص٣٢-٧٤ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ص٤٣ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ص١٥٦ .

(٤) فتح الباري لابن حجر (١ / ١٧١) .

فالقلب أصل مكان الاستقامة والتقوى ، بيّن ذلك رسول الله ﷺ بقوله :(التقوى هاهنا) ويشير إلى صدره ثلاث مرات[١] .

وكذلك فالقلب هو مستقر الإيمان قال عز وجل في وصف المؤمنين الصادقين : ﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وغاية الخسارة أن يصاب القلب بالمرض قال تعالى : ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴿١٠﴾﴾ [البقرة : ١٠]، ففيه إذا مرض يكمن النفاق المحبط للعمل ، قال تعالى : ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ [التوبة : ٧٧] .

كما بيّن رسول الله ﷺ أن القلب هو محل نظر الله عز وجل بقوله : (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[٢] ويتضمن هذا البيان ندباً إلى الاهتمام بما يصلح القلب ويحقق عبوديته ويزينه ويجمله ، ورأس هذا معرفة أسماء الله وصفاته واعتقاد وحدانيته وإلهيته التي تبعث على طاعتة عز وجل وإفراده بالعبادة الباطنة منها والظاهرة .

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ص١٠٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ص١٠٣٥ .

أما العبادات المتعلقة بالقلب والتي بتمامها يتحقق القلب بصفة العبودية لله رب العالمين : فمنها ما هي مأمور فعلها ، ومنها ما هي مأمور تركها .

فالمأمور فعلها مثل : المحبة والخوف والرجاء[1] والإخلاص والتوكل والصبر والإنابة والرضا وغيرها من العبادات .

ولكل واحد من هذه العبادات القلبية طرفان : واجب مستحق لابد من التحقق به ، وكمال مستحب يرتقي به العبد في درجات العبودية[2] .

أما المأمور تركها : فالشرك والكفر والرياء والعجب والكبر والحسد

---

(١) هذه العبادات الثلاث هي أهمها ، وتسمى ركائزالعبودية وأصولها ، ومحركات القلوب إلى الله عز وجل، إذ إنها الباعثة على جميع أنواع العبادة وبتحقيقها تتحقق العبودية ، والاقتصار على واحدة منها يبعد بالعبد عن تحقيق هذا الوصف الرفيع ولهذا قال بعض السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد ، انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٦٤٤) ، والعبودية لابن تيمية ص٦٤ ، والمدخل لدراسة العقيدة للبريكان ص٧١١ . والفصل الثالث من هذه الرسالة يفصّل هذا ويبينه .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١١٠) ، وسيأتي بيان هذا في المطلب التالي .

والحقد والقنوط وغيرها من الآفات ، وهي تتنوع بين كفر ومعصية ، وصغائر وكبائر ، بحسب قوتها وغلظتها وخفتها ودقتها [١] .

وكذلك خصت عبودية اللسان بالذكر وأفردت عن عبودية باقي الجوارح لكون اللسان هو المترجم الأول لما في القلب ، كما أن القول الذي هو عمل اللسان أسهل وأسبق من عمل سائر الجوارح ، ولهذا حذر الله تعالى من تبعة القول ، فقال عز وجل : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴿١٨﴾ ﴾ [ق : ١٨]، كما بين رسول الله ﷺ أهمية القول وعلاقته بالإيمان بقوله : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [٢] ، وأوضح خطورته بقوله لمعاذ رضي الله عنه : (وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا ما نطقت به ألسنتهم) [٣] فحذر ﷺ بهذا من آفات اللسان ومزالق القول كما ندب إلى استعماله في الخير أو كفه والصمت .

---

(١) انظر المرجع السابق (١ / ١١٠ – ١١٤) .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ص١٢٤٢ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان ص٥١ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الأدب (٤ / ٢٧٨) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال الألباني صحيح ، انظر السلسلة الصحيحة (١ / ٧٢٢) رقم الحديث ٤١٢ .

أما العبادات المتعلقة باللسان والتي بها يكتسب صفة العبودية ، فمنها ما هو واجب الفعل :كالشهادة التي يتوقف عليها صحة دخوله في الإسلام ، وكذا الأذكار الواجبة للصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وأداء الشهادة وصدق الحديث وغيرها .

ومنها ما هو مستحب كدوام قراءة القرآن ، والإلحاح في الدعاء ، والإكثار من ذكر الله من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وغير ذلك .

ومنها ما هو واجب الترك ، يحرم النطق به ، وأوله : الشرك ،كبيره وصغيره . ثم القول ببدعة أو كذب أو فحش أو غيبة أو نميمة أو شهادة زور وغير ذلك مما يبغضه الله ورسوله ﷺ .

وعندما ينطق اللسان بما يجب عليه ، بل يستزيد من الأقوال المستحبة ، ويحذر محرمات القول وآفات اللسان فإنه بذلك يرفع صاحبه في درجات العبودية .

أما عبودية سائر الجوارح كالأذن والعين واليد والرجل ، فلكل واحدة منها كذلك واجبات ومستحبات وعليها محرمات ومكروهات وأمثلتها كثيرة لا تخفى[1] .

---

(١) انظر للتوسع مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١١٦ ــ ١٢٢) ، وانظر فتح الباري لابن حجر (١ / ٢٧) وفيه ذكر عد العلماء لشعب الإيمان ، التي هي الأعمال المنقسمة على القلب واللسان والجوارح ، ومنها ما عدّه =

ومن أنواع العبادة ما تشترك الجوارح كلها أو أكثرها في إقامته : ففي الصلاة تظهر أنواع من العبادات القلبية من محبة وخوف ورجاء وتعظيم ومهابة ، وأنواع من عبادات اللسان بين تكبير وقراءة للقرآن وتسبيح وتحميد ، وتتحرك اليدان والرجلان حركات مخصوصة . وفي الصيام والحج والزكاة والجهادكذلك .

وعند التأمل تظهر مكانة العبادات القلبية بين سائر العبادة إذ هي – كما سبق – الأصل الذي تبنى عليه سائر العبادات ، والذي يحقق عبودية القلب هو الذي يستحق وصف العبودية ، إذ إن جوارحه كلها لن تخرج عن مقتضى هذه العبودية من التزام الأمر والنهي ، إلا أن العباد يتفاوتون في درجات هذا التحقيق فـ(الفرقان بينهم قصداً وذلا أعظم من الفرقان بين أعمالهم البدنية)[١] .

ومن هنا كانت للعبودية درجات يرتقي فيها العباد بحسب ما يحققون من عبودية القلب اللسان وسائر الجوارح ، من واجبات مستحقة أو كمالات مستحبة ، والمطلب التالي يبيّن هذه الدرجات .

ابن حبان ؛ فجعل للقلب أربعة وعشرين عملا، وللسان سبعة أعمال ، وللبدن ثمانية وثلاثين عملا . وهو أمر اجتهادي مبني على استقراء النصوص غرضه التنبيه على ضرورة تحقيق الإيمان والعبودية لله عز وجل .

(١) القول المفيد للعثيمين (١ / ٢٩٨) .

المطلب الثالث

درجات العباد في تحقيق العبودية

يتفاضل العباد الطائعون المنقادون لأمر الله ونهيه ، المتذللون المحبون الخاضعون لربهم عز وجل في درجات العبودية بحسب ما يحققون من أقسام العبودية المختلفة ، ولما كانت عبودية القلب هي الأصل ، كان أصل تفاوتهم إنما هو في تحقيقها ، وأول عبادة قلبية : معرفة الله سبحانه وتعالى واعتقاد كماله كما دلت عليه أسماؤه وصفاته . والعباد في هذه المعرفة درجات[١]، ذلك (إن ألوهية الله[٢] متفاوتة في القلوب على درجات عظيمة تزيد وتنقص)[٣].

وتفاوت قلوبهم في معرفة الله ؛ يجعلهم يتفاوتون في حبهم وخوفهم ورجائهم ، ومن ثم يتفاوتون في القيام بمقتضيات العبودية وأداء الطاعات وإن كانوا يشتركون جميعًا في الطاعة العامة : إذ منهم من

---

(١) سيأتي بيان درجات العباد في معرفة الله عز وجل في الفصل الثاني من هذا البحث .

(٢) أي استشعار العباد لألوهيته سبحانه وتعالى ، ومعرفتهم بها .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٣٨٤) .

يقوم بالحد الأدنى ، والآخر بالحد الأقصى الذي يطيقه ، ومنهم المتوسط في ذلك[١] ، وتفاضلهم في ذلك كبير لا ينضبط طرفاه[٢] ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢] فبيّن سبحانه وتعالى أن أهل هذه الدرجات كلهم من عباد الله الذين اصطفاهم لعبادته ، فدل ذلك على أن العباد المصطفين – وهم أمة محمد ﷺ على أصح أقوال المفسرين[٣]– ليسوا درجة واحدة ، بل هم درجات كثيرة متباينة في أعمال القلوب والأبدان[٤]، والآية الكريمة تجعل هذه الدرجات متفرعة حول ثلاث درجات رئيس :

---

(١) انظر عبودية الكائنات لرب العالمين للتوني ص ٧٩ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٣٨٤) .

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٢/ ١٣٦) ، وتفسير ابن كثير (٣ /٤٧٣)، والتفسير الكبير للرازي (٢٤ /٢٥) ، وروح المعاني للآلوسي (٢٢/ ٣٤٨) .

(٤) دلت على ذلك صراحة بعض النصوص من الكتاب والسنة كما في آية سورة فاطر المتقدمة الذكر ، وغيرها ، وبعضها دل بطريق الالتزام كالنصوص الدالة على تفاوت درجات العباد في الجنة والدالة على تفاوت درجاتهم في تحقيق العبودية لله إذ إن من المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن دخول الجنة متعلق برحمة الله وتقاسم درجاتها متعلق بأعمال العباد . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢] =

أدناها : درجة الظالم لنفسه : وهو الذي يظلم نفسه بارتكاب المعاصي والآثام التي هي دون الكفر(١) .

فهذه الدرجة؛ درجة الذين أدوا جانباً من العبودية ، ولكنهم كثيراً ما يميلون إلى المعاصي ، ويتبعون غواية الشيطان ، ويغفلون عن بعض مقتضيات أسماء الله وصفاته ، فيظلمون أنفسهم بما يقترفون من

= وقوله : ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٢١] وقول الرسول ﷺ في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده : (إن في الجنة مائة درجة، ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم) وكذلك أقوال سلف الأمة الذين شرحوا ذلك وبينوه فهو أكثر من أن يستقصى في مثل هذه الموضع .

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٢ / ١٣٦) ، وتفسير ابن كثير (٣ /٤٧٣)، والكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٠) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢ / ٣١٤) ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤ /٢٠٣) . وقد ذكر العلماء أقوالاً أخرى تدخل كلها تحت هذا القول وهو أشملها ، ومن ذلك قولهم : هو الموحد بلسانه الذي يخالف بجوارحه، انظر الفتوحات الإلهيه للجمل (٣ / ٤٩٥) . وقيل هو المسيئ ، انظر زاد المسير لابن الجوزي (٦ / ٤٩٠) والتفسير الكبير للرازي (٢٤ / ٢٥). وقيل هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئاً ، انظر تفسير ابن كثير (٣ / ٤٧٥) وزاد المسير لابن الجوزي (٦ /٤٩٠) . وقيل هو الذي يعبد الله على الغفلة والعادة .انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ / ٥٤٣٠) .

الذنوب ، وبما يفرطون في جنب الله ، فقلوبهم غفلت عن مقتضى العبودية الحقة ، وعن كثير من حق الألوهية ، فانشغلوا ببعض ما يعرفونه من أسماء الله وصفاته عن بعض ، وحُجبوا بالتعبد ببعضها عن العبودية ببعضها الآخر (كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم ، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع . . . أو التعبد بأسماء التودد ، والبر ، واللطف ، والإحسان عن أسماء العدل ، والجبروت ، والعظمة والكبرياء)[١] .

فمن هؤلاء من يعبد الله بأسمائه وصفاته الدالة على غناه ورحمته، وعفوه ومغفرته ، وحلمه وتجاوزه فيمتلئ قلبه بحسن الظن بالله ، وعظيم الرجاء في مغفرته ما يجعله ذليلا مفتقراً إلى ربه ، داعياً راجياً من جوده وكرمه . وبقدر ما يصدق في طلبه ، ويكثر من عمله يرتفع في عبوديته عن درجة الظالم لنفسه[٢] .

ومنهم من يتذكر ربه بأسمائه وصفاته الدالة على قدرته وانتقامه وسرعة حسابه وشدة عذابه ؛ فيمتلئ قلبه خوفاً ورهبة ، وذلا وافتقاراً،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٤٢٠) .

(٢) إذ إن غلبة الرجاء على العبد –في غير حال الموت– قد تؤدي به إلى الغرور والتمني ، الذي يقعد به عن العمل . فهو لرجائه في ربه وحسن ظنه به من المصطفين ، ولتقصيره في العمل والمبادرة في الطاعة هو من الظالمين لأنفسهم . والله أعلم .

وهذا أيضا بقدر حظه من الخوف ومن التوبة بعد الذنب يكون حظه من درجات العبودية[١] .

فهم بذلك يُقصّرون في التعبد القلبي والبدني ، ويفرطون في أداء بعض ما تعبدهم الله بفعله ، ويأتون بعض ما تعبدهم الله بتركه ، سواء كان ذلك من أعمال القلب أو اللسان أو سائر الجوارح .

وأوسطها : درجة المقتصد : وهو الذي يقيم الفرائض ويجتنب الكبائر وكثيراً من الصغائر وحظه من النوافل قليل ، فهو غير مجتهد في عبادة ربه[٢] ، بل عمله في ذلك قصداً[٣] .

---

(١) إذ إن العبد إذا غلب عليه الخوف مع الحب والرجاء يبادر إلى الطاعة فيكون من السابقين ، أما إن غلب عليه الخوف مع ضعف المحبة والرجاء فإنه يؤدي به إلى القنوط الذي يضعف مبادرته إلى طاعة ربه فيكون بهذا من الظالمين لأنفسهم . والله أعلم .

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٢/ ١٣٧) . وروح المعاني للآلوسي (٢٢/ ٣٤٨) . وقد ذكر العلماء تعريفات أخرى للمقتصد تدل عموماً على نفس المعنى ، ومنها : هو غير المبالغ في طاعة ربه ، انظر جامع البيان للطبري (١٢/ ١٣٧) . ومنها : هو الذي يفعل الفرائض ويجتنب المحرمات دون زيادة . ومنها : هو الموحد الذي يمنع جوارحه من مخالفة أمر الله . انظر الفتوحات الإلهية للجمل (٣ / ٤٩٥) .

(٣) وهذا غير القصد الذي أوصى به رسول الله ﷺ بقوله : (القصد القصد =

ومثال هؤلاء ذلك الرجل الذي سأل الرسول ﷺ عن الإسلام فأخبره بالشرائع فقال : والذي أكرمك بالحق لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله علي شيئاً . فقال الرسول ﷺ : (أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق)[١] .

وأصحاب هذه الدرجة[٢] معرفتهم بأسماء ربهم وصفاته أكثر من سابقيهم ، وغفلتهم عن مقتضيات تعبدهم بها أقل منهم ، ومن ثم

= تبلغوا) إذ المقصود بالقصد في الحديث الاعتدال والتوسط الذي يبعث على المداومة والاستمرار ، يظهر هذا من ترجمة البخاري للحديث بقوله : باب القصد والمداومة على العمل ، فالنفوس قد تمل أوتضعف إذا أخذت بالشدة . والقصد المقصود في الحديث لا يتعارض مع الأمر الصريح في القرآن بالدعوة إلى المسابقة والمسارعة لمرضاة الله والجنة بل القصد وسيلة إلى هذا الفوز في هذا السباق لما فيه من ترويض النفس ، وأخذها بالتدرج مع اغتنام فرص إقبالها وشرتها حتى تعتاد الطاعة وتقبل على النوافل من بعد الفرائض لتكون من السابقين بالخيرات ، انظر فتح الباري (١١ / ٣٥٥) .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصوم ، باب وجوب صوم رمضان ص٣٦٠ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ص٣٨ .

(٢) وهم المذكورون في سورة الواقعة والمطففين باسم الأبرار وأصحاب اليمين ، انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص٥٥٨ .

فعبوديتهم لله أتم ، إذ كلما ازداد علم العبد ومعرفته بأسماء الله وصفاته ارتفع درجة في التعبد[١] ، وهم يجمعون بين الرغبة والرهبة[٢] ، لا تحجبهم عبودية عن عبودية ، ولهذا اتقوا المعاصي والسيئات ، وتقربوا إلى الله بما افترضه عليهم ، فكانوا بذلك أرفع درجة من الظالمين لأنفسهم ، إلا أنهم لم يأتوا بمنتهى القربات فلم يجمعوا مع الفرائض النوافل والمستحبات ، الرافعة للدرجات ، وكذا لم يكفّوا أنفسهم عن فضول المباحات[٣]، وإنما اقتصروا على ما افترضه

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١٠٥) .

(٢) ذكر القرطبي ضمن الأقوال في معنى المقتصد أنه(هو الذي يعبد الله على الرغبة والرهبة) . انظر الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٥٤٣٠) وهذا التفسير يحتمل معنيين : معنى التقليل من شأن عبودية الرجاء والخوف والرغبة والرهبة وأن الدرجة العالية من العبودية لا يكون فيها رجاء مغفرة أو جنة ، ولا خوف من النار ، كما يزعم ذلك المتصوفة خلافًا للمعتقد الصحيح .والمعنى الثاني : معنى تعظيم شأن الرجاء والخوف واعتبارهما مع المحبة ركائز العبودية الحقة ، فأصحاب هذه الدرجة من العبودية يعرفون ربهم أكثر ، فيعرفون أنه الغفور الرحيم كما يعرفون أن عذابه هو العذاب الأليم ، ويتعبدون بمقتضى هذه المعرفة فيجمعون بين الرغبة والرهبة ، وهم بهذا أعلى من سابقيهم الذين يغلّبون جانباً على جانب . والظنّ في الإمام القرطبي أنه أورده على المعنى الثاني .

(٣) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص٨٥٥ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢ / ٣١٢) .

الله عليهم ، وانتهوا عما نهاهم عنه .

أما أعلى درجات العبودية ، فدرجة السابق بالخيرات : والسابق يدل في الأصل على الذي يصل إلى غاية معينة قبل غيره من الراغبين فيها[١] ، فالمراد به هنا : المُبرِّز[٢] الذي تقدم المجتهدين في طاعة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه[٣] .

فالسابقون بالخيرات هم الذين (تقربوا إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات)[٤] ، فهم يتتبعون محبوبات الله سبحانه وتعالى ليفعلوها موافقين له فيما أوجبه

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٠) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢ / ٤١٣) .

(٢) أي المتميز الذي برز على الجميع بسبقه لهم .

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٢ / ١٣٧) . وكذا قال العلماء السابق (هو الذي أخلص العمل لله وجرده عن السيئات) التفسير الكبير للرازي (٢٤ / ٢٥) ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي (٦ / ٤٩٠). وقيل : هو (الذي يعبد الله على الهيبة)، و الهيبة مزيج من المحبة والتعظيم ، والخوف والتوقير ، ذكره القرطبي في تفسيره (٦ / ٥٤٣٠) . وهذه الأقوال لا تبرز معنى السبق ولكنها تدل عليه بالتضمن إذ إن الإخلاص والهيبة متى عمرا القلب دفعا للسباق في الطاعة .

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص٥٥٨ .

وأحبه[١] ، بخلاف المقتصدين الذين هم موافقون لربهم فيما أوجبه عليهم فقط ، وكل واجب محبوب وليس كل محبوب واجباً[٢] .

وأصحاب هذه الدرجة عظمت في قلوبهم معرفة الله عز وجل ؛ عرفوه بصفات ربوبيته فتذللوا إليه ، وافتقروا إلى جنابه ، وتوكلوا عليه، راجين رحمته ،خائفين من عذابه . وعرفوه بصفات ألوهيته ؛ فأحبوه، واشتاقوا إلى لقائه ، وتنافسوا في التودد إليه ، واللهج بذكره ، والسرور بطاعته[٣]، فـ(سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه ، وشقوا الغبار[٤] في طلب مرضاته)[٥] ، مؤثرين محابه على محابهم ؛ فجمعوا بتذلل العبودية أنواع الطاعات والقربات سواء كانت من أعمال القلب أو أقوال اللسان أو أفعال الجوارح .

وهذه درجة الكُمّل من عباد الله الذين استجابوا للدعوة الإلهية في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فإنه (سبحانه يدعو عباده أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها ،

---

(١) من الأمر الشرعي بنوعيه الواجب والمستحب .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٣٠) .

(٣) انظر الفوائد لابن القيم ص١٣٠ – ١٣١ .

(٤) كناية عن سرعتهم في السباق و بذل الجهد والعناية لنيل رضا الله ، انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢ / ٣١٤) .

(٥) الكشاف للزمخشري (٤ / ٥٢) .

ويأخذوا بحظهم من عبوديتها)[١] وكلما زادت معرفتهم بأسمائه وصفاته عز وجل ؛ عظمت محبتهم له ، واشتد خوفهم من سخطه ، وقوي رجاؤهم في فضله ؛ فارتفعت بذلك وآثاره درجتهم .

ولهؤلاء السابقين (في هذا السبق تفاوت أيضا كخيل الحلبة)[٢] ، بحسب ما جمعوا من الخيرات والأعمال الصالحة ، فأعلاهم درجة الأنبياء فالصديقون فالشهداء فالصالحون ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩] . فهم في الجنة درجات ، كما هم في الدنيا درجات بحسب ما احتوت صدورهم عليه من الحب والتعظيم للمعبود الحق سبحانه وتعالى، وبحسب فضل الله عليهم أولا وآخراً . ومن أعلى درجاتهم درجة أهل التعبد المطلق الذين قال ابن القيم يصفهم : (وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق . والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد[٣] ... وصاحب التعبد

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٤٢٠) .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢ / ٣١٢) .

(٣) يقصد بأهل التعبد المقيد الذين يرون بعض أنواع العبودية أفضل من بعض فبعضهم يفضل أصعب المجاهدات معتقداً أن أفضل عمل هو ما كان شاقاً على النفس ، وبعضهم فضّل الزهد على غيره فتزهد ، وبعضهم رأى الاشتغال بما يكون فيه نفع عام هو الأفضل وهكذا . والمراد أنهم ينشغلون =

المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره ، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت . فمدار تعبده عليها فهو لا يزال متنقلا في منازل العبودية ... فإن رأيت العلماء رأيته معهم . وإن رأيت العباد رأيته معهم . وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم ، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم ، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم)[١] .

ومن هؤلاء السابقين أولياء الله المقربون[٢] الذين قال عنهم سبحانه وتعالى فيما يرويه محمد ﷺ : (إن الله قال : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها

= ببعض التعبد عن بعض ، كما في صفة الظالمين لأنفسهم من المؤمنين ، وبعض من المقتصدين والسابقين.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٩٠) .

(٢) ولكل مسلم حظ من ولاية الله ؛ فالظالم لنفسه من أهل الإيمان معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره ، وللمقتصد حظ أكبر ، ولكن السابق بالخيرات له منها أعظم الحظ والنصيب . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٧) ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ص٣٦٠ .

ورجله التي يمشي بهـــا[١] ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)[٢]، وقد شرفهم الله بهذه الولاية لتتبعهم محابه عز وجل فجمعوا مع امتثال الأمر بأداء الفرض وتعظيمه ، أداء النفل إيثاراً لرضى ربهم جل جلاله فجازاهم بالمحبة التي هي غاية مطلوبهم[٣] .

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس لكل درجة من هذه الدرجات أهل لها لا يتجاوزونها لأعلى منها ، ولا ينزلون عنها لأدنى منها ، بل السعي لتحقيق الكمال فيها هو كمال العبد واعترافه بعظمة الربوبية وإظهاره لذل العبودية .

والعبد قد يحقق درجة منها ، ثم ما يلبث أن ينزل درجات إذا ما اشتدت غفلته عن مقتضيات أسماء الله وصفاته . ثم هو قد يرتقي

---

(١) هذه كناية عن نصرة الله العبد وتأييده وإعانته ومحبة الله له وقربه منه ، وكذا عن عظيم إيمان العبد ووصوله لمرتبة الإحسان ، ولها توجيهات عدة تدل على هذا ، انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٣٦٤ ، وفتح الباري لابن حجر (١١ / ٤١٨) ،. وتذهب الاتحادية القائلون بوحدة الوجود إلى أن هذا دليل على الحلول ، قال ابن حجر : ولا متمسك لهم فيه لصراحة آخر الحديث في إبطال ذلك (ولئن سألني ، ولئن استعاذني) فكأنه رد صريح عليهم .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ص١٢٤٧ .

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (١١ / ١٤١٧) .

درجات إذا قويت بالله معرفته وعلت همته لنيل مرضاة الرب مع استعانة وتضرع .

فالعباد متقلبون في هذه الدرجات ، متفاوتون في نصيبهم منها ، والمطلب التالي يلقي الضوء على أكمل العباد تحقيقاً للعبودية وارتقاءاً في درجاتها العلية .

❁ ❁ ❁

المطلب الرابع

أكمل العباد تحقيقاً للعبودية

يرتقي عباد الله في درجات العبودية بحسب نصحهم فيها وسعيهم في تحقيقها ، وأهل الكمال في ذلك الذين سبقت لهم من الله الحسنى يتبوأون منها أرفعها بما يزدادونه من معرفة ربهم ، وإقبالهم على مرضاته ، مصداق قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد : ١٧]، فيزيدهم محبة له وتعظيما لقدره جل جلاله (وأكمل الخلق وأفضلهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهداهم أتمهم عبودية لله من هذا الوجه)[١]، وجه كمال المعرفة وكمال المحبة ، التي هي أصل تحقيق العبودية .

والمكملون لهذا هم عباد الله حقاً ، وهم أولياؤه المتقون ، وعلى رأسهم أنبياء الله ورسله[٢]؛ فعبوديتهم هي عبودية خاصة الخاصة التي

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢١٠)

(٢) بينما يزعم المتصوفة أن هناك خاتماً للأولياء وأنه أفضل من الأنبياء والمرسلين !! انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية =

لا يستطيع أحد أن يباريهم فيها[١] قال ابن تيمية : (إن الأنبياء والمرسلين : عرفوا الله بالوحي المعرفة التي هي معرفة[٢]، وعبدوه العبادة التي هي حق له بحسب ما منحهم الله تعالى)[٣]، وهم أشد الناس

ص٥٩٦ ، وانظر رد ابن تيمية عليهم في الفتاوى (٢ / ٢٢٠) ، وكذا الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤ / ٢٦٦) ، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٥٨١ . والتصوف لإحسان إلهي ظهير ص١٨٨ . وكذلك تزعم طوائف من الشيعة يقول الدكتور الأشقر : (خالفت في هذه المسألة التي أجمعت عليها الأمة طوائف من الذين ينتسبون إلى الإسلام ومنهم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية إذ يقول أحد علمائهم المعاصرين : (إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل) انظر للتوسع كتابه الرسل والرسالات ص ٢١٢ وما بعدها .

(١) انظر القول المفيد للعثيمين (١ / ٣٦) .

(٢) يريد بذلك ـ والله أعلم ـ المعرفة الصحيحة المستلزمة للاهتداء ، والتنبيه على أن هناك معرفة ليست بمعرفة حقيقة لضلالها عن المنهج الحق كمعرفة كثير من المتكلمين والمتصوفيين التي مصدرها أقيسة عقلية وبراهين نظرية أو رياضات ومجاهدات قد تفضي إلى شيء من المعرفة إلا أنها معرفة مطلقة مجملة مثل ثبوت الوجود ، ووجوب الوجود . وقد تصل بالبعض للإلحاد أو القول بالحلول والاتحاد . انظر للتوسع مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٦٣ وما بعدها) .

(٣) المرجع السابق (٢ / ٦٧) .

اجتهاداً في العبادة لما امتن عليهم به من معرفته ، وهم دائبون على شكره ، معترفون له – مع تمام اجتهادهم – بالتقصيرعن أداء حقه[١] .

وقد وصفهم الله بالعبودية في مقام تكريم شأنهم ، فقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ ﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن محمد ﷺ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال في آخرين من الرسل : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۝٤٥ ﴾ [ص: ٤٥].

وهم برغم عظيم قدرهم في تحقيق العبودية[٢] متفاوتون في المراتب ، متفاضلون في الدرجات ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥]، فأعلاهم درجة أولو العزم من الرسل ، ثم باقي الرسل فالأنبياء[٣] .

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١١ / ٢٢١) .

(٢) انظر للفائدة نماذج من تعبد الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم محمد ﷺ وأولو العزم عليهم السلام ذكرها التوني في كتابه عبودية الكائنات لرب العالمين ص١٦٩ وما بعدها

(٣) انظر للتوسع النبوات لابن تيمية ص ٤٢ ، وكذا الرسل والرسالات للأشقر ص ٢١٧ .

وأكمل أُولي العزم نبينا محمد ﷺ[١] الذي وصفه الله تعالى بالعبودية في مواطن كثيرة منها قوله (: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ۝١ ﴾ [الفرقان : ١]، وقوله (: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ [الإسراء: ١].

كما أنه ﷺ كان ينهى المسلمين عن إطرائه ، ويحب أن يصفوه بالعبودية فيقول : (إنما أنا عبد الله ؛ فقولوا عبد الله ورسوله)[٢].

---

(١) بين العلماء أنه لا يتعارض هذا القول مع قول رسول الله ﷺ الثابت في الصحيحين : (لا تفضلوني على الأنبياء) فالنهي الوارد فيه له توجيهات عدة منها : أن التفضيل المنهي عنه إنما هو ما كان على وجه الحمية والعصبية كما في حال التخاصم والتشاجر مع أهل الكتاب الذي هو سبب ورود الحديث ، أوكذا إن كان على وجه الانتقاص من المفضول . كذلك أنه نهي عن التفضيل بالرأي فإن مقام التفضيل ليس إلى أحد وإنما هو إلى الله عز وجل بحسب ما من على بعضهم من تكليم أو كتاب أو اجتهاد في عبادة الله والدعوة إليه أكثر من غيره ، انظر للتوسع تفسير ابن كثير (١ / ٢٦٣)، و شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٥٢١ وما بعدها ، وكذا فتح الباري لابن حجر (٦ / ٥٥١) .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا** ﴾ ص٤٤٦ ، ونحوه عند مسلم في الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، باب =

وكان ﷺ أعرف الخلق بربه جل جلاله [١]، متعبداً له بجميع أسمائه وصفاته. وسيرته ﷺ تترجم هذا، فقد كان ﷺ يظهر ذله وافتقاره في كل شأنه: يكثر من الاستغفار والتوبة، حدّث عن ذلك بقوله: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)[٢].

ويكثر من الدعاء، ويلحّ فيه ويتضرع لربه السميع المجيب، الجواد الكريم، حتى أن أبابكر الصديق (أشفق عليه يوم بدر من كثرة ما بكى وتضرع فأخذ بيده وقال له: حسبك يا رسول الله[٣].

وكان ﷺ كثير العبادة والتهجد في الليل، يقوم ليصلي حتى تـــــرم[٤] قدماه أو ساقاه، فيقال له فيقول: (أفلا أكون عبداً شكوراً)[٥].

= فتح مكة ص٧٤١.

(١) انظر مطلب أكمل العباد معرفة بالله في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ص١٢١٣.

(٣) أخرج البخاري نحوه في الصحيح، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] ص٧٥٢.

(٤) أي تنتفخ وتتشقق لطول قيامه وركوعه وسجوده.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل ص٢٢٤. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة والنار، باب إكثار العمل والاجتهاد في العبادة ص١١٣٤

وكذا كان كثير الصيام ، دائم الحمد والثناء على ربه بما هو أهله .
وكان متواضعاً في تعامله ،كريماً في أخلاقه ؛ قيل في وصفه وقت دخوله مكة يوم الفتح : (أن النبي ﷺ دخل مكة وذقنه على راحلته متخشعاً)[١]، فحياته كلها دليل على كمال عبوديته . وكيف لا يكون كذلك وهو أعرف العباد بالله جل جلاله ؟ .

ثم أكمل العباد بعد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : أمة الإسلام ، إذ إن دينهم الخاتم الذي اصطفاه الله لهم أكمل الأديان ، ومعرفتهم بربهم وعبوديتهم له أكمل من غيرهم[٢]، قال ابن تيمية : (محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها ، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم)[٣].

وأكمل هذه الأمة صحابة رسول الله ﷺ فإنهم عرفوا الله من أعرف الخلق به ، وتربوا في مدرسة النبوة وتعاهدهم الرسول الكريم ﷺ بالتربية، وعرّفهم بربهم جل جلاله وبأسمائه وصفاته ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الرقاق (٤ / ٣١٧) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ، ووافقه الذهبي ، وانظر الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٣٨٨ .

(٢) سيأتي مطلب أكمل العباد معرفة بالله عز وجل، في الفصل التالي.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢١٠)

فكان أمامهم ﷺ قدوة يترجم المعرفة إلى عبودية خاشعة ذكراً وحمداً وثناءاً ، رغبة ورهبة ، محبة وهيبة متعبداً لله بكل أسمائه وصفاته .

وأفضل الصحابة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وأمثالهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، متفاوتون متفاضلون فيما بينهم ،كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة[(١)] .

ثم باقي القرن الأول من الجيل الذي صحبه رسول الله ﷺ كما أخبر في الحديث الصحيح : (خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)[(٢)] .

ولا يمنع هذا من أن يكون في المتأخرين أناس من السابقين ، وفي الأولين أناس من المقتصدين ، إلا أن السابقين الأولين أفضل قطعاً من

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٢٢٣) . والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص٥٩٧ . وقد أورد البخاري كثير منها في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، انظر فتح الباري لابن حجر (٧ / ٢٢ وما بدها) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أصحاب النبي ﷺ ص٦٩٧ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ص ١٠٢٤ .

السابقين المتأخرين[١]، فقد كانوا أعظم اهتداءاً واتباعاً للآثار النبوية ؛ فهم أعظم إيماناً وتقوى وهم أكمل تحقيقاً للعبودية[٢].

وكلما سعى العبد في تقوية معرفته بالله ، واستحضار معاني أسمائه الحسنى وصفاته العلا ، وسعى للاهتداء بهدي محمد ﷺ اهتداءاً تاماً ، وتشبّه بالصحابة الكرام في ذلك فإن عبوديته لله عز وجل تكمل ، إذ(أكمل هذه الأمة في ذلك أصحاب محمد ﷺ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل)[٣].

وهكذا يرتقي العبد في درجات العبودية مرتقى عالياً ، ويمن عليه سبحانه وتعالى من فضله ما لا يخطر له ببال[٤]، فقد كان صحابة

---

(١) ذكر ابن حجر أقوال العلماء في هذه المسألة وناقشهم ، ثم رجح القول بأنه لا أحد يعدل صحابة رسول الله ﷺ ممن حصل لهم الذب عنه والسبق والهجرة أو النصرة في الفضل ممن يأتي بعدهم من المتأخرين ، أما من لم يحصل لهم إلا مجرد مشاهدة الرسول ﷺ – على فضلها – فقد يكون في المتأخرين من يعدلهم في الفضل – والله أعلم – انظر فتح الباري (٧/٨).

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٢٢٧) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢١٠)

(٤) انظر المرجع السابق (١١ / ٢٩٠) .

رسول الله ﷺ أفراداً من مجتمع جاهلي مشرك، وعندما أكرمهم الله بالإسلام ، وأنعم عليهم بصحبة خير الأنام محمد ﷺ ؛ أصبحوا قدوة حية لكل عباد الله في تحقيق العبودية بإخلاصهم في توحيد الله عز وجل الذي بنوعه الأول(١) تكمل معرفتهم له سبحانه وتعالى ، وبنوعه الثاني تكمل عبادتهم وبمجموع نوعيه تكمل عبوديتهم محبة وذلا وطاعة له جل جلاله .

والمبحث التالي يُفصّل معنى التوحيد ،وحقيقته ، وأنواعه ، إذ إن تحقيقه هو لب تحقيق العبودية .

❁ ❁ ❁

---

(١) المراد بالنوع الأول : توحيد المعرفة والإثبات ، والنوع الثاني توحيد القصد والطلب ، وسيأتي تفصيل هذا في المبحث التالي .



المبحث الثالث

التوحيد الذي به تتحقق العبودية

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطــــلب الأول : معنى التوحيد في اللغة .

المطــلب الثاني : معنى التوحيد في اصطلاح أهل السُّنة والجماعة .

المطــلب الثالث : أقسام التوحيد عند أهل السُّنة والجماعة .

المطــلب الرابع : العلاقة بين أقسام التوحيد .



المطلب الأول

معنى التوحيد في اللغة

التوحيد مصدر من (وحد) التي تستعمل في اللغة مع اشتقاقاتها للدلالة على معنى التفرّد .

فمعنى (توحّد : تفرّد ، يقال : توحّد الله بربوبيته وجلاله وعظمته : تفرّد بها)[١] . و(الوحدة : الانفراد)[٢] . و(الوحدانية مصدر من الوحدة بزيادة الألف والنون للمبالغة، وصفة من صفات الله تعالى معناها : أنه يمتنع أن يشاركه شيء)[٣]، وهي (حالة المتوحد)[٤] .

(١) أساس البلاغة للزمخشري (٢ / ٤٩٥) ، وانظر المعجم الوسيط (٢ / ١٠١٧).

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٢ / ٥٤٧) .

(٣) المعجم الوسيط (٢ / ١٠١٧) .

(٤) المتوحد صفة تطلق على المتفرد بعلم أو نحوه من الصفات ولكنها ليست من صفات الله سبحانه وتعالى حيث لم ترد في كتاب الله وسنة نبيه وهما المصدران الوحيدان لأسماء الله وصفاته ، وقد أخطأ صاحب القاموس المحيط إذ قال : والله الأوحد والمتوحد ، انظر (١ / ٣٤٣) ، بينما نبّه الزبيدي في =

يقال : (وحّد ، يوحد : أي جعل الشيء واحداً)[١]. و(الواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة)[٢] .

وكذلك (يطلق الواحد على المتقدم في علم أو بأس أو غير ذلك، كأنه لا مثل له فهو وحده لذلك)[٣] .

يقال : فلان وحّد الله سبحانه : أي أقر وآمن بأنه واحد[٤]. و(يقال : وحِّد ربك توحيداً وأوحده ، وأحِّده ، والتوحيد : الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له)[٥].

= تاج العروس (٢ / ٥٣٧) على ضرورة التوقف ـ فيما يختص بأسماء الله وصفاته ـ على ما جاء في الكتاب والسنة موافقًا بذلك معتقد أهل السنة والجماعة .

(١) لسان العرب لابن منظور (٣ / ٤٥٠) ، و انظر التعريفات للجرجاني ص٧٣ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٨٥٧ .

(٣) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٣ /٩١٨) ,ولسان العرب لابن منظور (٣ / ٤٤٧) ، و تاج العروس للزبيدي (٢ / ٥٣٥) .

(٤) المعجم الوسيط (٢ / ١٠١٦) .

(٥) لسان العرب لابن منظور (٣ / ٤٥٠) ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (١ /٣٤٣) ، وتاج العروس للزبيدي (٢ /٥٣٦)، والمعجم الوسيط (٢ /١٠١٧).

الخلاصة أن مادة (وحد) واشتقاقاتها في اللغة (تدور حول انفراد الشيء بذاته أو بصفاته أو بأفعاله وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه . وإذا عُدّي بالتضعيف فقيل : وحّد الشيء توحيداً ، كان معناه : إما جعله واحداً ، أو اعتقده واحداً)[١] .

ومن هذا الأخير – اعتقده واحداً – اصطلح علماء أهل السنة والجماعة على المراد بالتوحيد[٢] كحق لله على العبيد[٣] ، وتفصيل هذا في المطلب الثاني .

❁ ❁ ❁

---

(١) دعوة التوحيد لهراس ص١١ .

(٢) لأن الله عز وجل واحد وحدة ذاتية ليست بجعل جاعل ، انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٥٧) .

(٣) لفظة التوحيد تطلق على حق الله على العبيد في العبادة والاعتقاد ، وتطلق كذلك على العلم الذي يبحث فيه عن أدلة وجود الله وصفاته ، وعن الرسل ، والغيبيات وسمي بالتوحيد نسبة لأهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل وفي العبادة ، انظر المدخل لدراسة العقيدة للبريكان ص١٠ ، ورسالة التوحيد لمحمد عبده ص٨ ، وجمعت دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي (١٠/ ٦٤٥ وما بعدها) تفصيلاً لتعريف لفظة التوحيد .

المطلب الثاني

معنى التوحيد عند أهل السنّة والجماعة

جاءت الدعوة للتوحيد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بجملة واحدة هي : "لا إله إلا الله" . فهذه الشهادة هي كلمة التوحيد الدالة عليه في الكتاب والسنة ، ولم يكن له فيهما غيرها من تعريف ، فالشهادة تعريف كاف للتوحيد لمن يعرف العربية ، يفهم منها توحّده بالربوبية ووجوب إفراده بالألوهية . وقد عرف ذلك مشركو قريش وعرفوا ما يقتضيه إقرارهم ونطقهم بها ، ولهذا أحجموا عن قولها ماداموا لا يرغبون في القيام بمقتضياتها ، ولو كانت كلمة بغير مقتضى ولا مدلول لما يتصور من قريش خاصة أن تقف من أجلها موقف العداء الشديد الذي وقفته[١] .

ولكن عندما ضعف فهم العربية وضعف فهم نصوص الوحي ، وظهرت الفرق المخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ؛ احتاج الأمر

---

(١) انظر مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد قطب ص ٢٥ .

إلى بيان أكثر ، فاهتم أئمة أهل السنة والجماعة[١] كثيراً بتفسير "لا إله إلا الله" وبيان مدلولها ومقتضياتها ؛ ليفسروا حقيقة التوحيد[٢] الذي هو حق الله على العبيد .

وفيما يلي عرض ومناقشة لبعض أقوال أئمة أهل السنة في بيان معنى التوحيد :

قال الإمام أبو حنيفة موضحا معنى التوحيد :

---

(١) أهل السنة والجماعة وأهل التوحيد هم من كانوا على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من اتباع الكتاب والسنة ، وسموا أهل السنة لأنهم متمسكون بها ، وسموا أهل الجماعة لأنهم مجتمعون عليها ، وقد ادعى غيرهم أنهم أهل السنة والجماعة وأهل التوحيد ، فادّعى ذلك الأشعرية والماتريدية وغيرهم ! والحق أنهم خالفوا السنة ولم يجتمعوا عليها ، انظر مدارج السالكين (٣ / ٤٤٩) . وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١ /٥٢) ، والمدخل لدراسة العقيدة للبريكان ص١٣ .

(٢) خالفت طوائف من أهل النظر والكلام ومن أهل الإرادة والعبادة في مسمى التوحيد حتى قلبوا حقيقته في نفوسهم فالمعتزلة يعنون به أصولهم الخمسة ، وما اعتقدوه من نفي الصفات الإلهية ، بينما أطلقه غلاة الصوفية على اعتقاد وحدة الوجود . انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٤٥٩ ففيه بين ابن تيمية أقوالهم وأظهر غلطهم ورد عليهم ، و انظر فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٣٤٨) باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله حيث أورد ابن حجر أقوال الفرق وفنّدها .

(... والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له ، ولا يشبهه شيء من خلقه ، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية[١])[٢] وقد سبق هذا بقوله : (يجب أن يقول ـ أي العبد ـ)[٣] .

---

(١) أسماء الله عز وجل وصفاته هي ما سمى أو وصف بها نفسه أو سماه أو وصفه بها نبيه محمد ﷺ ، وذكر العلماء فروقًا بين الأسماء والصفات منها : ١- أن كل اسم يتضمن صفة ، ولا تتنافى اسميته مع وصفيته ، فكل اسم صفة ، وليست كل صفة اسماً . ٢- أن الأسماء تدل على الذات مع دلالتها على الصفات ، بينما تدل الصفات على معنى قائم بالذات فقط . ٣- أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء ، فالصفات تنقسم إلى : صفات ذاتية وهي التي لا تنفك عن ذات الله عز وجل مثل اليدين والوجه والعينين والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها . وصفات فعلية وهي المتعلقة بمشيئته سبحانه وتعالى مثل الرضا والغضب والنزول والمجيء والمعية -التي بمعنى النصرة -ونحو ذلك ، وبعضها لا يسمى الله بها مثل صفة اليدين والوجه ، وكذا بعض صفات فعله نحو المكر بالكافرين وخداعهم ، ونزوله إلى السماء الدنيا . انظر للتوسع شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١ /٨٧) ، أسماء الله الحسنى للغصن ص١٣٩ .

(٢) الفقه الأكبر مع شرحه للقاري ص ١٣ وقد سبق الشارح هذه العبارة بقوله: ثم الإمام الأعظم أوضح معنى التوحيد .

(٣) ولهذه البداية اعتبار لدلالتها على توحيد العبد لربه باعتقاده وإقراره ، =

فتعريف التوحيد عنده : الإقرار بأن الله واحد لا شريك له ولا شبيه.

وهذا التعريف يبرز النوع العلمي[١] من معنى التوحيد ، ويدل على الجزء العملي بالالتزام ؛ إذ إن الإقرار بالوحدانية ونفي الشريك يستلزم قطعاً إفراده بالعبادة[٢] .

= فوحد الله أي اعتقده واحداً فعامله على ضوء ذلك بإخلاص العبادة له ، والله سبحانه واحد وإن لم يوحده الناس ، وإنما سمي إفراده بالعبادة توحيداً لأن العبد باعتقاده ذلك قد وحد الله فآمن به وحده مدبراً خالقاً وأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة وأنه يستحق العبادة وحده دون كل ما سواه ، انظر مجموعة فتاوى ابن باز (١ /٣٧) . وقد قيل في تعريف التوحيد : (أن الله منفرد في الذات في عدم المثل والنظير وأنه منفرد في كماله لا يشاركه غيره ، منفرد بالإيجاد والتدبير ، منفرد في ربوبيته) انظر المعجم الفلسفي لصليبا (١/ ٣٦٠) والموسوعة العربية الميسرة (١/ ٥٥٥) ، وهو تعريف قاصر على حقه تعالى في الربوبية ولا يبين حقه في الألوهية و العبودية .

(١) سيأتي تفصيل هذا في أقسام التوحيد في المطلب التالي .

(٢) ومثل هذا تعريف الإيمان عند أبي حنيفة ، فهو لا يدخل الأعمال في مسمى الإيمان ، وإن كان يرى كباقي أئمة أهل السنة أن من صدق بقلبه ، وأقر بلسانه ، وامتنع عن العمل بجوارحه : فهو عاص لله ورسوله مستحق للوعيد ، انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٦٢ .

كما وردت تعاريف أخرى تركّز على الجانب العلمي[١]، وربما كان هذا التركيز – والله أعلم – إنما هو للرد على الفرق المتكلمة في الصفات مابين نفاة ومشبهة ومعطلة وغيرهم .

وفي المقابل ركّز كثير من العلماء على الجزء العملي من معنى التوحيد ، ومن ذلك قول ابن تيمية : (التوحيد ضد الشرك)[٢]. فهذا التعريف على إيجازه وإبرازه للجزء العملي للتوحيد إلا أنه يشمل التوحيد كله من وجه ؛ فإفراده تعالى بالعبادة وحده دون شريك ، لا يُتصور إلا ممن يفرده في الربوبية وفي أسمائه وصفاته[٣]، والشرك في الألوهية يتضمن الشرك في الربوبية والأسماء والصفات[٤] .

(١) نحو ما أورده قوام السنة الأصبهاني في الحجة من تعاريف التوحيد فقال : (قال بعض العلماء : التوحيد نفي التشبيه عن الله الواحد ، وقيل: التوحيد نفي التشبيه عن ذات الموحد وصفاته ، وقيل : التوحيد العلم بالموحد واحداً لا نظير له) وهي تعاريف تبرز الجانب العلمي وإن كانت تدل على العملي بالالتزام أو التضمن ، انظر الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١ / ٣٠٦) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ٥٢) .

(٣) سيأتي تفصيل أقسام التوحيد في المطلب التالي .

(٤) انظر معارج القبول للحكمي (١ / ٤٣٥) .

وتتضح حقيقة التوحيد أكثر بالتعريف العام ، وهو : (إفراد الله بما يختص به)[١]، إذ يدخل في عموم هذا الإفراد كل ما هو خاص بالله سبحانه وتعالى من أسماء وصفات وربوبية وألوهية .

كما بيّن العلماء المعاصرون معنى التوحيد بتعريف مفصّل ، جامع مانع ، فقال ابن سعدي[٢]: هو (علم العبد واعتقاده واعترافه بتفرد الرب بكل صفة كمال ، واعتقاد أنه لا شريك له ولا مثيل في كماله ، وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، وإفراده بالعبادة)[٣]، ففصّل فيه ما يجب أن يفرد الله عز وجل به ؛ فلا يكون له شريك في ذاته وصفاته وكذا في عبادته ومعاملته سبحانه وتعالى .

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣ / ٤١٠) ، وقسم العقيدة من فتاوى المرأة المسلمة (١ / ١٠٥) .

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مشهور بابن سعدي ، من كبار علماء نجد المعاصرين ، ولد بعنيزة عام ١٣٠٧هـ ، نال حظاً وافراً في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه ، جلس للتدريس وعمره ثلاث وعشرين سنة ، له مؤلفات كثيرة ، توفي سنة ١٣٧٦هـ انظر الأعلام للزركلي (٣ / ٣٤٠) . ومقدمة الناشر لكتابه طريق الوصول إلى العلم المأمول ص١١ .

(٣) سؤال وجواب في أهم المهمات لابن سعدي ص٦١ . وانظر مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (١/ ٣٧) ، والقول المفيد للعثيمين (١ / ١١) .

وهو تعريف مستند على الدلالة الواضحة لـ"لا إله إلا الله" : إذ إنها تدل بالمطابقة على التفرد في الألوهية فلا تصرف العبادة إلا له وبالالتزام على تفرده في الربوبية ، كما تدل على اتصافه عز وجل بكافة صفات الكمال والجلال بالتضمن[١]، فهي الكلمة المفسرة للتوحيد من ناحية العلم ومن ناحية العمل[٢]. وهي الكلمة الجامعة لحق الله عز وجل على العباد ، وتفصيل هذا الحق هو ما بيّنه أهل السنة والجماعة في أقسام التوحيد التي يبيّنها المطلب التالي .

❁ ❁ ❁

---

(١) تقدم بيان معنى دلالة التضمن والمطابقة والالتزام ص ٤٠ .

(٢) انظر كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب ص١٦ .

المطلب الثالث

أقسام التوحيد عند أهل السنّة والجماعة

لله عز وجل حقوق يجب إفراده بها ، وهذا الإفراد هو التوحيد الذي تعبّدنا الله به ، وتنقسم حقوق الله تعالى إلى : (حقوق ملك ، وحقوق عبادة ، وحقوق أسماء وصفات؛ ولهذا قسم العلماء التوحيد[١] إلى ثلاثة أقسام[٢] :

---

(١) لا اعتبار لقول المعترضين على تقسيم التوحيد-أمثال حسن السقاف في كتابه "التنديد بمن عدد التوحيد"-واعتبار ذلك نظير القول بالتثليث في النصرانية !! إذ لا وجه للشبه بين سلب حق التفرد في الألوهية الذي قال به النصارى ، وبين إبراز كل الحق -حتى لايقع التفريط فيه - الذي قال به أهل السنة والجماعة ، انظر تفصيل الرد على هذا الاعتراض في كتاب "القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد" لعبد الرزاق البدر.

(٢) قسم غير أهل السنة كالأشاعرة ومن وافقهم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أخرى : الأول : أنه واحد في أفعاله لا شريك له ، والثاني : أنه واحد في ذاته لا قسيم له ، والثالث أنه واحد في صفاته لا شريك له ، ولا يبرز في هذا التقسيم حق الله في العبادة ، قال ابن تيمية عنه : (وهذا التوحيد من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به كل الواجب ولا يخلص بمجرده عن =

توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد العبادة)[١]، وأئمة أهل السنة إنما (علموا ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة ، وكلها تدخل في التعريف العام للتوحيد وهو إفراد الله بما يختص به)[٢]. وفيما يلي بيان هذه الأقسام[٣] :

أولا : توحيد الربوبية : وهو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة وسائر أنواع التصريف والتدبير لملكوت السماوات والأرض ، وإفراده بالحكم والتشريع بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، قال تعالى : ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٤]، وهذا التوحيد هو الذي فطرت عليه الخلائق بعبوديتها العامة

= الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله بل لابد من أن يخلص لله الدين والعبادة) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص٤٦٠ ، وللمتصوفة قسمة أخرى رد عليها العلماء انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤٠ ، ومدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٤٤٤) .

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين (١ / ٢٦) .

(٢) فتاوى المرأة المسلمة لمجموعة من العلماء - قسم العقيدة - (١/ ١٠٥). وانظر أضواء البيان للشنقيطي (٣ / ٤١٠) .

(٣) للتوسع في معرفة الأقسام وأدلتها ودلالة القرآن عليها ، انظر دعوة التوحيد لهراس ص١٥- ٦٢ ، شرح الواسطية للعثيمين (١/ ٢١ - ٣٥).

لربها عز وجل وأقر به المشركون ولم يخرجهم من الشرك الذي وصفهم به القرآن ولم يدخلهم في الإسلام بدليل مقاتلة رسول الله ﷺ لهم برغم إقرارهم به[١].

ثانياً : **توحيد الألوهية** ، ويسمى توحيد العبادة[٢] : وهو إفراد الله تعالى بالعبادة ، فلا يُعبد غيره ، ولا يُدعى سواه ، ولا يُستغاث ولا يُستعان إلا به ، ولا يُنذر ولا يُذبح ولا يُنحر إلا له ، قال تعالى :﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقال : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾** ﴾ [الكوثر: ٢]، وهو التوحيد الذي كانت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم ، فلم يقر به المشركون ، وبه يفترق الناس لمؤمن موحد أو كافر مشرك .

---

(١) ركّزت بعض المذاهب على هذا النوع من التوحيد واعتبرته غاية الوجود ، من المذاهب التي قالت بهذا على سبيل المثال : الأشعرية والصوفية وقد رد عليهم ابن تيمية في أكثر من موضع في مؤلفاته : انظر درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٢٦ وما بعدها) ، ومجموع الفتاوى (٣ / ٩٧) وما بعدها .

(٢) باعتبار إضافته إلى الله عز وجل يسمى توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته للعبد يسمى توحيد العبادة .

ثالثاً : توحيد الأسماء والصفات : وهو وصف الله تعالى وتسميته بما وصف وسمى به نفسه ، وبما وصفه وسماه به رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة ، وإثبات ذلك له من غيرتحريف[١] ولا تعطيل[٢]، ومن غير تكييف[٣] ولا تمثيل[٤] ، قال تعالى :

(١) التحريف في باب الأسماء والصفات يعتي تغيير ألفاظها أو معانيها عن مراد الله بها ، ويطلق عليه أيضا التأويل . انظر شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص٢٧ ، و المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٣٤ ، ومعجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح ص٨٢ .

(٢) التعطيل في باب الأسماء والصفات يعني نفي الأسماء والصفات أو بعضها أو نفي معانيها وإنكار قيامها بذات الله تعالى ، . انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٣٣ ، ومعجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح ص٩١ .

(٣) التكييف في باب الأسماء والصفات يعني حكاية كنه وحقيقة مالا يعلمه إلا الله من معاني أسمائه وصفاته ، انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص ٣٦ ، ومعجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح ص٩٧ .

(٤) التمثيل في باب الأسماء والصفات يعني مساواة غير الله بالله ذاتًا وصفات أو العكس ، والفرق بينه وبين التكييف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل ، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل ،انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٣٤ ، وشرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص١٥ ، ومعجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح ص٩٩ .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] ، وفي هذا القسم كثر النزاع بين أهل القبلة ، وافترقوا فرقاً حادت كلها عن المنهج الحق إلا من كانوا على ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ؛ وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة[١] .

وهذا التقسيم الثلاثي للتوحيد[٢] قال به كثير من علماء أهل السنة والجماعة : ذكره الطحاوي[٣] وهو يبين المعتقد الحق ، فقال : (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله واحد لا شريك له ،

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١ / ٢١ وما بعدها) ، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١ / ٢٠) .

(٢) وقد يجعل قسمين فقط الأول توحيد الربوبية ويدخل فيه توحيد الأسماء والصفات والثاني توحيد الألوهية ، أو أربعة أقسام فيفصل توحيد الصفات عن توحيد الأسماء ، كما عند ابن مندة . وإنما يدمج أو يفصل على حسب ما يظهر للعلماء في كل عصر من تقصير الناس أو ضلالهم في جانب فيفرد ويبين للإيضاح والتبيين فليس المراد بالتقسيم أن له أنواعا متباينة ؛ بل أنه فقط لإبراز أنواع الحق الواجب لله وتوحيده .

(٣) هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر ، محدث فقيه حنفي ، وله مصنفات عدة أشهرها "العقيدة السُنية السَنية" المشهورة بالعقيدة الطحاوية ، توفي بمصر سنة ٣٢١هـ . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٥١ / ٢٧) وشذرات الذهب لابن العماد (٤ / ١٠٥) والأعلام للزركلي (٢ / ٢٨٨) .

ولاشيء مثله ، ولا شيء يعجزه ، ولا إله غيره)[١] حيث يدل قوله هذا على أن التوحيد الحق شامل للأقسام الثلاثة وإن لم يصرح بمسماها ، فقوله : (لاشيء مثله) في توحيد الأسماء والصفات ، وقوله : (ولاشيء يعجزه) في توحيد الربوبية، وقوله :(ولا إله غيره) في توحيد الألوهية[٢] .

كما ذكره ابن بطة[٣] في بيانه لمعتقد الفرقة الناجية وإيمانهم بالله ، فقال : (الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء : أحدها : أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً . والثاني : أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٧ .

(٢) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥ وما بعدها ، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للعبود ص١٩٢ .

(٣) هو أبو عبد الله ، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري ، محدث وفقيه حنبلي ، له رحلة طويلة في طلب العلم ، اشتهر بالعبادة والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توفي سنة٣٨٧هـ . انظر طبقات الحنابلة لابن أبي على (٢ / ١٤٤) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٦ / ٥٣٠) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٤ / ٤٦٤) ، والأعلام للزركلي (٣ / ١٩٧) .

معه في العبادة غيره . والثالث : أن يعتقدوه موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه)[١] فبين أقسام حق الله تعالى التي هي أقسام التوحيد .

وكما ذُكر هذا التقسيم في كتب السلف القديمة [٢]، ذُكر كثيراً في الكتب الحديثة[٣]، وهو على اعتبار النظر إلى الواحد سبحانه وتعالى وما يجب له من حقوق على عباده ، أما بالنظر إلى العبد الموحد وما يطلب منه من واجبات ، فالكلام في التوحيد يكون من مقامين :

١- مقام الخبر : حين يطلب من الموحد مجرد العلم والمعرفة والإثبات.

٢- مقام الطلب : إذا طلب منه توجيه القصد والعمل[٤] .

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة ص٦٩٣ .

(٢) انظر كتاب الفقه الأكبر مع شرحه للقاري ص٨-٩ ، و انظر مقدمة كتاب التوحيد لابن منده (١ / ٣٢) .

(٣) انظر على سبيل المثال : معارج القبول للحكمي (١ /٩٨) ، سؤال وجواب في أهم المهمات لابن سعدي ص٦٦ ، تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام لابن باز ص٣٢ .

(٤) انظر دلائل التوحيد للقاسمي ص١١٧ .

وعلى أساس هذا قسم العلماء التوحيد إلى قسمين :

القسم الأول : التوحيد العلمي الخبري[١] : (ومداره على إثبات صفات الكمال ونفي التشبيه والمثال)[٢]، والمطلوب من العبد : العلم بما جاء في الخبر الصحيح من الكتاب والسنة بتفرد الرب سبحانه بالخلق والتدبير وكافة صفات الكمال وتنزيهه عن كل نقص ، والقول بذلك وإثباته . وهذا يتناول جانبين :

١- جانب يعلم بالفطرة ، وهو المتمثل في الاعتراف بالربوبية . وعكسه الكفر والجحود .

٢- جانب يعلم بالسماع والخبر ، وهو المتعلق بالأسماء والصفات . وعكس هذا النوع من التوحيد يسمى التعطيل وهو : إنكار ما أثبت الله (لنفسه من الأسماء والصفات سواء كان كلياً أو جزئياً ، وسواء كان ذلك بتحريف للمعنى أو جحود[٣] .

---

(١) معجم ألفاظ العقيدة ص١٠٤ . ويسمى كذلك "التوحيد الاعتقادي القولي" ؛ انظر القول الواضح المبين لابن سعدي ص٢١٢ ، و"النظري" انظر العقيدة في الله للأشقر ص ٢٩٢ . و "توحيد المعرفة والإثبات" انظر شرح الطحاوية ص٣١ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٢٥) .

(٣) وقد أطلق مسمى المعطلة على أصناف من أهل الفلسفة والكلام الذين عطلوا صفات الله أو بعضها سواء كان ذلك بالنفي أو التحريف ، انظر معجم ألفاظ العقيدة ص ٩١ .

وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا النوع كل الإفصاح قال تعالى :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]، ففي السورة إثبات الكمال لله جل جلاله وتنزيهه عن كل نقص وعن الشبيه والمثيل .

القسم الثاني : التوحيد العملي القصدي(١): وهو إفراد الله بالعبادة قولا وقصداً وفعلا . فالمطلوب من العبد فيه : توجيه الإرادة والطلب والقصد لله وحده لا شريك له، وإفراده بالعبادة . وعكس هذا النوع يسمى الشرك ، وهو في الجملة صرف شيء من العبادة لغير الله(٢) .

ودلالة القرآن الكريم على هذا النوع كثيرة أيضاً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون: ١ – ٦]، حيث بينت بوضوح البراءة من

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢٦٤) ، ويسمى كذلك "توحيد الإرادة والقصد" انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٢٥) ، وكذا "توحيد الطلب" انظر توضيح المقاصد وتصحيح العقائد لابن أبي عيسى(٢ / ٢٦٠) .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٤٠٢) .

الكافرين ومعبوداتهم ، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

وخلاصة القول : أن التوحيدإذا ذكر مطلقاً – عند أهل السنة – دل على الأنواع الثلاثة مجتمعة ، وإذا ذكر أحدها فقط دخل الآخران في معناه بطريق التضمن أو الالتزام، أشار لهذا المعنى ابن تيمية بقوله: (وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية ، والروبية تستلزم الإلهية فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران)[١] . فالتوحيد الواجب الذي به تتحقق العبودية ، الذي هو ضد الشرك والتعطيل معاً ، لا يتم إلا بأداء حق الله كله من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، شاملا المعرفة والإثبات والقصد والطلب .

والمطلب التالي يفصل العلاقة بين أنواع التوحيد .

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢٨٤) .

المطلب الرابع

العلاقة بين أقسام التوحيد

التوحيد علم وعمل ، علم بأسماء الله وصفاته وربوبيته ، وعمل على إخلاص العبادة له . والعلم قبل العمل وهو إمامه وقائده ، وبقدر نفع العلم يكون صلاح العمل كما قال تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ [محمد : ١٩] فبدأ بالعلم وثنى بالعمل(١)، وإلى هذا المعنى أشار البخاري(٢) في باب ترجم له بـ "باب العلم قبل القول والعمل"(٣).

---

(١) انظر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية للعبود ص١٩٢ .

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، أبو عبد الله ، أمير المؤمنين في الحديث ، صاحب الصحيح ، الفقيه المؤرخ ، كان متوقد الذكاء حافظاً متقناً ، له رحلات طويلة في طلب العلم ، سمع من نحو ألف شيخ ، وله مؤلفات جمة ، توفي سنة ٢٥٦هـ . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢ / ٣٩١) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٣ / ٢٥٢) ، و الأعلام للزركلي (٦ / ٣٤) .

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (١ / ١٨٨) .

و(العلم المقصود في التوحيد هو أصل العلوم وهو : معرفة الله تعالى وتوحيده . قال عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، أي إنما يخاف الله عز وجل ويقدره حق قدره من عرفه وعلم عظيم قدرته وسلطانه على خلقه نتيجة التأمل في أسرار كونه وشرعه وهم العلماء)[١] .

ولما كان التوحيد العلمي يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، والتوحيد العملي هو توحيد الألوهية ؛ ف(توحيد الربوبية يستلزم[٢] توحيد الألوهية ، ويوجب ذلك ويقتضيه ... وهكذا توحيد الأسماء والصفات يستلزم تخصيص الله بالعبادة وإفراده بها ؛ لأنه سبحانه هو الكامل في ذاته وفي أسمائه وصفاته وهو المنعم على عباده فهو المستحق لأن يعبدوه ويطيعوا أمره وينتهوا عن نواهيه)[٣] . فالتوحيد العلمي بقسميه مستلزم للتوحيد العملي .

يدل على هذه العلاقة استقراء آي القرآن الكريم :

---

(١) دلائل التوحيد للقاسمي ص١١٧ .

(٢) التلازم امتناع انفكاك الشيء عن الشيء ، ولزم كذا من كذا : نشأ عنه وحصل منه ، واستلزم : عدّه لازماً واقتضاه ، انظر لسان العرب لابن منظور (١٢ /١٤٥) والتعريفات للجرجاني ص١٩٩ ، والمعجم الوسيط (٢ /٣٢٨) ، وقد سبق بيان معنى دلالة الالتزام والتضمن ص ٤٠ .

(٣) تحفة الإخوان لابن باز ص٣٢ .

فالله عز وجل ابتدأ كلامه في الفاتحة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤] يُشير إلى تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية المقتضي من الخلق تحقيق العبودية[١]، وقال بعدها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] فذكر العبودية بعد ذكر الربوبية.

كما بين سبحانه وتعالى أن (أعظم ما يحتاجه العبد ليعبده ويدعوه، معرفة أسمائه ليحمده ويمجده ويثني عليه بها ويسأله ويطلبه فهذا من أفضل العبادة التي أوجبها عليه قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠])[٢].

وكذا دعا الله عز وجل الناس لعبادته بعد أن ذكرهم بما يعرفونه من صفات الله وأنه ربهم وخالقهم ورازقهم كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ١٢ - ٢٢]، فالدعوة للعبادة جاءت بعد التعريف بالمعبود

---

(١) انظر شرح الفقه الأكبر للقاري ص٨ وهو ممن يدرجون توحيد الأسماء والصفات في توحيد الربوبية كما هو ظاهر في قوله .

(٢) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١ / ٥) .

سبحانه وتعالى ؛ إذ إنه لا يستقيم توحيد الربوبية ولا الألوهية إلا بمعرفة أسماء الله وصفاته .

والخلاصة أن توحيد الأسماء والصفات يتضمن توحيد الربوبية ، ويستلزم توحيد الألوهية ، باعتبار أن إثبات الربوبية جزء من إثبات الأسماء والصفات ، بينما إفراد الله بالعبادة أمر زائد على مجرد إثبات الأسماء والصفات ، يظهر هذا واضحاً في سورة الإخلاص -التي هي صفة الرحمن[1] - فقد (دلت على أنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الذات والصفات وذلك على سبيل المطابقة ، وعلى توحيد الربوبية وذلك على طريق التضمن وتوحيد العبادة بالالتزام ... إذ إن دلالة الشيء على كل معناه يسمى مطابقة ودلالته على بعضه يسمى تضمنا ، وعلى ما يلزم من جهة الخارج يسمى التزاما)[2] .

---

(١) جاء ذلك في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته ، فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ : أخبروه أن الله يحبه) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ص١٤٠٥ . وأخرجه مسلم، كتاب الصلاة ، باب فضل قراءة "قل هو الله أحد" ص٣١٧ .

(٢) مقدمة ابن باز على كتاب التنبيهات اللطيفة لابن سعدي ص١٣ .

ومن وجه آخر يمكن القول بأن توحيد الأسماء والصفات يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ؛ فتوحيد الربوبية مقتضى اسم الرب وصفة الربوبية ، وتوحيد الألوهية مقتضى اسم الله وصفة الألوهية ، فهما بهذا الاعتبار بعض من توحيد الأسماء والصفات ولهذا كان توحيد الأسماء والصفات يحتل مكان الصدارة في مصنفات التوحيد، قال ابن تيمية: (كان أهل السنة والحديث يصنفون كتب التوحيد يضمنونها ثبوت الصفات التي أخبر بها الكتاب والسنة ، لأن تلك الصفات في كتابه تقتضي التوحيد ومعناه)[١] .

فالتوحيد أساس الدين ، وأساس التوحيد : توحيد الأسماء والصفات ، قال ابن القيم : (مفتاح دعوة الرسل وزبدة رسالتهم معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله ، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها لآخرها)[٢] .

فتوحيد الأسماء والصفات هو الأصل ، وإنما يشرك في الإلهية من لم يعطه حقه ، إذ به يعرف العباد إلههم بأسمائه وصفاته (والحاجة إلى هذا فوق جميع الحاجات والضرورة إليه مقدمة على جميع الضرورات فإنه لا حياة للقلوب ، ولا نعيم ، ولا لذة، ولاسرور ، ولا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١ / ٤٨٣) .

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (١ / ١٥٠) .

أمان ، ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها ، وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويكون أحب إليها مما سواه ويكون سعيها فيما يقربها إليه ويدنيها من مرضاته)[١] .

فمعرفة الله سبحانه وتعالى أصل التوحيد ، والتوحيد أصل تحقيق العبودية لله رب العالمين والفصل التالي يبيّن حقيقة هذه المعرفة ودرجاتها وطرق الوصول لها .

❁ ❁ ❁

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (١ / ١٥٠) .



الفصل الثاني

معرفة اللّه بأسمائه وصفاته

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم معرفة الأسماء والصفات.

المبحث الثاني : أهمية معرفة الأسماء والصفات.

المبحث الثالث : تفاضل العباد في معرفة الله.

المبحث الرابع : طرق معرفة أسماء الله وصفاته.



توطئة

معرفة الإله مطلب قصده الناس منذ القدم ؛ لحاجة ماسة ورغبة ملحة تنبع من أعماق النفس العابدة بفطرتها ؛ التي أقرت به رباً منذ عالم الذر وارتبطت معه بميثاق العبودية ، الذي أخبرنا عنه الله عز وجل بقوله: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وهذه الرغبة تدفع النفس إلى التعرف على ربها ومعبودها الذي ترى في كل مكان حولها آثار رحمته ، وبديع خلقه ، ومظاهر قدرته ؛ التي بثها سبحانه وتعالى دلائل عليه .

وكلما تأمل العقلاء هذا الكون ؛ اعترفوا بأن له خالقاً عظيماً ، ومدبراً حكيماً ، كل بحسب قدرات فهمه وطرق استدلاله ؛ فالأعرابي البسيط في الصحراء قال : البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، أفليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدل على الحكيم الخبير؟! والعالم الكبير ردد من خلف أجهزة مختبره : (إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته ...ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته في أنفسنا ، وفي كل ذرة من

ذرات هذا الوجود وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته)[١] .

ومع اعتراف الجميع وإقرارهم بوجود الله[٢] وعظمته ، إلا أنهم قد اختلفت مداركهم في تصور ذاته وتحديد صفاته ، فمنهم : من لم يخرج عن نطاق المادة فتخيل ذات الرب بها أو بما يشبهها من القوى التي يراها حوله ، فانتهى إلى تصورات خاطئة ليست هي حقيقة الألوهية ولا صفات الرب الخالق سبحانه وتعالى، ومنهم : من استطاع أن يفهم أنه لابد أن يكون الإله مجرداً عن مشابهة كل ما يدخل في نطاق الحس ، وأن يكون واحداً ، قادراً ، عالياً على خلقه ، وهم بذلك وصلوا إلى شيء من الحقيقة التي جاء بها الوحي ليعرف الناس برب العالمين[٣] ، ولكنهم لن يتوصلوا إلى معرفة الحقيقة كلها مالم يأت بها

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ، والقول لميريت ستانلي عالم طبيعي وفيلسوف . انظر المقالة الثالثة ص٢٦ . والكتاب يتكون من ثلاثين مقالا لثلاثين من كبار العلماء في علوم الكون استيقظت فطرهم بما رأوه في دراساتهم فكتبوا جميعهم عن وجود الله وعظمته وقدرته .

(٢) فلم يجحد وجوده إلا شرذمة من الملاحدة والمستكبرين الذين جحدوا ذلك ظلماً وعلواً كما قال الله عن أسلافهم من قبل ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ [النمل: ١٤].

(٣) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني ص١٢١ .

الخبر[١] من مصدرها الأصيل : ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

ومن رحمة الله بنا أن عرفنا عز وجل بنفسه وأسمائه وصفاته ؛ لتطمئن النفوس ، وتتحرر العقول من قيود الماديات ، ويكون الإنسان أقدر على تحقيق عبوديته لإلهه الأحد الصمد .

وفي هذا الفصل بيان لمفهوم معرفة الله عز وجل ، وأهميتها وطرق الوصول إليها .

❁ ❁ ❁

---

(١) فكثير مما نعرفه عن الله عز وجل لا يمكن الوصول إليه بالعقل وحده : كالصفات الخبرية لله : وهي قسم من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن ذات الله عز وجل ولا سبيل إلى معرفتها إلا بالوحي مثل الوجه واليدين والعينين لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته . انظر للتوسع أسماء الله وصفاته للأشقر ص ٨٠.



المبحث الأول

مفهوم معرفة الأسماء والصفات

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معنى المعرفة في اللغة .

المطلب الثاني : معنى معرفة الأسماء والصفات .

المطلب الثالث : في بيان ألفاظ دالة على معنى معرفة الأسماء والصفات .

المطلب الأول

معنى المعرفة في اللغة

أصل كلمة المعرفة من الفعل (عَرَفَ) ، الذي وردت مادته (ع ر ف) باشتقاقاتها في كلام العرب للدلالة على معان متنوعة ؛ منها :

١- العلم : عَرَفَه يعرِفه مَعرِفة وعِرفاناً : عَلِمه ، والعرفان : العلم، مع علاقة خصوص وعموم ، والتعريف الإعلام ، وضده التنكير[١] .

٢- الإقرار، يقال : (عَرَف بذنبه واعترف : أقر)[٢] .

٣- وتطلق على الإدراك بالحواس، يقال: (عرفه عِرفاناً ومَعرِفة : أدركه بحاسة من حواسه ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ**

---

(١) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٣ / ٦٦١) ، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٤ / ١٤٠١) ، وأساس البلاغة للزمخشري (٢ / ١٠٩) ، ولسان العرب لابن منظور (٩ / ٢٣٦) تاج العروس للزبيدي (٦ / ١٩٢)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣ / ١٧٣) ، المعجم الوسيط (٢ / ٥٩٥) .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور (٩ / ٢٣٩) ، وتاج العروس للزبيدي (٦ / ١٩٣).

يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣][1]، و(المعرفة إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره دون إدراك ذاته ، وهو أخص من العلم)[2]، وضدها بهذا المعنى : الجهل .

٤- تأتي بمعنى المجازاة ، تقول العرب : (لأعرفنّ لك ما صنعت : أي لأجازينّك به)[3].

٥- تطلق على ما ارتفع من الشيء ، كالوجه والأنف ؛ (يقال غطوا معارفهم : إذا غطوا وجوههم)[4]. و(الأعراف أعالي الرياح

---

(١) المعجم الوسيط (٢ / ٥٩٥) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٥٦٠ . وانظر التعريفات للجرجاني ص٢٣٦ .

(٣) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٣ / ٦٦١) ، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٤ / ١٤٠١) ، وأساس البلاغة للزمخشري (٢ /١٠٩) . ولسان العرب لابن منظور (٩ /٢٣٧) ، وتاج العروس للزبيدي (٦/١٩٢) . المعجم الوسيط (٢ / ٥٩٥) .

(٤) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٣ / ٦٦١) ، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٤ / ١٤٠١) ، و أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ١٠٩) . ولسان العرب لابن منظور (٩ /٢٣٧) ، تاج العروس للزبيدي (٦/١٩٢) ، المعجم الوسيط (٢ / ٥٩٥) .

والضباب والسحاب ، ويقال : اعرورف البحر إذا ارتفعت أمواجه)[١] .

٦- (العَرف الطيب ، ومنه الحديث : من فعل كذا لم يجد عَرف الجنة[٢] : أي ريحها الطيبة)[٣] ، وعرّفها : طيّبها ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد : ٦] .

٧- تأتي بمعنى الوصف : (عرّفها لهم : وصفها وشوقهم إليها)[٤] ، و(عرّفه به : وسمه ، وعرّف الضالة : نشدها ، وذكر

---

(١) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٣ / ٦٦١) ، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٤ / ١٤٠١) ، ولسان العرب لابن منظور (٩ / ٢٣٧) ، وأساس البلاغة للزمخشري (٢ / ١٠٩) ، و تاج العروس للزبيدي (٦ / ١٩٢) ، و المعجم الوسيط (٢ / ٥٩٥) .

(٢) كقوله ﷺ : (من تعلّم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) ، أخرجه أبو داوود في سننه ، كتاب العلم ، باب طلب العلم لغير الله تعالى (٣ / ٣٢٣) .

(٣) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٣ / ٦٦١) ، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٤ / ١٤٠١) ، وأساس البلاغة للزمخشري (٢ / ١٠٩) ، ولسان العرب لابن منظور (٩ / ٢٣٧) ، و تاج العروس للزبيدي (٦ / ١٩٢) ، و المعجم الوسيط (٢ / ٥٩٥) .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٥٦٠ .

وصفها وطلب من يعرفها)[١]، (وتعرّفت ما عندك : أي تطلّبت حتى عرفت ، ومنه الحديث : تعرّف إلى الله في الرخاء يَعرِفك في الشدة[٢])[٣].

٨- وتدل على التتابع المتصل بعضه ببعض ، ومنه عرف الفرس سمي بذلك لتتابع الشعر عليه ، ومنه قوله تعالى ﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا** ۝١﴾ [المرسلات: ١]: أي الملائكة تأتي متتابعة[٤].

٩- كما تدل على السكون والطمأنينة :يقال فلان معروف ، وهذا أمر معروف ، والمعروف : واحد ضد النكر ، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه ؛ فإن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٤ / ١٠٤١) ، لسان العرب لابن منظور (٩/ ٦٣٢) ،تاج العروس للزبيدي (٦ / ٢٩١)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٦٥٩) ح (٢٨٠٤) . وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة (٣ / ٥٤١) وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ولم يوافقه الذهبي .

(٣) تاج العروس للزبيدي (٦ /١٩٢) .

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٣٨) . وتاج العروس للزبيدي (٦/ ١٩٣) .

(٥) المصدر السابق .

المطلب الثاني

معنى معرفة الأسماء والصفات

أكثر من تكلم في معرفة الله عز وجل وأفردها بالتصنيف : المتصوفة ، وأهل الكلام والفلسفة ، بينما اعتمد أهل السنة في هذا الباب على نصوص الوحي كتاباً وسنة ، إذ (المعرفة صفة العبد وفعله ، والتعريف فعل الرب وتوفيقه)(١)، وقد كان الناس أكثر فهماً للعربية، وأكثر صلة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يتعرفون من خلالها على إلههم الحق(٢) . لذا انصبّ حديث أئمة أهل السنة غالباً على شروح الأسماء الحسنى ، والرد من خلالها على المتكلمين في الصفات الذي كان فرضاً متحتماً نصرة للحق وحماية لمعتقد الأمة ، إلا ما كان من

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٦٦٣) .

(٢) ولا يعني هذا أنهم قد أهملوها – وحاشاهم – إنما لم يفردوها بالتأليف إلا قليلا ، وإن كانوا كتبوا كثيراً في الرقائق والسلوك عموماً فهم أهل هذه العلوم والرواد فيها . بينما ركز المتصوفة في مصنفاتهم عليها مع أن كثيراً منهم ابتدع وضل عن المعرفة الحقة ، كما وصل غلاتهم إلى الكفر في قولهم بوحدة الوجود . بينما كان أهل السنة هم الذين عرفوا الله عز وجل حق المعرفة ؛ لأنهم اعتمدوا على تعريف الله نفسه .

شرح لكتب المتصوفة كما في مدارج السالكين[١] .

وعلى هذا فالتعريفات التي سترد هنا ليست مما اصطلح عليه أئمة أهل السنة والجماعة ولكنها : إما أقوال ذكرها بعضهم في بيان العلم النافع ، ويعنون به معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، أو أقوال لغيرهم لكنهم أقروها ، أو كانت مما يوافق معتقدهم الحق :

- المعرفة هي : (الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقاداً تقليدياً[٢] ، أو كان علماً صادراً عن دليل)[٣] .

- (المعرفة هي العلم الذي لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات الله وصفاته)[٤] .

---

(١) الذي شرح به ابن القيم كتاب « منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين » للهروي . وهو يتكلم عن المعرفة إجمالا ويخصها بالذكر في منزلة المعرفة ، شرحها ابن القيم وأيد الحق وتأول بعض ما التبس ، ورد الخطأ والزيغ .

(٢) وفي هذا رد على القائلين بوجوب الاستدلال العقلي على الله عز وجل وهو ما أسموه " النظر" ، بينما يرى أهل السنة والجماعة أن الاعتقاد الجازم بالله ولو كان تقليداً بلا دليل عقلي مستقل لم يقدح ذلك فيه ، وإنما يجب النظر على من لا تحصل لهم معرفة الله إلا بالنظر . انظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (٢ / ٣٤٧) ، شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٤ .

(٣) التفسير الكبير للرازي (١ / ٢٨٢) .

(٤) ميزان العمل للغزالي ص١٧٥ .

- المعرفة (هي : العلم الذي يراعيه صاحبه بموجبه ومقتضاه ، فهي علم تتصل به الرعاية)[١] .

كما عُرّفت بذكر صفة أهلها ، فهي : صفة (من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله . ثم صدق الله تعالى في معاملته[٢] ثم أخلص له في قصوده ونياته . ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته . ثم تطهر من أوساخه وأدرانه ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته . ثم دعا إليه على بصيرة بدينه وآيته ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم[٣] ومواجيدهم[٤] ومقاييسهم

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٧٢) ، ذكر ذلك ابن القيم في معرض بيان الفرق بين المعرفة والعلم .

(٢) وإلى هذا أشار الراغب في المفردات ص٥٦١ ، بقوله : وفي تعارف قوم هو المختص بمعرفة الله ومعرفة ملكوته وحسن معاملته تعالى .

(٣) جمع ذوق ، والذوق مصطلح صوفي يعنون به ما يجدونه من ثمرات التجلي ونتائج الكشوف ومفاجآت الواردات ! وهو أول مبادئ التجليات الإلهية على ما يزعمون ، انظر الرسالة القشيرية ص٧٢ ، والتعريفات ص٣٨٨ .

(٤) جمع وجد ، على غير قياس : والوجد مصطلح صوفي يعنون به ما يصادف القلب بلا تكلف ، وهي ثمرات الأوراد ، انظر الرسالة القشيرية ص٦٢ ، والتعريفات ص٣٨٧ .

ومعقـولاتهـم[١] ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول ﷺ)[٢] ، ذكره ابن القيم على أنه صفة العارف عند المتصوفة وأيده بقوله : (وهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة ، وإذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة)[٣] ، وقد نقّى ابن القيم هذا التعريف – على ما يبدو – من العبارات الغامضة[٤] ، وأضاف إليه قيوداً تجعله موافقاً للمنهج الحق[٥] .

---

(١) في هذا إشارة إلى عدم الحاجة إلى أدلة الفلاسفة العقلية على وجود الله وصفاته ، التي أخذت من علم المنطق ؛ فإنها أوصلتهم للشك لا للمعرفة .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٣٣٧) . ويقول الأستاذ حامد الفقي – في تعليقه على المدارج – عن هذا التعريف : هذا عند المهتدين بهدي الله ورسوله ، أما عند الصوفية فالعارف هو الذي تسقط عنه التكاليف والأوامر والنواهي الشرعية ؛ لأنه عرف الحقيقة الإلهية التي هي عندهم وحدة الوجود . أقول : ما ذكره هو العارف عند غلاتهم القائلين بوحدة الوجود بلا شك .

(٣) المصدر السابق .

(٤) من ذلك قولهم (وصار محدثًا من قبل الحق بتعريف أسراره ، فيما يجريه من تصاريف أقداره) انظر الرسالة القشيرية ص٣١٢ .

(٥) كقيد تنقيتها من الأذواق والمواجيد وإخضاعها لما جاء به رسول الله ﷺ ، وهي عبارات مستقاة من منهج أهل السنة والجماعة ولم ترد في النص المشابه عند القشيري . والحق أن كثيراً من أذواقهم ومواجيدهم تخالف السنة وقد تكون فتناً شيطانية لاقت قلوباً قبلتها وظنتها حقاً .

كما بين ابن تيمية ماهية العلم النافع وآثاره والذي يدل على معنى المعرفة المراد هنا فقال : (العلم به نفسه ؛ وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت عليه أسماؤه الحسنى . وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة)[١] .

كذا بيّن ابن رجب [٢] ما تستلزمه المعرفة من آثار فقال : (معرفة الله ، وما يستحقه من الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الباهرة . وذلك يستلزم إجلاله ، وإعظامه ، وخشيته ، مهابته ، ومحبته ، ورجاءه ، والتوكل عليه ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه)[٣] .

ومستند هذه الأقوال قول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨] وقول رسول الله ﷺ : (لأنا أعلمهم بالله

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣ / ٣٣٣) .

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ، أبو الفرج زين الدين ، حنبلي المذهب ، حافظ للحديث ، عالم بالعلل وتتبع الطرق ، من مشاهير العلماء الزهاد ، اشتهر برقة مواعظه ، له مصنفات كثيرة ، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ . انظر الدرر الكامنة لابن حجر (٢ / ٣٢١) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٥٧٩) ، و الأعلام للزركلي (٣ / ٢٩٥) .

(٣) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص ٣٣ .

وأشدهم له خشية)[١] .

وعلى هذا فالمعنى المراد من معرفة الله بأسمائه وصفاته له علاقة ظاهرة وثيقة بأكثر المعاني التي تدل عليها اشتقاقات (عرف) في اللغة : فالمعرفة علم ، وهي إقرار واعتراف بالكمال المطلق والجلال لله عز وجل، وهي تتضمن العلم بقدر المعلوم جل جلاله ، كما أن المجازاة تتضمن العلم بحال المجازى وقدره ، وتدل على كل ما هو عال مكرم طيب[٢] وأعلى المعالي السعي لمعرفته عز وجل ، وكذا هي تتبع للأثر وتطّلب للدليل الدال على الله عز وجل، كما أنها حالة تقتضي سكون العارف إلى المعروف وطمأنينته إليه [٣]، ولا طمأنينة أكثر من طمأنينة من عرف الله حق المعرفة ، قال تعالى : ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد : ٢٨] .

وخاتمة القول : إن معرفة الله بأسمائه وصفاته عند أهل السنة والجماعة حق من حقوقه سبحانه وتعالى التي بينوها في القسم الثالث

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ص١١٧٨ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ص ٩٥٨ .

(٢) انظر نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة للكردي ص٣٤ .

(٣) انظر مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي للزنيدي ص٣٦ .

من أقسام التوحيد : توحيد الأسماء والصفات ، ولابد أن (تكون معرفة سالمة من داء التعطيل ، ومن داء التمثيل ، اللذين ابتلي بها كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ ؛ بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة ، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان)[١] ، فهي لا تعني : مجرد المعرفة الفطرية بوجوده سبحانه وتعالى وأن له الكمال المطلق ، والاعتراف بذلك ، فهذه يقر بها أكثر العباد[٢] ، بل هي : (إقرار يتبعه عبودية لله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له)[٣] . ولا تعني كذلك : المعرفة النظرية البحتة المقطوعة عن العمل ، إنما تعني المعرفة الحية النابضة التي تترجم العلم إلى إيمان وسلوك وأخلاق ، قال ابن القيم : (معرفة الله سبحانه نوعان :

الأول : معرفة إقرار ، وهي التي اشترك فيها الناس ، البر والفاجر ، والمطيع والعاصي .

والثاني : معرفة توجب الحياء منه ، والمحبة له ، وتعلق القلب به، والشوق إلى لقائه ، وخشيته ، والإنابة إليه ، والأنس به ، والفرار

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي ص١٠٨ .

(٢) والاكتفاء بهذه المعرفة فقط مذهب الجهمية ومن وافقهم .

(٣) درء تعارض العقل و النقل لابن تيمية (٣/ ١٣٥) .

من الخلق إليه)[١] .

وهذا الأخير هو الذي تنافس فيه المتنافسون ليحققوا عبوديتهم لإلههم الحق سبحانه وتعالى .

❁ ❁ ❁

---

(١) الفوائد لابن القيم ص١٠٣ .

المطلب الثالث

في بيان ألفاظ دالة على معنى معرفة الأسماء والصفات

يدل على معنى معرفة الله بأسمائه وصفاته كلمات أخرى في الكتاب والسنة وكلام السلف رضي الله عنهم ، فترد كمرادفات لها تستخدم للدلالة على معناها أو بعض معناها وأهمها :

- العلم بالله وبأسمائه وصفاته ومستنده قول الله عز وجل: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [محمد : ١٩] .

- إحصاء الأسماء والصفات ، ومستنده قول رسول الله ﷺ : (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة)[١] .

- الفقه في أسماء الله وصفاته ، ومستنده قول رسول الله ﷺ : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً ص١٤٠٩ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ص١٠٧٦ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب من يرد =

وفيما يلي بيان سبب اختيار مصطلح معرفة أسماء الله وصفاته دون غيره من الألفاظ الدالة على معناه :

بتتبع منهج القرآن والسنة في ذكر العلم والمعرفة ، يتبين أن هناك نوع اتفاق بينهما ، من حيث أن كلا منهما يعني : إدراك الشيء على ما هو عليه . ويقابلهما الجهل ، لأنه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو[1] ، إلا أن ثمة اختلافاً بينهما من وجوه[2]:

= الله به خيراً يفقهه في الدين ص٣٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة ص٣٩٩ .

(١) انظر نظرية المعرفة للكردي ص ٤٥ .

(٢) ذكر ابن القيم في مدارج السالكين (٣ / ٣٣٥) فروقًا بين العلم والمعرفة من وجوه أخرى في معرض رده على المتصوفة الذين يجعلون المعرفة أعلى من العلم ، ويعدونه حجاباً دون المعرفة ، وذلك لينصر العلم الذي هو أكمل وأعظم وبه يوصف الله تعالى ، وليبين خطأ المتصوفة في العبادة على جهل ومن ثم يظنون أن ما يعتريهم من أحوال كشوفاً وكرامات ولو نظروا إليها بعين العلم لما اغتروا بها إذ المؤمن الحق العارف بالله تعالى إنما هو طالب استقامة لا طالب كرامة . وليست المعرفة بهذا المفهوم الصوفي هي المقصودة في هذا البث الذي يؤكد على أهمية المعرفة ، ومع ذلك فهي - ولاشك - دون العلم ، والعلم بالله لا يستطاع .كما ذكر ابن القيم فروقاً أخرى بينهما انظر (٢ / ٤٧٢) وفيه معنى للمعرفة قريب من المقصودة في هذا البحث .

فـ (المعرفة أخص من العلم ، يقال : فلان يعرف الله ، ولا يقال يعلم الله لما كانت معرفة البشر لله هي تدبر آثاره دون إدراك ذاته ، ويقال : الله يعلم كذا ولا يقال : يعرف كذا ، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر)[١] .

و(المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه ، والعلم كذلك سوى أن المعرفة مسبوقة بجهل خلافاً للعلم)[٢] .

و(المعرفة إدراك الجزئي والعلم إدراك الكلي ، والمعرفة تستعمل في التصورات والعلم في التصديقات ؛ ولذلك تقول عرفت الله دون علمته ، لأن من شرط العلم أن يكون محيطًا بأحوال المعلوم إحاطة تامة . ومن أجل ذلك وصف الله بالعلم لا بالمعرفة ، فالمعرفة أقل من العلم ، لأن للعلم شروطاً لا تتوافر في كل معرفة فكل علم معرفة وليست كل معرفة علماً)[٣] .

ففي القرآن الكريم جاءت المعرفة منسوبة للإنسان ، بينما جاء العلم منسوباً إلى الله ومنسوباً إلى الإنسان . والمعرفة بهذه النسبة معناها : العلم والإدراك للشيء بتفكر وتدبر لأثره ، وقد جاء الحث عليها ،

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥٦٠ .

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٢٢١ .

(٣) المعجم الفلسفي لصليبا (٢ / ٣٩٣) .

بالحث على الطريق الموصل لها ؛ وهو التفكر والنظر[١] ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

وببيان أنها نعمة امتن الله على العباد بما نصبه لهم من أدلة تقودهم إليها ، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النمل: ٩٣] .

وبمدح المتفكرين الناظرين في ملكوت السموات والأرض كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

وبذم المعرضين عن استعمال نوافذ المعرفة – الأعين ، والقلوب ، والآذان – قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ

---

(١) النظر المقصود هنا هو : التأمل وتتبع آيات الله في القرآن وفي الكون ؛ بغية التعرف أكثر على الله عز وجل من خلال آثار صفاته – وهو غير النظر العقلي الفلسفي – وفي هذا المعنى قول رسول الله ﷺ : (تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله) انظر فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٣ / ٢٦٤) ، وصححه الألباني انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤ / ٣٩٥) حديث رقم ١٧٨٨ .

كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وفي السنة ورد لفظ المعرفة فيما يتعلق بالله عز وجل ،كما في قول رسول الله ﷺ : (أنا أعرفكم بالله) وفي رواية البخاري (لأنا أعلمهم بالله)[١] ، ويمكن توجيه رواية البخاري بأنها :

تعتمد على الترادف في الإطلاق اللغوي ، سواء كان اللفظ لرسول الله ﷺأو من تصرف الرواة ، قال ابن حجر[٢] : (وفي رواية الأصيلي[٣] : أعرفكم وكأنه مذكور بالمعنى حملا على ترادفهما ،

---

(١) سبق تخريجه ص١٣٨ .

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ورحل في طلبه لسماع الشيوخ ، برع في معرفة الرجال وعلل الأحاديث وغير ذلك ، حافظ الإسلام ومحيي السنة في عصره ، له مصنفات كثيرة توفي عام ٨٥٢هـ. انظر شذرات الذهب لابن العماد (٩/ ٣٩٦) ، والأعلام للزركلي (١ / ١٧٨) .

(٣) هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأموي ، المعروف بالأصيلي ، عالم بالحديث والفقه ،رحل في طلب العلم فطاف في الأندلس والمشرق وتوفي بقرطبة سنة ٣٩٢هـ. انظر شذرات الذهب لابن العماد (٤ / ٤٩٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦١ / ٥٦٠)، والأعلام للزركلي (٤/ ٦٣) .

وهو ظاهر هنا وعليه عمل المصنف)[١] ففي ترجمته للباب قال : باب قول النبي (أنا أعلمكم بالله) وأن المعرفة فعل القلب .

أو أنه ﷺ عبّر بالعلم عن نفسه ، بينما عبّر بالمعرفة عن أمته – كما سيظهر من الأحاديث التالية – ولا يستوي علم أحد من الناس بعلم رسول الله ﷺ المتلقى من الوحي مباشرة فهو علم من لدن العليم[٢] .

أو أن يكون المراد بالعلم بالله : العلم بأمر الله ، وحدوده ؛ لرواية : (إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله عز وجل وأعلمكم بما أتقي)[٣] ، وكذا رواية (وأعلمكم بحدود الله)[٤] قال ابن تيمية : (فجعل العلم به هو العلم بحدوده ، وقريب من ذلك قول بعض التابعين في صفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (حيث قال : إن كان الله في صدري

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١ /٩٦) .

(٢) والله يخص من يشاء من عباده غير الأنبياء بعلم خاص، وعليه يدل قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥]، وقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل: ٤٠] . انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥٨ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ص٤٣٠ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٥٠٦) حديث رقم (٢٣٧٤٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ /٦٤٧) حديث رقم ٣٢٩ .

لعظيماً ، و إن كنت بذات[١] الله لعليماً، أراد بذلك أحكام الله)[٢] .

كما جاء التعبير بالمعرفة في حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما بعثه النبي ﷺ لدعوة أهل اليمن ، وكان مما قاله له : (فإذا عرفوا الله)[٣] أي عرفوه بالوحدانية وشهدوا شهادة الإسلام .

وكذلك في قول أهل الجنة لربهم عز وجل : (هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ؛ فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه)[٤] .

---

(١) قال ابن تيمية عن هذا (فإن لفظ الذات في لغتهم لم يكن كلفظ الذات في اصطلاح المتأخرين ، بل يراد به ما يضاف إلى الله ، كما قال خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزع

انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٣ / ٣٣٤) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ص٤٢ ، وأخرج البخاري نحوه في الصحيح ، كتاب التوحيد ، باب ماجاء في دعوة النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ص١٤٠٥ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]ص١٤١٦ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ص٩٩ .

أما العلم المنسوب للإنسان فيما يتعلق بالله عز وجل ، فقد جاء الحث عليه في القرآن مقيداً بأسماء وصفات لله عز وجل ، قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩][١] ففيها الأمر بالعلم بصفة الوحدانية والتفرد في الألوهية ، واسم الله الدال على هذا .

وكما في قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧] فهو أمر بالعلم باسم الغني وصفة الغنى والحمد لله سبحانه وتعالى وإثباتها له على الحقيقة ، وهكذا في كثير من الأسماء والصفات .

أما مطلق العلم به عز وجل ، فقد بيّن سبحانه أنه غير ممكن للعباد[٢]، بقوله : ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، وقال

---

(١) ومثلها كثير نحو ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤٤].

(٢) لأن من شرط العلم الإحاطة بالمعلوم - كما سبق بيانه -وقد ذكر ابن أبي العز في شرح الطحاوية : أن الله يعلم ولكن لا يحاط به علمًا، انظر ص١٦٩ ، وأورد الطبري في جامع البيان (٧ / ٣٠٠) قول يجيز الوصف بأنه تعالى يعلم ولا يحاط به : (لم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء ، نفي عن أن يعلموه) ، ويُجاب على هذا أن العلم الذي لا يحيط بالمعلوم اصطُلح على تسميته معرفة ، ولا مشاحة في الاصطلاح .

﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ومعنى العلم في هذا الموضع المعلوم (١).

أما لفظ العلم فيما يتعلق بالله في السنة ، فقد جاء في حديث دعاء الكرب : (وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...)(٢)، فالحديث يبيّن أن من عباد الله من يعلم أسماء لله عزوجل خصه بعلمها ، ولم يذكر مطلق العلم بالله .

وعلى هذا فلم يرد مطلق العلم بالله في السنة – حسب ما اطلعت – إلا في الحديث الذي ينسب العلم لرسول الله ﷺ وقد سبق بيانه وتوجيهه .

أما إذا قيّد العلم بالله بأنه علم بالأسماء والصفات فالقول فيه كالقول في الإطلاق إلا أن التقييد أكثر شيوعاً في كتب أهل السنة من الإطلاق ؛ إما لأن القرآن استخدم الأمر بالعلم مع بعض صفات الله

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (٧ / ٣٠٠) .

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٥٨) ح (٣٧١١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء (١ / ٥٠٩) وقال صحيح على شرط مسلم ، ولم يوافقه الذهبي ، ولكن الألباني صححه في السلسلة الصحيحة مؤكداً قول الحاكم أنه على شرط مسلم (١ / ٣٨٣) .

عز وجل – كما سبق بيانه – أو لاعتبار التقارب اللغوي بين معنى العلم والمعرفة وأن العلم المقصود لا يقتضي الإحاطة .

ومن هنا كان استخدام مصطلح معرفة الله أدق – والله أعلم – وعليه سار كثير من أئمة أهل السنة في مصنفاتهم [١]، وإن استخدموا لفظ العلم بالله فهو على اعتبار التقارب في المعنى ، أو التأويل فيكون بمعنى العلم بأمر الله وحدوده .

فمصطلح معرفة الأسماء والصفات ففيه متابعة للاستعمال النبوي للفظ المعرفة من وجه ، ومراعاة للفروق اللغوية بين العلم والمعرفة من وجه آخر . فالأسماء والصفات ليست كلها معلومة ، بل منها ما علّمه الله لبعض عباده خاصة ، ومنها ما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه ، ومن هنا كان إطلاق العلم بها كلها يحتاج لتأويل هو : العلم بما علمنا الله منها علماً غير محيط ، لأن العلم بها كلها ، أو بكنهها غير ممكن للعباد .

---

(١)كالبخاري في صحيحه انظر فتح الباري (١ /٩٦) ، وقوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١ / ١٢٢) ، وابن القيم في طريق الهجرتين ص٤ ، وغيرها من مؤلفاته ، بل لا يكاد يخلو مصنف في العقيدة أو الرقائق من مصطلح " معرفة الله " ، وإن كانوا استخدموا كذلك " العلم بالله " ولكن بنسبة أقل .

أما اسم الإحصاء فيما يتعلق بمعرفة الله فقد ورد في حديث أسماء الله التسعة والتسعين . ومعنى الإحصاء المشهور في اللغة : العد والحفظ[١] . أمامعناه في الحديث فقد ذكر العلماء فيه أقوالاً ، منها :

- الحفظ والعد ، أي أنه يعدها ليستوفيها حفظاً ويدعو ربه بها .

- ومنها الإطاقة ، والمعنى : أن يطيق العبد الأسماء الحسنى، ويحسن المراعاة لها ، وأن يعمل بمقتضاها . فإن قال : السميع، البصير، علم أن الله يسمعه ويراه ، وأنه لا تخفى عليه خافية ، فيخافه في سره وعلنه ، ويراقبه في كافة أفعاله .

- ومنها : العقل والمعرفة ، فيكون معنى أحصاها : عرفها وعقل معانيها ، وآمن بها .

وقد رجّح كثير من العلماء ممن شرحوا حديث رسول الله : المعنى الأول لمطابقته للمعنى اللغوي[٢] .

بينما المعرفة بأسماء الله وصفاته المقصودة في هذا البحث هي مجموع معاني الإحصاء الثلاثة ، وتزيد عليها بالإقرار والاعتراف

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور(١٤ / ١٨٤) .

(٢) للتوسع انظر شأن الدعاء للخطابي ص٢٩ ، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٦٦) ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ /٦) ، وكذلك فيض القدير للمناوي (٢ / ٤٨٣) .

والإثبات بلا تكييف أو تعطيل أو تحريف .

أما اسم الفقه الذي استُخدم للدلالة على معنى المعرفة المراد هنا فهو من حيث اللغة : علم وفهم[١] . ومن حيث الاستعمال الاصطلاحي فـ (لم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا على العلم الذي يصحبه العمل)[٢]، وقد ورد في القرآن على هذا المعنى في آيات كثيرة ، كما في وصف الله للكفار بعدم الفقه لما كانوا يعترفون بالله ثم لايعملون بمقتضى هذا الاعتراف من العمل ابتغاء وجهه ، وإخلاص العبادة له ، فقال عز وجل: ﴿**فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨]، ووصف المنافقين كذلك بأنهم لايفقهون لأنهم يعلمون الإيمان ولا يعملون به فقال سبحانه وتعالى : ﴿**رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ** ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: ٨٧] .

وكذا ورد اسم الفقه في سنة رسول الله ﷺ ومن ذلك قوله : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[٣] ، فالنبي ﷺ جعل الفقه في الدين

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٥٢٢) .

(٢) مفتاح دار السعادة (١ / ١٦٩) ، وذكر أنه سئل سعد بن إبراهيم عن أفقه أهل المدينة فقال : أتقاهم ، فالتقي هو الذي عمل بما علم فسارع للطاعة واجتنب المعصية ليتقي من عذاب النار .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٤١ .

دليلا وعلامة على إرادة الله بصاحبه خيرا ، والخير كل الخير في العمل بالدين وتطبيق العلم .

كما أن المعاني التي ذكرها العلماء للإحصاء تدل على معنى الفقه[١] ، فالفقه إذن علم له أثر عملي ، كما أن له طابعاً كسبياً فهو يحتاج إلى النظر والتأمل[٢] ، ولهذا سمي علم الفروع فقهاً لأنه علم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية ، ولهذا سمى الإمام أبوحنيفة رسالته في العقيدة بالفقه الأكبر[٣] فدلل بهذه التسمية على ما للعلم بالتوحيد وصفات الرب من أثر عملي وعبادة أكبر من العلم بأحكام الفروع[٤] .

ولكن اسم الفقه لم يرتبط بالأسماء والصفات في كلام الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ – على حد علمي – لذا لم أختره في هذا

---

(١) انظر المعنى الثاني والثالث ، وقد تقدما ص ١٥١ .

(٢) والله يسمى عالماً ولا يسمى فقيهاً لسبب ورود النص أولا ، ثم لأن الفقه أمر يحدث بعد إذ لم يكن ، ويحتاج لنظر حتى يُتوصل إليه ، وعلم الله ليس كذلك ، بل له سبحانه الكمال في العلم المحيط الأزلي .

(٣) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٣ .

(٤) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ١٦٩) ، ونظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة للكردي ص٦٥ .

البحث ، وإن كان ارتباطه بالدين عموماً يدل على ارتباطه بالأسماء والصفات ؛ إذ أعظم أصول الدين معرفة أسماء الله وصفاته .

فالربط بين الأسماء والصفات واسم الفقه وجيه للتدليل على أثرها في تحقيق العبودية ، لذا ورد قليلا في مصنفات سلف الأمة[١] ، وعند بعض أهل العلم المعاصرين[٢] .

وهكذا يتبين من هذا أن لفظ المعرفة[٣] هو الأنسب –حسب ما

---

(١) انظر على سبيل المثال الفوائد لابن القيم ص٨٥ .

(٢) فكثيرا ما تتردد عبارة فقه أسماء الله وصفاته في محاضرات العقيدة والرقائق وكذا في المقالات انظر مثلا مجلة البيان العددرقم ٩٩ في السنة العاشرة ، ذو القعدة ١٤١٦هـ مقال للدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف بعنوان " أسماء الله الحسنى الفقه والآثار" .

(٣) وهناك أسماء أخرى ارتبطت كذلك بالأسماء والصفات مثل : "الدعاء" ومستنده قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهو اسم يشمل الثناء والطلب اللذين تتحقق بهما العبودية ، فدلالة هذا لاسم على الناحية العملية أظهر من دلالته على الناحية العلمية في هذا الباب ، بينما يدل اسم المعرفة على الناحية العلمية أكثر من دلالته على الناحية العملية ، وهذا البحث يهدف إلى إبراز أهمية الناحية العلمية بالحديث عن المعرفة وإبراز الناحية العملية بالحديث عن العبودية عموما والتي يكون الدعاء جزءاً منها . وكذا الحال في اسم "التعبد" .

=

ظهر لي والله أعلم – في الدلالة على مايرمي إليه هذا البحث من معرفة أسماء الله وصفاته التي لها أثر كبير على صحة الاعتقاد ، والنصح في العبودية ، والاستقامة في الأخلاق والسلوك[١] والمبحث التالي يفصّل أهمية هذه المعرفة الشريفة .

❁ ❁ ❁

= أما ما فشا في كتب شروح الأسماء والصفات من استخدام لفظ "التخلق" فهو وإن قُيّد – عند من يظهر صلاحهم والله حسيبهم– بـ"التخلق على مقتضى العبودية" إلا أنه لفظ غير سديد منتزع من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة ، وأشد منه نكارة عبارة الفلاسفة وهي "التشبه" . انظر بدائع الفوائد لابن القيم (١ / ٦٣١) .

(١) مسألة هل المعرفة تستلزم الاهتداء : مسألة انقسم فيها العلماء من أهل السنة فريقين : فريق قال : إن العلم يستلزم الاهتداء ، ولا يتخلف عن الهدى إلا لعدم العلم أو نقصه ، فمع المعرفة الجازمة لا يُتصور الضلال . وفريق قال بعدم الاستلزام ؛ فقد يكون الرجل عالماً وهو ضال على عمد . وأصل الخلاف قائم على تعريف المعرفة والعلم وتعريف الجهل ، فإذا تقرر أن المعرفة المقصودة هي الحية الحاضرة التي تترجم لعمل ، وأن الجهل كما أنه عدم العلم كذا هو عدم العمل بالعلم كان القول في هذه المسألة واحداً وهو أن المعرفة الصحيحة تستلزم الاهتداء ومتى وقع خلافه من الذنب أو الضلال كان ذلك دليلاً على نقصها أو ضعفها ، وكل ذلك بقدر الله ثم بكسب العبد ، انظر للتوسع في المسألة مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ١٦٦ وما بعدها) .

المبحث الثاني

أهمية معرفة الأسماء والصفات

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : معرفة الأسماء والصفات أصل التوحيد .

المطلب الثاني : معرفة الأسماء والصفات سبب في زيادة الإيمان.

المطلب الثالث : معرفة الأسماء والصفات أشرف المعارف .

المطلب الرابع : معرفة الأسماء والصفات هي الطريق إلى معرفة اللّه .

المطلب الخامس : معرفة الأسماء والصفات هي الطريق إلى عبادة اللّه .

المطلب الأول

معرفة أسماء اللهّ وصفاته أصل التوحيد(*)

التوحيد في قلب المؤمن كشجرة أصلها ثابت في قلبه علماً واعتقاداً ، وفرعها من العمل الصالح في السماء مرفوع ومقبول[١] ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، والكلمة الطيبة في الآية الكريمة هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، الدالة على الإيمان به[٢]، ومن هنا كان القول بأن معرفة أسماء الله وصفاته أصل التوحيد وأساسه الذي يستلزم أنواع التوحيد كلها ويتضمنها[٣]؛ فمن عرف

(*) أسماء بعض مطالب هذا المبحث مستفادة من كتاب الدكتور عمر الأشقر: أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، انظر ص١٨٠ وما بعدها .

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٢ / ٤٦٧)

(٢) انظر جامع البيان للطبري (٨/ ٢٠٣) ، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٥).

(٣) راجع تفصيل هذا وأدلته ص١١٥ من هذه الرسالة .

أسماء الرب سبحانه وتعالى؛ أعطاه حق الربوبية ، ومن عرف أوصاف الإله عز وجل ؛ أعطاه حق الألوهية وأخلص له العبادة ، قال ابن تيمية : (إن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس ، وأدركته العقول)[١] .

ولتحقيق أصل التوحيد من العلم والاعتقاد كانت معرفة الأسماء والصفات من أول الفروض ، وأوجب الواجبات ؛ قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد : ١٩] ، وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه لليمن (فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإذا عرفوا الله . . .)[٢] فالعلم بـ "لا إله إلا الله" وما تتضمنه من تعريف بالله عز وجل هو الأصل الذي يقوم عليه التوحيد إذ لا تقوم شجرة الإيمان إلا على ساق العلم والمعرفة)[٣] .

ولهذا اعتبرها بعض من العلماء أول فرض فرضه الله على العباد ، والحق أنها من أول الفرض ، إذ إن أول فرض هو :شهادة أن لا إله إلا الله علماً واعتقاداً وقولا وعملا ومن أبرز دلالات الشهادة التعريف بالله ووحدانيته الذي تستلزم إخلاص العبادة له . فمعرفة أسماء الله وصفاته

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ٦) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٤٧ .

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ١٥٤) .

وإثباتها له على الحقيقة مما يقتضيه الفرض الأول ويتضمنه[١] .

❁ ❁ ❁

---

(١) مسألة أول واجب على العباد ، مسألة اختلفت فيها الفرق وتكلم فيها المتكلمون فذهب بعضهم إلى أن أول واجب على المكلف معرفة الله – يريدون المعرفة بوجوده عز وجل – وذهب أكثرهم إلى أن أول واجب هو النظر والاستدلال المؤديان إلى المعرفة كالأشعري والباقلاني والجويني ، وذهب ابن فورك إلى إن أول واجب هو إرادة النظر لتقدم الإرادة على المراد، كما ذهب آخرون إلى أن الشك هو أول الواجبات إذ لابد من تقدمه ليحصل النظر . ومذهب أهل السنة والجماعة أن المعرفة بوجود الله عمومًا فطرية جُبل عليها العباد ، ويحتاج إلى النظر من لا تحصل له المعرفة إلا به ، وإنما الواجب الأول هو : شهادة أن "لا إله إلا الله " اعتقادً وقولا وعملا ، وهي تتضمن المعرفة الكسبية بأسماء الله وصفاته وسيأتي بيانها في مطلب أنواع المعرفة . انظر للتوسع في المسألة الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٢٦٣) ، و مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (٢ / ٣٤٦) وما بعدها ، ومدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٣٥) وفتح الباري لابن حجر (١/٩٦) ، و كذا تعليق ابن باز على فتح الباري (١٣ / ٤٣٣) .

المطلب الثاني

معرفة الأسماء والصفات سبب في زيادة الإيمان

من أصول أهل السنة والجماعة : أن الإيمان يزيد وينقص ، لدلالة الكتاب والسنة على ذلك[١] ، كما في قوله تعالى : ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]حيث تدل الآية على زيادة الإيمان بمنطوقها وعلى

---

(١) لا يكاد يخلو مصنف من مصنفات عقيدة أهل السنة والجماعة من مسألة زيادة الإيمان ونقصانه وإثبات ذلك بأدلة الكتاب والسنة ، وقد خالف أهل السنة في هذا الأصل بعض الفرق : كالجهمية و المرجئة الذين يجعلون إيمان الفساق وعدول الأمة سواء ! لأن الإيمان عند الجهمية هو المعرفة الفطرية بالرب وهذه لا تتفاوت ، وعند المرجئة هواعتقاد وقول فقط. وكذلك خالف المعتزلة والخوارج الذين يكفّرون مرتكب الكبيرة لأن الإيمان عندهم لا يتجزأ ولا يتفاضل ، بل يوجد كله أو يذهب كله. وقد رد أهل السنة على المخالفين بأدلة النقل والعقل فبينوا الحق ودحضوا الباطل ، وللتوسع في المسألة راجع شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٣٦٠ وما بعدها، وفتح الباري لابن حجر (١ /٦٤) ، وشرح الواسطية للعثيمين (٢/ ٣٣٢ وما بعدها) ، ومعارج القبول للحكمي (٣/ ١٠٠٤ وما بعدها) .

نقصانه بمفهومها للتلازم بين الزيادة والنقص فلا يُتصور أحدهما بدون الآخر.

وقد تواترت النصوص على أن أفضل الأعمال : الإيمان بالله ، والأعمال بعده على مراتبها وهي داخلة في مسماه [١].

وأركان الإيمان بالله أربعة : الإيمان بوجوده ، والإيمان بربوبيته ، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته ، والإيمان بأسماء الله وصفاته يتضمن باقي الأركان باعتبار ويستلزمها باعتبار آخر [٢]، ومن هنا كانت معرفة أسماء الله وصفاته تحقيقاً لهذا الركن وزيادة لباقي الأركان، قال ابن تيمية : (من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيماناً مجملا) [٣]،

---

(١) دخول الأعمال في مسمى الإيمان هو مذهب أهل السنة والجماعة حيث أن الإيمان هو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان إلا أن أباحنيفة لا يدخل العمل في مسمى الإيمان ، وإن كان يؤكد على أهميته وقد تقدم ذكر ذلك في هامش ص ١٠١، بينما خالفت في هذه المسألة فرق كثيرة كالماتريدية والجهمية والكرامية ؛ مخالفة جوهرية تعطل قيمة العمل الصالح . للتوسع انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٦٠ وما بعدها .

(٢) انظر ما تقدم ذكره عن هذا في مطلب العلاقة بين أنواع التوحيد ص١١٥ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٢٣٤) .

ولهذا دعى رسول الله ﷺ إلى إحصائها ومعرفتها .

كذلك فإن معرفة أسماء الله وصفاته تُرسّخ الإيمان بوجوده وتُعرّف بحقه في الربوبية ،كما تورث العبد محبة وتأليهاً للمتصف بالجمال والكمال والجلال ، ذي القوة والعظمة والجبروت ؛ فيقبل على عبادته حباً وإجلالا ، ويبتعد عن معصيته خشية وخوفاً ، ويداوم على دعائه وسؤاله رجاء ما وعد من مغفرته وجزيل ثوابه ، فكانت المعرفة بذلك سبب زيادة عمله الصالح الذي يسبب زيادة إيمانه ، فـ(كلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله الحسنى وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه)[١] .

❁ ❁ ❁

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي ص١٠٨ .

المطلب الثالث

معرفة الأسماء والصفات أشرف المعارف

تتفاوت المعارف في الشرف بذاتها ومتعلقاتها وثمراتها وبما هي وسيلة إليه ، ومعرفة أسمائه عز وجل وصفاته أشرف المعارف ؛ لأن متعلقها أشرف المتعلقات ، وثمراتها أفضل الثمرات ، وهي وسيلة إلى أسمى الغايات[١] : فمتعلقها هو الله البارئ سبحانه وتعالى (والبارئ أشرف المعلومات فالعلم بأسمائه أشرف العلوم)[٢]، وثمراتها : التوحيد والإيمان أفضل الثمرات ، وغايتها : تحقيق العبودية لله عز وجل ، وهي أسمى الغايات .

والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم فإن المعلومات سواه سبحانه وتعالى : إما أن تكون خلقاً له تعالى ، أو أمرا كونياً أو شرعياً . ومصدر الخلق و الأمر عن أسمائه وصفاته ؛ فأمره كله حسن فيه الرحمة والإحسان في كل ما يدعوهم إليه وما ينهاهم عنه . وخلقه كله بالحكمة والقدرة والعلم فهو الخالق البارئ الحكيم العليم سبحانه وتعالى . وكما أن كل موجود فبإيجاده ، فكذلك العلم بكل معلوم

---

(١) انظر شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام ص ٥٤ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي(٢ / ٩٩٣).

تابع للعلم بأسمائه وصفاته (وكل العلوم والمعارف تبع لهذه المعرفة مرادة لأجلها)[١]، قال ابن القيم : (وكما أن العلم به أجلّ العلوم وأشرفها ، فهو أصلها كلها ، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده للملك الحق المبين ، ومفتقر إليه في تحقق ذاته ، وكل علم فهو تابع للعلم به ، مفتقر في تحقق ذاته إليه ، فالعلم به أصل كل علم ، كما أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه وموجده)[٢] (فمن عرف الله، عرف ما سواه ، ومن جهل ربه ، فهو لما سواه أجهل)[٣]. والعلوم إنما تتفاوت في الفضل بعد معرفة الأسماء والصفات بحسب إفضائها إليها (فكل علم كان أقرب إفضاء إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته فهو أعلى مما دونه)[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) عدة الصابرين لابن القيم ص ٩٣ .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ١٦٤) .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٣٥١).

(٤)عدة الصابرين لابن القيم ص ٩٣ .

المطلب الرابع

معرفة الأسماء والصفات
هي الطريق إلى معرفة اللّه

تتطلع النفس العابدة للتعرف على معبودها الحق سبحانه وتعالى ، ولما كان غيباً لا تراه ؛ فلا سبيل لها إلى معرفته إلا بأسمائه وصفاته التي عرّف بها نفسه عز وجل في كتابه ، أو عرّفه بها نبيه محمد ﷺ ، أو دلّ عليها بديع خلقه ، وعظيم نعمائه ، وجزيل عطائه .

ومن عرف أسماء الله وصفاته ؛ عرف إلهاً حقاً ، خالقاً رازقاً ، رباً منعماً متفضلا (ملكاً قيوماً فوق سماواته على عرشه يدبر أمر عباده ، يأمر وينهى ، يرسل الرسل ، وينزل الكتب ، يرضى ويغضب ، ويثيب ويعاقب ، يعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، ويخفض ويرفع ، يرى من فوق سبع سموات ويسمع ، يعلم السر والعلانية ، فعّال[1] لما يريد ، موصوف بكل كمال ، منزه عن كل عيب ، لا تتحرك ذرة فما فوقها

---

(١) هكذا بالرفع في النص ، وتحتاج لتقدير "وهو رب" فعال ....، موصوف....، منزه ، ليستقيم الإعراب ، أما بدون تقدير فحقها النصب عطفاً على" ملكاً قيوماً " .

إلا بإذنه ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه)[١] ، ومن هنا كانت جناية المعطلة جناية عظيمة ، بقطعهم الطريق إلى معرفة الله عز وجل بنفي صفاته وتعطيل كماله جل جلاله ، فكيف يكون إيمان ؟ وكيف يكون توحيد عند المعطلة ونفاة الصفات؟! (وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها ولا يرى مكانها، ولا يُحِب ولا يُحَب ،ولا يقوم به فعل البتة ، ولا يتكلم ولا يُكلَّم ولا يقرَب من شيء ولا يقرُب منه شيء ، ولا يقوم به رأفة ولا رحمة ولا حنان ، ولا له حكم ولا غاية يفعل ويأمر لأجلها)[٢] فلا يُتصور الإيمان بمجهول ، فكيف بمعدوم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فمعرفة الأسماء والصفات هي الطريق إلى معرفة الله ، ومعرفته طريق عبادته كما يحب ويرضى . والعبد يحب أن يتعرف على كل من يتعامل معه و(الله الذي خلقنا ورزقنا ، ونحن نرجو رحمته ، ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها)[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر الفوائد لابن القيم ص١٣١ بتصرف يسير .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٣٥١) .

(٣) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢ / ٤٥٢) .

المطلب الخامس

معرفة الأسماء والصفات هي الطريق إلى عبادة الله(*)

قال تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥] فجعل تفرده سبحانه وتعالى بالربوبية ، واختصاصه بالأسماء الحسنى برهاناً قاطعاً على استحقاقه للعبودية وحده ، وإبطال عبادة من سواه [١] ، فينبغي للعباد (أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته) [٢] ، ويعرفوا ما

(*) بخلاف ما يزعمه زنادقة المتصوفة والملاحدة الباطنية الذين يجعلون غاية العبادات حصول المعرفة ، ولهذا فلا يوجبون العبادة والعمل بالشرائع على من وصل إلى حقيقة المعرفة ويقولون إنها لا تجب على الأنبياء كذلك وإنما كانوا يفعلونها لأنها من تمام التبليغ ليقتدي بهم الناس . ويحتجون بقول الله عز وجل : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] ، ويزعمون أن اليقين هو المعرفة ، وهذا خطأ بإجماع أهل التفسير وغيرهم . انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣ / ٢٧٠) .

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٣ / ١٧٩) .

(٢) الحجه في بيان المحجة للأصبهاني (٢ / ٤٥٢) .

يجب له وما يستحقه ؛ فيوحدوه ويحمدوه ويمجدوه ، وبها يدعونه ويسألونه عز وجل ، وبمعرفتها يعرفون ما يحب وما يكره ؛ فيتقربون إليه بفعل ما يحب واجتناب ما يكره ، وهذه هي العبادة التي تعبدهم بها الله عز وجل .

وبمعرفة أسماء الله وصفاته يتحقق الذل والخضوع في أكمل درجاته ، وتتحقق المحبة في أعلى صورها وكذا سائر العبادات[١] ، فكلما كان العبد بأسماء الله وصفاته أعرف كان لله أعبد فالمعرفة الكاملة الصحيحة تستلزم الاهتداء [٢]، إذ الاعتراف والإقرار اللذين هما أصل المعرفة ، هما المحركان على باقي الطاعات ، فإذا وُجدا بعثا وحركا إلى غيرهما من العبادات ، ولا يكون وجود الصلاة مثلا أو الصيام أو الحج مع جحد البارئ جل جلاله[٣] . وبالأسماء الحسنى يتم الدعاء، و(الدعاء هو العبادة)[٤]، قال عز وجل : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ**

---

(١) يأتي تفصيل هذا في الفصل الثالث من هذه الرسالة .

(٢) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٤١٧ . وانظر ص١٥٥ من هذه الرسالة بيان لمسألة هل المعرفة تستلزم الاهتداء .

(٣) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٦٤) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعاء ، باب ما جاء في ضل الدعاء ، (٥ / ٤٥٦) وقال حديث حسن صحيح ، وأخرج نحوه ابن ماجه في سننه ، كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء (٢ /١٢٥٨) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الدعاء (١/ ٤٩١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ فمن عرف أن الله سميع دعاه وناداه : يا رحمن : ارحمني ، ويا تواب: تب علي ، ويا رزاق : ارزقني ، ويا وهاب : هب لي .

وبها كذلك يُذكر سبحانه ويُحمد ويُثنى عليه بما هو أهله ، جاء في ثناء المصطفى ﷺ على ربه عز وجل : (اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن)[١] .

وهكذا فـ(الأسماء الحسنى والصفات العلا ، مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاؤها آثارها من الخلق والتكوين ، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها)[٢] . و(الإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ص١٢١٥ ، وأخرج مسلم نحوه في الصحيح ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ص٣٠٤ .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢ / ٩٠) ، وقال ابن القيم : (أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها) .

مبدأ الطريق ووسطه وغايته ، وهو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول ومحرك عزماتهم إذا فتروا ومثير هممهم إذا قصروا)[١].

ولما كانت معرفة الله عز وجل بهذه الأهمية والمكانة من الدين ؛ فقد تطلعت إليها النفوس ، وسعى إلى تحصيلها كل عاقل ، وتفاوت العباد في حظهم منها تفاوتاً كبيراً .

والمبحث التالي يبيّن هذا ويفصله .

❁ ❁ ❁

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٣٥٠).

المبحث الثالث

تفاضل العباد في معرفة الله تعالى

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أدلة تفاضل العباد في معرفة اللهّ تعالى .

المطلب الثاني : أنواع معرفة اللهّ تعالى .

المطلب الثالث : درجات العباد في معرفة اللهّ تعالى .

المطلب الأول

أدلة تفاضل العباد في معرفة اللهّ تعالى

العباد يتفاوتون في أعمالهم وصفاتهم (فما من صفة من صفات الحي وإدراكاته ، بل وغير الحي إلا وهي تقبل التفاضل والتفاوت إلى ما لا يحصره البشر)[١]، ومعرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ليست عملا قلبياً محضاً لا يمكن لأحد أن يعلمه ، وليست كذلك عملية عقلية نظرية فقط تقاس باختبارات معرفية ، بل هي إقرار يتبعه عمل ، وعلم تظهر آثاره على السلوك وعلى هذا فهي تقبل التفاضل على الصحيح عند أهل السنة ، ومن الأدلة[٢] الدالة على تفاضل العباد في حظهم منها :

١- قوله ﷺ : (أنا أعرفكم بالله)[٣] ؛ ففيه دليل ظاهر على أن المعرفة درجات وأن بعض الناس فيها أفضل من بعض[٤]، وإلى هذا

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٥٦٥) .

(٢) فكرة هذه الأدلة مستفادة من فصل عقده ابن تيمية في بيان وجوه التفاضل في الإيمان (٧ / ٥٦٢ وما بعدها) .

(٣) سبق تخريجه ص١٣٨ .

(٤) انظر فتح الباري لابن حجر (١ / ٩٦) .

أشار ابن تيمية بقوله : (في ذلك من الأنواع المتنوعة والدرجات المتباينة مالا يحصيه إلا الله تعالى)[١] .

٢- قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن : (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فإذا هم عرفوا الله)[٢]، فجعلهم عارفين بالله قبل أدائهم لفرض الصلاة والزكاة ، (بل جعلهم في أول أوقات دخولهم في الإسلام عارفين بالله ، ولا ريب أن هذه المعرفة ليست كمعرفة المهاجرين والأنصار ، فالناس متفاوتون في درجات المعرفة تفاوتاً بعيداً)[٣] .

٣- أنها جزء من الإيمان والتصديق القلبي ، وهذا يتفاضل فيه العباد ، (والمعاني التي يؤمن بها من معاني أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها)[٤]، ومعلوم أن الإيمان يزيد وينقص ولا يقول عاقل بأن إيمان عدول هذه الأمة يستوي بإيمان فساقها .

٤- أنها من أعمال القلوب و الناس يتفاضلون في هذه الأعمال ، ففي المحبة قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ، وفي

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١ / ٣٩٠) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٤٧ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٣ /٢٣٧) .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٢٣٤) .

الخشية قال ﷺ : (لأنا أعلمهم بالله وأخشاهم لله)[١] (وهكذا تفاضلهم في خوف ما يخافون ، وتفاضلهم في الذل والخضوع لما يذلون له ويخضعون ، وكذلك تفاضلهم فيما يعرفونه من المعروفات ، ويصدقون به ويقرون به ، فإن كانوا يتفاضلون في معرفة الملائكة وصفاتهم والتصديق بهم فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته والتصديق به أعظم)[٢] .

٥- أنها علم ، ولا حد ولا حصر لتفاوت الناس في حظهم منه ، لذا جاء التوجيه القرآني لطلب الزيادة منه في قوله تعالى : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴿١١٤﴾ ﴾ [طـه: ١١٤] ، فالعلم بها قد يكون مجملا وقد يكون مفصلا و(من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها ؛ كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانًا مجملا أو عرف بعضها)[٣] لأن معرفته بالله أتم و(إذا كان من أسمائه ما اختص هو بمعرفته ، ومن أسمائه ما خص به من شاء من عباده ، عُلم أن تفاضل الناس في معرفته أعظم من تفاضلهم في معرفة كل ما يعرفون)[٤] .

---

(١) سبق تخريجه ص ١٣٨ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٥٦٩) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٢٣٤) .

(٤) المرجع السابق (٧ / ٥٧١) .

وكل(من كان بما له سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات أعلم وأعرف كان بالله أعلم وأعرف)[١] .

٦- أن للمعرفة أسباباً تفضي إليها ، وفي هذا مجال للتفاضل كبير (فمن كان مُستَند تصديقه ومحبته أدلة توجب اليقين وتبيّن فساد الشبه العارضة ، لم يكن بمنزلة من كان تصديقه لأسباب دون ذلك)[٢] و(الشيء كلما قويت أسبابه وتعددت ، وانقطعت موانعه واضمحلت ؛ كان أوجب لكماله ، وقوته ، وتمامه)[٣] .

٧- أنها تبعث لعبادات وأعمال ظاهرة وباطنة ، وتفاوت العباد في هذه الأعمال يقتضي تفاضلهم فيما بعث عليها ، إذ كلما كان الباعث قوياً كان العمل مستمراً وكاملا ، فالعباد (إنما تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبته سبحانه وتعالى على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به ، فأعرفهم بالله أشدهم حباً له)[٤]، وكذا تفاوتهم في حظهم من الصلاة والصيام والجهاد وغيره فيه دلالة على تفاوتهم فيما يبعثهم عليها ويحركهم إليها .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٤٧٥) .

(٢) المرجع السابق (٧ / ٥٦٥) .

(٣) المرجع السابق (٧ / ٥٦٦) .

(٤) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٤١٣ .

٨- أنها تتفاضل من جهة دوامها وذكرها واستحضارها فـ (العالم بالشيء في حال غفلته عنه دون العالم بالشيء في ذكره له)[١] فـ (الغفلة تضاد كمال العلم ، والتصديق والذكر والاستحضار يُكمّل العلم واليقين)[٢] .

٩- أنها تتفاوت بحسب ما يتبعها من عمل ، فالعلم الذي يراعيه صاحبه ويعمل به أكمل وأتم من العلم الذي لا يعمل به ، ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

١٠- أنها من الواجبات و (الوجوب يتنوع بتنوع الناس فيه ، ثم أن قدرتهم في أداء الواجب متفاوتة)[٣]، فمنهم الظالم لنفسه ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات .

ويؤيد هذا كله ويؤكده (أن كل أحد يعلم أن مافي قلبه يتفاضل حتى أنه يكون في بعض الأحيان أعظم يقيناً وإخلاصاً وتوكلا منه في بعضها)[٤]، وما ذاك إلا بحسب قوة المعرفة – بعد توفيق الله –أو غلبة الغفلة .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٥٦٦) .

(٢) المرجع السابق (٧ / ٥٣٥) .

(٣) المرجع السابق (٧ / ٤٠٩) .

(٤) فتح الباري لابن حجر (١ / ٦٤) .

المطلب الثاني

أنواع معرفة اللّه

معرفة العباد بربهم عز وجل نوعان ، ودرجاتهم فيها متفاوتة جداً يتفاضلون فيها بين عوام وخواص . أما نوعاها فهما :

أولا : المعرفة الفطرية الغريزية :

وهي عامة ، موجودة عند كل إنسان (فإن كل أحد يرجع إلى فطرته وغريزته عرف خالقه وذلك معنى قوله تعالى : ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم: ٣٠] وهذه المعرفة هي التي أخبر الله تعالى بوجودها في الكفار وذلك في قوله عز وجل : ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال : ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فحين ظهرت لهم حال الضرورة وانقطعوا عن أسباب الخلق ، ولم يبق لهم تعلق بأحد ؛ ظهرت منهم المعرفة الغريزية)[١] فهي معرفة مودعة في الفطرة التي هي (بطبعها أسبق إلى الاعتراف بالرب الخالق من الاعتراف بالإله المعبود ، وذلك لعلم النفوس بحاجتها وفقرها إلى من يحميها وتلوذ

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٤١) .

إليه عند نزول المصائب قبل علمها بحاجتها إلى الإله المعبود الذي تتوجه إليه بالعبادة دون غيره)[١] .

وهي التي تم الإشهاد عليها منذ عالم الذر قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وهي معرفة إقرار مجمل قال ابن القيم : (أودع الله في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل والجحود أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته وأنه الموصوف بكل كمال المنزه عن كل عيب ونقص)[٢] .

وقد أخطأت طوائف[٣] فزعمت أن هذه المعرفة هي مطلوب الله من العباد ، وهي حقيقة الإيمان الذي دعاهم إليه وتعبّدهم به ! وفي المقابل نفى وجودها آخرون زاعمين بأن المعرفة لاوجود لها في الفطرة وأن حصولها موقوف على النظر والاستدلال، والحق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن معرفة الله فطرية وليست مناط كفر ولا إيمان فقد

---

(١) من مقدمة الجليند لكتاب التوحيد لابن تيمية ص ٤٩ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٤٦٧) .

(٣) كالجهمية والقدرية وكثير من الصوفية وغيرهم .

فطرهم الله عليها وطلب منهم الاهتداء بها لتوحيد الله وعبادته[١] .

وهذه المعرفة لا تتفاوت في ذاتها ، إذ من فضل الله عز وجل أنه ساقها للعباد سوقاً عاماً وبث دلائلها في الكون كله ، فهي معرفة يستوي فيها عوام الأمة وعلماؤها ، ويستوي فيها البر والفاجر ، بل يستوي فيها إبليس مع عدول الأمة[٢] ، ولذا فهي غير نافعة بذاتها، ولا يعلق عليها ثواب وعقاب ، ولكنها نافعة فيما لو تركت بدون معارضة خارجية لأنها تقود إلى الإيمان ،كذا لو تبعها نظر شرعي في ملكوت الله ، واتباع لشرع الله فإنها بذلك تكون وسيلة للهداية .

ثانيا : المعرفة الكسبية :

وهي المعرفة بأسماء الله وصفاته عز وجل وفهم معانيها ومقتضياتها في الخلق والأمر ، وهي معرفة خاصة يكتسبها العبد من

---

(١) انظر تفصيل القول في المعرفة هل هي فطرية أو نظرية : الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢ / ٤١، ٤٢) ، ومجموع الرسائل الكبرى لابن تيمية (٢ / ٣٤٧) ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨ /٤٢٢) ومدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥٩) ، وكذا منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة لعثمان حسن (١ / ٢١٠) .

(٢) إلا من مسخت فطرتهم وتنجست نفوسهم بالتعطيل والإلحاد فهؤلاء ضلوا حتى عن هذه المعرفة العامة .

النظر في كتاب الله المقروء – القرآن– وكتابه المنظور– الكون– وبتأملهما (يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات ، ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات فإذا شاهد شيئًا من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات؛ ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات)[١] .

كما أنها (معرفة توجب الحياء منه سبحانه وتعالى والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته ، والإنابة إليه ، والأنس به والفرار من الخلق إليه)[٢] ، ولها أشار ابن رجب بقوله : (فإذا كان بينه – أي العبد – وبين ربه معرفة خاصة كفاه : فإن سأله أعطاه ، وإن دعاه أجابه ، كما في الحديث الإلهي : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) إلى قوله : (فلئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) وفي رواية (ولئن دعاني لأجيبنه)[٣] فالشأن في أن يكون بين العبد وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريبا منه يستأنس به في خلوته...)[٤] .

وهذا النوع من المعرفة عزيز ، يقل كلما تقدم الزمان ، جاء عن

---

(١) الفوائد لابن القيم ص ٣٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠١.

(٣) سبق تخريجه ص ٨١.

(٤) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص٣٣ وما بعدها .

طائفة من الصحابة قولهم : (إن أول علم يرفع من الناس الخشوع)[١] وما الخشوع إلا ثمرة من ثمرات هذه المعرفة ، وزوال الأثر دليل على زوال المؤثر .

ومن هنا كان الرسول ﷺ يندب إلى تقويتها ودوام استحضارها في كل الأحوال فقال (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)[٢]، فـ(الله تعالى فطر الناس على المعرفة الغريزية وطلب منهم المعرفة الكسبية وعلق الثواب بها والعقاب على تركها)[٣].

ولما كانت هذه المعرفة كسبية ؛ فالزيادة فيها والسعي إلى كمال تحقيقها مجال منافسة بين العباد للارتقاء في درجاتها نحو الكمال .

والمطلب التالي يلقي الضوء على درجات العباد فيها وأكملهم معرفة بالله عز وجل .

❁ ❁ ❁

---

(١) فضل علم السلف على الخلف لابن رجب ص ٣٤ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٢ .

(٣) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢ / ٤١) .

المطلب الثالث

درجات العباد في معرفة اللهّ

يتفاضل العباد في درجات هذه المعرفة بحسب ما يعرفون من أسماء الله وصفاته وبحسب ما يفتح الله لهم من رحمته ، وكذا بحسب تأملاتهم في ملكوت السموات والأرض متعرفين بذلك على الخالق البارئ وصفاته التي تظهر آثارها في مخلوقاته . فدرجاتهم فيها بحسب (الإجمال والتفصيل ، والقوة والضعف ودوام الحضور أو الغفلة، فليست المفصلة المستحضرة الثابتة التي يثبت الله صاحبها بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، كالمجملة التي غُفل عنها)[١] .

وكمال معرفة الله عز وجل: معرفة أسمائه وصفاته ؛ فكلما زادت معرفة العبد بأسماء الله وصفاته ازدادت معرفته بربه سبحانه وتعالى ، والعباد يتفاوتون في ذلك فـ(من الناس من ليس لهم من معرفة الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت أسماعهم)[٢]، ومنهم من

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٤٠٩) بتصرف يسير .

(٢) تهذيب موعظة المؤمنين للقاسمي ص ٤١٦ .

يحصي أسماءه سبحانه ويعدها ، ومنهم من خصه الله بعلم من لدنه .
ومن الناس من يعرف الله في الرخاء ، ومنهم من يعرفه في الشدة ، ودرجة الكمال أن يعرفه في كل أحواله .

و (من الناس من يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان ، ومنهم من يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز ، ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة ، ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر واللطف، ومنهم من يعرفه بالقهر والملك ، ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته .
وأعم هؤلاء معرفة من عرفه من كلامه ، فإنه يعرف رباً قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال ، منزه[١] عن المثال بريء من النقائص والعيوب ، له كل اسم حسن وكل وصف كمال ، فعال لما يريد ، فوق كل شيء ، ومع كل شيء، وقادر على كل شيء ، ومقيم لكل شيء ، آمر ناه متكلم بكلماته الدينية والكونية ، أكبر من كل شيء ، وأجمل من كل شيء ، أرحم الراحمين ، وأقدر القادرين ، وأحكم الحاكمين)[٢] .

---

(١) هكذا بالرفع في النص ، وتحتاج لتقدير "وهو رب" قبل قوله : منزه...بريء...فعّال...قادر...مقيم...آمر...متكلم ... ، ليستقيم الإعراب ، أما بدون هذا التقدير فحقها النصب عطفاً على " رباً " والله أعلم .

(٢) الفوائد لابن القيم ص ٣١٦ .

ومن الناس : العالم البصير الذي يطالع في تفاصيل صنع الله تعالى حتى يرى ما يبهر عقله ، فتزداد عظمة الله في قلبه ، فيزداد حباً له .

وأكمل هؤلاء جميعاً أنبياء الله عز وجل الذين تنزل الوحي على قلوبهم وزكت نفوسهم ، وفتح الله لهم من محامده ؛ فعرفوا ربهم أكمل معرفة وعبدوه أكمل عبادة ولهذا قال عنهم الله عز وجل : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام: ٩٠] وسيرهم العظيمة تزخر بشواهد المعرفة من عظيم محبة الإله ، والتذلل والخضوع له ، ودوام دعائه وذكره مما لا يتسع المقام لعرضه هنا .

وأكملهم على الإطلاق محمد ﷺ الذي اصطفاه الله ليكون خاتم النبيين، وخير الأولين والآخرين ، وأنزل عليه أعظم كتاب عرّف فيه نفسه عز وجل ، وقد قرر هو ذلك بقوله : (لأنا أعلمهم بالله)[١] ، كما وأنه ﷺ هو الذي دلنا على هذه المعرفة وبيّنها لنا أكمل بيان ، ودعانا إليها بعد أن ذاق حلاوتها ، قال ابن تيمية : (ومعلوم أن رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك وأفصح من غيره عبارة وبياناً ، بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة ، وأفصحهم فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والإرادة)[٢] فيما يصل إليه البشر .

---

(١) سبق تخريجه ص ١٣٨ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ٣٠) .

ثم باقي العباد من بعد الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، وأولهم أهل الرسالات السماوية فمعرفتهم أكمل من معرفة غيرهم ، إذ إنهم عرفوه من تعريف رسله به سبحانه وتعالى بالإضافة إلى ما يشاهدونه من مخلوقاته . وأهل هذا الدين الخاتم أكمل هؤلاء ، إذ الإسلام أكمل الأديان ، وكتابه القرآن أعظم الكتب ، وما ذكر في القرآن الكريم من أسماء الله وصفاته أكثر بكثير مما ذكر في غيره من الكتب[١] .

ويتفاضل المسلمون العارفون بالله عز وجل في هذه المعرفة تفاضلا كبيراً، أشار إليه ابن أبي العز[٢] – في شرحه للطحاوية – بقوله: (تفاوت نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله تعالى؛ فمن الناس من نورها في قلبه كالشمس ، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري ، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف)[٣] .

---

(١) فذكر الأسماء والصفات في كتاب الله ، كثير جداً حيث تكررت ١٠٠٦٢ مرة ، أي في الصفحة الواحدة قرابة عشرين مرة في المتوسط . انظر العقيدة في الله للأشقر ص٦٠ .

(٢) هو علي بن علي بن أبي العز الدمشقي ، صدر الدين ، من فقهاء الأحناف، ولي القضاء بدمشق والديار المصرية ، نصر السنة ، كان متمسكًا بعقيدة السلف غيوراً عليها داعياً لها ، توفي سنة ٧٩٢هـ . انظر شذرات الذهب لابن العماد (٨/ ٥٥٧) ، ومعجم المؤلفين لكحالة (٧/ ١٥٦) ، والأعلام للزركلي (٤ / ٣١٣) .

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٣٦٣ .

وذكر رسول الله ﷺ لصحابته رضي الله عنهم أن الواحد من بني آدم يكون خيراً من ملء الأرض من الآدميين ، عندما مرّ أمامهم رجل فقال ﷺ : (ما تقولون في هذا) قالوا : هذا حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع لقوله .فسكت رسول الله ﷺ ، ثم مر رجل من فقراء المسلمين فقال : (ما تقولون في هذا) قالوا : حري إن خطب أن لاينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يستمع له ، فقال ﷺ : (هذا خير من ملء الأرض مثل هذا)[١] .

وأكمل المسلمين معرفة بالله عز وجل : أبوبكر فعمر ثم عثمان وعلي رضي الله عنهم ، فباقي العشرة المبشرين ، إذ إن إيمانهم بربهم وتصديقهم لرسوله ﷺ دليل معرفتهم العظيمة بربهم عز وجل ، ثم المؤمنون بعدهم على درجات عظيمة في التفاوت[٢] .

ومهما تعرف العبد على ما لله من أسماء وصفات فلن يحيط بها كلها[٣] فـ(ما خفي على الخلق من كماله أعظم و أعظم مما عرفوه منه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ص١٠٠٩ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٣٨٥) .

(٣) بيّن ابن تيمية خطأ مَن زعم من أهل الكلام : أنهم عرفوا الله حق معرفته بحيث لم يبق له صفة إلا عرفوها ، وإن ما لم يعرفوه ولم يقم لهم دليل على ثبوته كان معدوماً منتفياً في نفس الأمر . بل ما خفي عن العباد من =

بل لا نسبة لما عرفوه من ذلك إلى ما لم يعرفوه)[١] .

والارتقاء في درجات المعرفة مجال تنافس بين العباد ليحققوا عبوديتهم لله تعالى في أكمل صورها ، ولا يشترط تحققهم بالمعرفة الكاملة ليدخلوا الجنة فـ(لو كان لا يدخل الجنة إلا من يعرف الله كما يعرفه نبيه ﷺ لم تدخل أمته الجنة ؛ فإنهم – أو أكثرهم – لا يستطيعون هذه المعرفة ، بل يدخلونها وتكون منازلهم متفاضلة بحسب إيمانهم ومعرفتهم)[٢] .

ويحتاج طالبها إلى الدعاء الدائم وملازمة الاستقامة لينوّر الله له قلبه ، ويعلّمه بفضله وكرمه[٣] ، (ويأس الإنسان أن يصل إلى ما يحبه ويرضاه من معرفته وتوحيده كبيرة من الكبائر ؛ بل عليه أن يرجو ذلك ويطمع فيه . لكن من رجا شيئًا طلبه ، ومن خاف من

كماله أعظم مما عرفوه . انظر مجموع الفتاوى(٧ / ٥٧١) .

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣ /٤٦٧) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ٢٥٤) .

(٣) فالاستقامة والتقوى سبب في حصول العلم ، ولكن في باب الأسماء والصفات يكون أثر التقوى في الفهم والتذكر ودوام الاستحضار وزيادة الإيمان ، لا في معرفة أسماء وصفات جديدة إذ إن باب الأسماء والصفات مبناه على التوقيف .

شيء هرب منه ، وإذا اجتهد واستعان بالله تعالى ولازم الاستغفار والاجتهاد فلابد أن يؤتيه الله من فضله ما لم يخطر ببال)[١] . كما أنه لا بد من بذل الجهد في معرفة أسماء الله وصفاته وتأمل آثارها في الكون والحياة ومقتضياتها في الأمر والنهي ، وكذا تحري المعتقد الحق فيها ، والطريق المأمون لهذا الموصل للحق إنما هو الوحي .

والمبحث التالي يفصل طريقة الوحي بنوعيه في التعريف بالله عز وجل ، وطريقة أهل السنة في التعرّف على الله وتعريف العباد به .

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١ / ٣٩٠) .

المبحث الرابع

طريق معرفة الأسماء والصفات

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : طرق معرفة اللهَّ تعالى .

المطلب الثاني : طريقة القرآن في التعريف بأسماء اللهَّ وصفاته .

المطلب الثالث : طريقة السُّنة في التعريف بأسماء اللهَّ وصفاته .

المطلب الرابع : طريقة السلف ومعتقدهم في باب الأسماء والصفات .



المطلب الأول

طرق معرفة اللهّ تعالى

بث الله عز وجل في الكون دلائل ربوبيته ، وآيات ألوهيته ، وتفضل على عباده فزودهم بأدوات المعرفة من عقل وحواس ، كما جبل نفوسهم على الحاجة إليه ، ثم أرسل إليهم رسله ، يذكرونهم ويهدونهم إليه صراطاً مستقيماً ؛ ليسهّل لهم طريق معرفته ؛ فيعظموه ويعبدوه سبحانه وتعالى حق العبادة . وطرق معرفة الله عز وجل في الجملة ثلاثة[١] :

أولاً : طريق الفطرة :

فقد خلق الله عز وجل عباده حنفاء ، يعرفون ربهم واحداً خالقاً رازقاً معرفة فطرية عامة ، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل :

---

(١) وهي واضحة في نصوص الكتاب والسنة التي تدعو للتفكر والتأمل ، وتعمل على إيقاظ الفطرة ، وفوق كل ذلك تزود بالعلم الصحيح من لدن العليم الخبير سبحانه وتعالى ، وعند تفصيلها يمكن القول بأنها خمسة : القرآن ، والسنة الصحيحة ، والإجماع والعقل والفطرة ، انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (١ / ٥١ – ٧٧) ، بينما طرق المعرفة أو مصادرها عند المتكلمين والمتصوفين تتعدى هذا إلى الإلهام والحدس وما يسمونه بالمعرفة الإشراقية ، انظر مصادر المعرفة للزنيدي ص٩٤ .

(خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين)[١]، وحكى لنا القرآن إقرارهم مسلمهم وكافرهم بهذه الصفات لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. فالفطر السوية تعرف أن ربها سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء، وأجل وأعظم، وأعلى وأعلم، فتتجه عند الاضطرار وطلب الحاجات بفطرتها إلى الأعلى.

لكن الفطرة قد تتعرض إلى ما يفسدها من خارجها فلا تدل على الخير ولا تقود للحق، بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..)[٢] كما أنها وحدها لا توصل إلى معرفة كثير من أسماء الله وصفاته[٣]، وإن كانت تُوصل إلى معرفة مطلق الكمال للمعبود الحق سبحانه وتعالى، فهي طريق إلى المعرفة المجملة بالله تعالى، أما المعرفة التفصيلية فلا

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار ص ١١٤٩.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ص٢٦٤. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ص١٠٦٦.

(٣) ككثير من صفاته الخبرية وبعض صفاته الفعلية، انظر للتوسع القواعد المثلى للعثيمين ص٢٥.

تكون إلا بالقرآن والسنة الصحيحة[١] ، قال ابن القيم : (وقد أودع الله في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل والجحود أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته وأنه الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل عيب ونقص فالكمال كله والجمال والجلال والبهاء ، والعزة والعظمة والكبرياء كله من لوازم ذاته يستحيل أن يكون غير ذلك)[٢] .

فالفطرة السوية طريق لمعرفة الله عز وجل ، معرفة كماله المطلق ، ولكنها ليست طريقاً لمعرفة تفاصيل أسماء الله وصفاته عند أهل السنة والجماعة ، إذ تفاصيل هذا إنما تعلم بالخبر الذي جاء به الوحي[٣] .

ثانيًا : طريق العقل :

فالله قد زود العباد بنوافذ المعرفة من الحواس المختلفة ، لينظروا في آياته المبثوثة في كل جزء من صنعته التي هي أدلة متنوعة عليه ومناسبة لكل مستويات الأفهام والحظ من الفهم والتعقل والإدراك ،

---

(١) انظر معرفة الله عز وجل وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية لمصطفى حلمي ص٤٣ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٤٦٧) .

(٣) انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان حسن (١ / ٢١٤) . ومعرفة الله عز وجل وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية لمصطفى حلمي ص٤٣ .

فصاحب العقل الصحيح يفكر في الكون حوله ؛ فيعرف أن كل موجود لابد له من خالق أوجده ، وهذا الخالق لابد وأن يكون عظيماً قوياً قادراً مريداً عالماً حكيماً ، وينظر ويفكر في النفس البشرية وما أودع الله فيها من الأسرار ، وما حوته من بدائع الخلق في أجهزتها المختلفة فيستدل بها على الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى . ويفكر ويتأمل في نعم الله المتوالية على الأكوان التي لا يستطيع أحد إحصاؤها ؛ فيستدل بها على المنعم المعطي الوهاب الرزاق ، أهل الجود والكرم . ويدله كل جمال وكمال لا نقص فيه ، منحه الله عز وجل لمخلوقاته ؛ على أن موجده ومانحه سبحانه وتعالى أولى به ؛ فيثبت له الجمال المطلق والكمال المطلق وينزهه عن كل نقص وعيب ، وهذا هو مايسمى بقياس الأولى، وهو القياس العقلي الصحيح الذي يُستخدم للوصول لمعرفة أسماء الله وصفاته ، إذ هو قياس عقلي قرآني .

فالعقل شرط لحصول المعرفة ، ووسيلة إلى كمالها [١]، إلا أن

---

(١) يخالف في هذا الأصل العظيم الصوفية إذ يذمون العقل ويعيبونه ويذمون العلم تبعًا له ، ويمتدحون ذهابه وغيابه بسكر ووله وجنون ويرون أن حصول المعرفة الحقيقية والمقامات السنية لا يتحقق إلا مع عدم العقل حيث تشرق المعارف على نفوسهم !! انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٣٨) . كما خالف فيه طوائف من أهل الكلام الذين أسسوا دينهم على العقل وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول . انظر الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١ / ٣٢٠) .

مجاله إدراك المحسوسات ، والاستدلال على بعض من عالم الغيب بما يدركه من عالم الشهادة كاستدلاله على بعض صفات الله ، وعلى اليوم الآخر فهو (غريزة في النفس ، وقوة فيها ، بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار أما إذا انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها)[١]، ومن ذلك إدراك الربوبيةوعظمة الألوهية ، وإدراك أسماء الله وصفاته فإنه لا يستطيعها مهما فكر وتدبر قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠]. وإذا ما تعدى العقل حدود مجاله فإنه يجانب الصواب[٢].

وقد حذر الطحاوي من عاقبة إعمال العقل فيما هو ليس من اختصاصه فقال : (من رام علم ما حُظر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فَهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد ، وصافي المعرفة ، وصحيح الإيمان)[٣].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣ / ٣٣٨) .

(٢) كما كان عند فلاسفة تبعوا عقولهم فقط فأسموا الله عز وجل (العقل الفعال) و(العلة الفاعلة) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، قال بذلك ابن سينا وغيره مقلداً أرسطو ، انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢ /٤٤٦، ٥٤٢)، والمعجم الفلسفي لصليبا (٢ / ٨٦ ، ٩٧)

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٨٤ .

وباب الأسماء والصفات من الأمور التي يقصُر العقل بمفرده عن إدراكها ؛ فلربما يضِل فيُنكر اتصاف الخالق ببعض الصفات كالنزول والاستواء على العرش ، والوجه واليدين غير مدرك للفرق بين ما يمكنه إدراكه وبين ما يعجز عن إدراكه استقلالا وما درى أن عدم الإدراك لايعني عدم المدرك [١] ، أويضل فيثبتها على ما يتخيلها وفق ما يراه في المخلوقين فينسب للرب سبحانه ما لمخلوقاته من صفات ، إذا فكر بأقيسة ومعقولات تختص بعالمه المحسوس وأقحمها فيما وراء الحس من صفات الرب تعالى [٢] (والله تعالى لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة

---

(١) كما فعل المعطلة والمعتزلة ، قال ابن تيمية ذاما طريقتهم في إقحام العقل فيما ليس من اختصاصه : فإن حقيقة الأمر على ما يقول هؤلاء: يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل، وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن ، وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه !! انظر مجموع الفتاوى (٥ / ١٦) ، وكذا رد على شبهتهم في مسألة دلالة العقل على ما يثبتون وينفون . انظر التدمرية ص١٦ .

(٢) كما فعل المشبهة والمعطلة ، راجع أقوالهم والرد عليها في التدمرية ص ٤٨ وما بعدها ، وقال ابن تيمية مبينًا فساد شبهتهم : (فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً ، =

لخلقه فإن الله لامثل له بل له المثل الأعلى فلا يجوز أن يشرك هو المخلوقات في قياس تمثيل[١] ولا قياس شمول[٢] يستوي أفراده، ولكن

وكل ذلك من المحال ، ونحو ذلك من الكلام فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم) ثم حكى قولهم : (إذا كان مستوياً على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك ؛ إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا) بينما يثبت أهل السنة والجماعة استواء الله على العرش على ما يليق بجلاله وعظمته فلا يلزم من إثباتهم هذا ما يلزم المجسمة ، ولا يتكلمون في الكيف ، ولا يقحمون عقولهم فيما ليس من اختصاص العقل ، بين ذلك ابن تيمية بقوله : (أما استواء يليق بجلال الله تعالى ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة) انظر للتوسع مجموع الفتاوى (٥ / ٢٧ – ٢٨) .

(١) قياس التمثيل مبني على التسوية بين أصل وفرع لعلة جامعة بينهما ، انظر ضوابط المعرفة للميداني ص٢٩١ ، وهو أن يلحق الشيء بمثيله فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق ، وهو ممتنع الاستعمال في حق الرب تعالى ، انظر شرح الواسطية للعثيمين (١ / ١٢٩) .

(٢) قياس الشمول هو استدلال بكلي على جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت الكلي ، انظر شرح الواسطية لهراس ص٢٧ ، وهو ممتنع الاستعمال في حق الرب تعالى فمثلا : لاتقاس حياة الله تعالى بحياة الخلق من أجل أن الكل يشمله اسم حي وصفة الحياة ، انظر شرح الواسطية للعثيمين (١ / ٩٢١) .

يستعمل في حقه المثل الأعلى ، وهو أنه كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه)[١] (قال بعض أهل العلم : إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية ، لا لإدراك الربوبية فمن شغل ما أعطي لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية ولم يدرك الربوبية)[٢]. وهكذا فلا يمكن أن يكون العقل وحده طريقاً لمعرفة أسماء الله وصفاته[٣]، بل ينبغي أن يكون خلف الوحي مسلّماً له ، كما لم تكن الفطرة وحدها طريقاً لذلك ، وإن كانا يدلان على الواحد الأحد وعلى أن له الكمال المطلق.

ثالثًا : طريق الوحي :

هو الطريق الوحيد المأمون العاقبة ، الموصل للحقيقة ، المعرّف بالله عز وجل فيما يتعلق بأسمائه وصفاته ، إذ هو كلام الله عن نفسه ،

---

(١) طريق الوصول إلى العلم المأمول لابن سعدي ص٢١ . وانظر نقض المنطق لابن تيمية ص٣٥ .

(٢) ذكره الأصبهاني في الحجة ولم ينسبه لأحد ، انظر (١ / ٣١٩) .

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (٢ / ٣٣٠) ، وللفائدة انظر مبحثاً بعنوان "العقل في ميدان العقيدة في الإسلام" مصادر المعرفة للزنيدي ص٣٩٠.

وكلام أنبيائه الذين هم أعرف الخلق به ، فهو الأسلم والأحكم[(١)] ، قال ابن القيم : (سبحان من تعرّف إلى خلقه بجميع أنواع التعرفات ، ودلهم عليه بأنواع الدلالات ، وفتح لهم إليه جميع الطرقات ثم نصب إليه الصراط المستقيم وعرفهم به ودلهم عليه ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ** ﴾ [الأنفال : ٤٢])[(٢)] .

فاتباع الوحي : قرآناً وسنة ؛ هو اتباع الصراط المستقيم ، وبغير طريق الوحي لا تكون معرفة الله صحيحة صافية تبعث الإيمان في القلب وتشّيد أركانه ، لأن معرفة أسماء الله وصفاته من أعظم الغيبيات التي أمرنا بالإيمان بها ولا أحد أعلم بالله من الله ، ولا أحد أعلم به سبحانه وتعالى من خلقه كرسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا**

---

(١) لأنه طريق أنبياء الله ، وعليه سار سلف الأمة ، ولا عبرة بقول بعض الجهال "طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم" يريدون بذلك ذم التسليم لنصوص الأسماء والصفات بالإيمان بها ومعانيها وتفويض كيفها ، وامتداح إعمال العقل في معانيها وتأويلها بما يدرك العقل كيفه ، انظر رد ابن تيمية على هذه العبارة في مجموع الفتاوى (٥ / ٨ وما بعدها) ، وشرح الواسطية للعثيمين (١ / ٩٥) وكذا حشد البريكان الأدلة على أن طريقة السلف هي الأسلم والأحكم والأعلم انظر القواعد الكلية ص٤١١ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٢٠٨) .

يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٤]، ولهذا كلما (تمكن العبد في التوحيد علم أن الحق سبحانه هو الذي علّمه صفات نفسه بنفسه ، لم يعرفها العبد من ذاته ولا بغير تعريف الحق له)[١] إذ (المعرفة صفة العبد وفعله ، والتعريف فعل الرب وتوفيقه)[٢].

وخلاصة القول أن الفطرة والعقل طرق تدل على الله عز وجل وعلى كماله المطلق إجمالا ، أما معرفة الأسماء والصفات فهي معرفة تفصيلية لأنواع من الكمال والجلال التي لا يُتوصل إليها بمجرد العقل ولا إشراقات الفطرة ، لذا كان الطريق الوحيد إليها هو الوحي ، الذي سلك في إيصالها إلى العباد طريقة توقظ الفطرة وتخاطب العقل وتهدي إلى سواء السبيل .

وللقرآن والسنة طريقة في التعريف بالله عز وجل، وعليها سار السلف رضي الله عنهم في طريقتهم في التعريف بالله ، وتفصيل هذا فيما يلي من مطالب .

❁ ❁ ❁

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٦٤) .

(٢) المرجع السابق (٣ / ٣٦٦) .

المطلب الثاني

طريقة القرآن في التعريف بأسماء اللهّ وصفاته

القرآن الكريم كلام الله عز وجل ،كتاب هداية وإرشاد ، بيّن الله سبحانه وتعالى فيه أمور الدين أعظم بيان ، ومنها أمور الإيمان والتوحيد[١] ، وأعظمها ما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، فمن تدبر القرآن وجد أن الله سبحانه وتعالى قد تجلى فيه بأسمائه وصفاته ، متعرفاً إلى عباده بصفات ألوهيته ، وصفات ربوبيته ، وصفات كماله وجلاله ، وتأمل العبد في آياته يجعله (يعرف رباً قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال ، منزه[٢] عن المثال ، بريء من النقائص والعيوب ، له كل اسم حسن وكل وصف كمال ، فعّال لما يريد ، فوق

---

(١) استقراء طريقة القرآن وأسلوبه في الدعوة للتوحيد والتعريف بالله منبع عظيم اغترف منه كثير من الباحثين في دراساتهم وخرجوا بفوائد عظيمة ، ومن ذلك ما كتبه محمد ملكاوي في كتابه عقيدة التوحيد في القرآن الكريم في باب بعنوان "المنهج القرآني في تقرير عقيدة التوحيد" .

(٢) سبق توجيه الرفع في هذا النص ص١٨٦ من هذه الرسالة .

كل شيء ، ومع كل شيء ، وقادر على كل شيء ، ومقيم لكل شيء)[١]، قال ابن القيم : (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته : من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه . وجمع الفكر على معاني آياته . فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر ...وتثبت قواعد الإيمان في قلبه ...وتشهده عدل الله وفضله . وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله...)[٢].

(فهذا القرآن عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات الرب سبحانه وأسمائه وأفعاله وأنواع حمده والثناء عليه والإنباء عن عظمته وعزته وحكمته وأنواع صنعته والتقدم إلى عباده بأمره ونهيه ...)[٣].

وباستقراء آيات القرآن الكريم يتبين أن طريقة القرآن في التعريف بأسماء الله وصفاته طريقة تخاطب عقل العبد وقلبه فيعرف أسماء ربه وصفاته ، ويقرّ بها، ويثبتها ، ويحبها ويعمل بمقتضاها ، فـ(ثبوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة ، دالة على معان متضمنة لهذا المعنى ، فما في القرآن من إثبات الحمد له ، وتفصيل محامده وأن له المثل الأعلى وإثبات معاني أسمائه ، ونحو ذلك ، كله

---

(١) الفوائد لابن القيم ص٣١٦ .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٤٥١) .

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم ص١٨٢ .

دال على هذا المعنى)[١] .

وقدسلك القرآن الكريم في تعريفه بالله تعالى أساليب شتى ، وطرق إقناع متنوعة وطرق إلزام وإفحام ؛ فاكتملت به الهداية ، وقامت به الحجة[٢] . ومن الأساليب البارزة عند تأمل طريقة القرآن في التعريف بالله وأسمائه وصفاته ما يلي :

- الحديث عن الأسماء والصفات مباشرة :

فالقرآن يزخر بالحديث عن كثير من أسماء الله وصفاته ، وإن لم يتحدث عنها كلها ، بل أخبر أن العباد لن يحيطوا به علماً ، ولن يعرفوا كل ما له سبحانه وتعالى من الكمال .

ومما تحدث عنه القرآن من أسماء الله وصفاته : اسم الله الدال على ألوهيته سبحانه وتعالى والدال على جميع أسمائه وصفاته ، فقال عز وجل : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا** ﴾ [الرعد : ٢] كما تحدث عن كمال حياته وقيامه على كل شيء سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وتحدث عن وحدانيته وكماله جل جلاله كما في قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** (٨) ﴾ [طه: ٨]، وتحدث عن رحمته فقال : ﴿ **الرَّحْمَنُ** (١)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦ /٢٧) .

(٢) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم للألمعي ص٦٤ .

عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن: ١ -٣]. كما خُتمت كثير من الآيات بذكر أسماء من أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى ومن ذلك قوله: ﴿... هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦١، يوسف: ٣٤، الشعراء: ٢٢٠، فصلت: ٣٦، الدخان: ٦]، وقوله: ﴿... هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٩٨، القصص: ١٦، الزمر: ٥٣]. ولهذا قال ابن القيم: (هذا القرآن من أوله لآخره إنما يدعو الناس إلى النظر في صفات الله وأفعاله وأسمائه)[١].

فمن خلال آيات القرآن عرفنا اسم الله، والحي، والقيوم، والرحمن، والسميع والعليم والغفور والرحيم، وغيرها من أسمائه الحسنى الدالة على ذاته سبحانه وتعالى، الدالة على صفات كماله عز وجل من الألوهية والحياة والقيومية والرحمة والمغفرة، والسمع والبصر، وغيرها.

والقرآن في حديثه عن الأسماء والصفات مباشرة؛ يثبت إثباتاً مفصلاً[٢] لصفات كماله سبحانه وتعالى - كما سبق بيانه - وينفي

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢٣٣)، ويزعم المتصوفة والجهمية والمعطلة أن التفكر في الصفات درجة للعوام بينما التفكر في الذات مقام أعلى، مخالفين بذلك طريقة القرآن المأمونة العاقبة المورثة للإيمان لا الإلحاد الذي يفضي إليه تفكرهم.

(٢) للتوسع انظر التدمرية لابن تيمية ص ٨.

نفياً مجملاً[١] عنه سبحانه وتعالى كل نقص وعيب أو مشابهة للمخلوقات ، كما في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقوله : ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠]، وقوله عز وجل : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، وإذا فصّل في النفي فهو لإثبات ضده من الكمال لا لمجرد النفي أو السلب[٢] (فلا يحمد نفسه سبحانه بعدم إلا إذا كان متضمناً لثبوت كمال . كما حمد نفسه بكونه لا يموت لتضمنه كمال حياته، وحمد نفسه بكونه لا تأخذه سنة ولا نوم لتضمن ذلك كمال قيوميته ، وحمد نفسه بأنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر لكمال علمه وإحاطته)[٣] فـ(كل سلب في القرآن حمد الله به نفسه فلمضادته لثبوت ضده ، ولتضمنه كمال ثبوت ضده)[٤]. وهذا

---

(١) قال ابن تيمية :(أما الملاحدة من المتفلسفة والقرامطة والجهمية ونحوهم فبالعكس نفي مفصل وإثبات مجمل) مجموع الفتاوى (٦ / ٥١٥) ، فهم يقولون ليس بعالم ، ليس بجسم ، ليس بسميع ولا بصير – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –انظر للتوسع التدمرية ص ٢٦ .

(٢) بخلاف نفي المعطلة الذي هو نفي محض ، ولهذا قيل المعطل يعبد عدماً.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٢٧) .

(٤) المرجع السابق .

الأسلوب أبلغ في بيان الكمال ؛ فالتفصيل في الصفات المثبتة ، يظهر أنواع الكمال ويبعث على الثناء ما لا يتحقق بالإجمال . وكذا الإجمال في النفي يدل على المدح ويظهر كمال الموصوف سبحانه وتعالى[١] .

- **ذكر مفعولات الرب سبحانه وتعالى وآياته :**

فمن خلالها يتعرف على أسمائه وصفاته ، قال ابن القيم : (وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى التفكر فيه ؛ أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله ، من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه فبهذا تعرّف إلى عباده ، وندبهم إلى التفكر في آياته)[٢] فـ (آيات الرب هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه العباد ، وبها يعرفون أسماءه وصفاته وتوحيده)[٣]، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾** ﴾ [النبأ: ٦ – ١٦]، وقوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ فِي**

---

(١) انظر علم التوحيد للربيعة ص٨٠ .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ٣٤٠) .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٤٦٤) .

خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فهذه المشاهد الكونية المتنوعة تُذكِّر الفطرة ، وتخاطب العقل وتدل على أفعال الرب عز وجل ، كما تدل على كثير من أسمائه وصفاته فهو الخالق ، الحي ، القيوم ، القادر، الرازق ، الحكيم سبحانه وتعالى .

وقد تأمل كثير من العلماء مخلوقات الله في الأكوان وكتبوا تأملاتهم مدللين على ما ثبت من أسماء الله وصفاته [١] ، قال ابن القيم : (فأما المفعولات فإنها دالة على الأفعال ، والأفعال دالة على الصفات . فإن المفعول يدل على فاعل فعله وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة)[٢].

- **التذكير بنعم الله عز وجل :**

فـ(معرفة النعمة سبيل لمعرفة المنعم)[٣]، والهبات دالة على

---

(١) كما في كثير من مصنفات ابن القيم وغيره ، انظر على سبيل المثال لابن القيم : شفاء العليل ص١٠١ ، ومفتاح دار السعادة (١ / ٣٤١).وكذا انظر العقيدة في الله للأشقر ص٩٥ وما بعدها .

(٢) الفوائد لابن القيم ص٤٢ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٢٤٧) .

الوهاب ، والعطايا دالة على المعطي سبحانه وتعالى، لذا فقد ذكّر القرآن كثيراً بنعم الله تعالى مجملة تارة ، ومفصلة تارة[١] ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقوله : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ [يس: ٧١ - ٧٣]، وقوله عز وجل : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩)﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]، وقوله : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢]، وهو بهذا يوقظ القلب ويلفت انتباه العبد لمولاه الجواد الكريم الرحمن الرحيم ، ففي هذا التذكير بالنعم تعريف بالخالق الرازق المعطي الوهاب ، وتذكير به ودعوة إلى عبادته وشكره عز وجل .

- تعريف العباد بأنفسهم ، وأصل خلقتهم وضعفهم وفقرهم :

فـ(من عرف نفسه عرف ربه)[٢] ، ومن ذلك قوله تعالى مذكراً

---

(١) انظر للفائدة عقيدة التوحيد في القرآن الكريم لمحمد ملكاوي ص٢٣٢ وما بعدها ، حيث جمع المؤلف الآيات المتعلقة بالنعم وقسمها بحسب أنواع النعم المذكورة وتكلم في ذلك كلاماً نفيساً.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٤٢٧) .

الناس بأصل خلقتهم : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢] ، وقوله عز وجل مبيناً لهم فقرهم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] ، فالعبد إذا عرف ضعفه عرف قوة مولاه ، وإذا عرف فقره عرف غنى مالكه ، و(كلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه وفقره ؛ ازدادت معرفته لربه بأوصاف كماله)[١] .

- مخاطبة عقول العباد بالأدلة الواضحة التي تبين لهم صفات المعبود الحق :

كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، فبين لهم بهذا الدليل أن ما يرونه من المخلوقات دليل قاطع على الخالق عز وجل، بطريقة قوية بليغة تأخذ بالألباب ، وتؤثر في النفوس أيما تأثير[٢] . وفي موطن آخر بيّن لهم أن انتظام الكون وسلامته من

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٤٣١) .

(٢) وهذا ما وقع لكثير من المشركين عند سماع القرآن ، راجع قصة إسلام جبير بن مطعم (عندما سمع رسول الله (يقرأ في المغرب بسورة الطور حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ...﴾ [الطور: ٣٥](قال : كاد قلبي يطير، وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي . انظر الإتقان للسيوطي (٢ /٢٠٧) . وانظر مناهج الجدل في القرآن الكريم للألمعي ص٦٤ .

الاختلال دليل واضح على وحدانية الله وتفرده بالملك والحكم ، والخلق والأمر فقال عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١] ، والقرآن مليء بالأدلة التي تخاطب العقل ، وتوصل إلى المطلوب ، ومنها استقى كثير من علماء المسلمين أدلتهم العقلية[١] ، والحق (أن القوة الإقناعية في القرآن أقوى وأعظم منها في أدلة المناطقة من حيث إلجائها المباشر إلى الفطرة الإنسانية وإلى العالم المشاهد مما لا يبقى معه مجال أمام المسوق لأجله الدليل إلا التسليم ، والإذعان ، أو الانقطاع والانسحاب)[٢] .

- ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم :

القصص القرآني مليء بالتعريف بالله الواحد الأحد المستحق للعبادة وحده دون سواه ، وقصص الأنبياء في دعوتهم لله تعالى مادة غنية بالتعريف به سبحانه وتعالى فقد كانوا عليهم السلام يدلون

---

(١) كدليل الحدوث ، ودليل التمانع في الألوهية ، ودليل التغير والسببية، ودليل العناية والإتقان ، انظر للتوسع العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني ص ١٧٢ وما بعدها ، وانظر علاقة صفات الله تعالى بذاته للكردي ص٧٢ وما بعدها ، ومصادر المعرفة في الفكر الديني للزنيدي ص٢٠٩وما بعدها . ومناهج الجدل في القرآن الكريم للألمعي ص٣٦ وما بعدها .

(٢) مصادر المعرفة للزنيدي ص٤٠٠ .

أقوامهم على الله عز وجل، ويبينون لهم نقص كل ما يدعى من دون الله ، ويذكرونهم بنعم الله المتوالية عليهم ، كما في قصة نوح عليه السلام، وخطابه لقومه الذي يحكيه القرآن الكريم : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾** ﴾ [نوح: ١٠ - ١٨] .

كذا كانوا يحاجونهم بالأدلة المقنعة ويحاورونهم بالحجج القوية ليبينوا الحق ويبطلوا الباطل ، ومن ذلك محاجة إبراهيم عليه السلام لأبيه التي أخبرنا عنها الله تعالى بقوله : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾** ﴾ [مريم: ٤١ ، ٤٢] فأنكر على أبيه عبادة آلهة لا تسمع ولا تبصر، ولا تستطيع النفع ولا الضر ، إذ إن الإله المستحق للعبادة هو السميع البصير ، النافع الضار سبحانه وتعالى (١) .

---

(١) وأمثلة ذلك كثيرة جدا انظر قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في إبطال عبادة الكواكب ، ومحاجته للنمرود في إثبات الوحدانية ، وانظر قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، وعيسى عليه السلام مع قومه ، وسليمان عليه السلام مع بلقيس .
وقد ذكر الملكاوي كثير من هذه القصص مبرزاً جانب العقيدة انظر =

وهكذا اتخذ القرآن الكريم من القصص سبيلا للإقناع والتأثير ، وفي ضمن القصة أدلة على بطلان الشرك وعبادة الأوثان ، ومجيء الأدلة على لسان الرسل الذين كان معظم العرب يعرفون قدرهم يعطيها قوة من جهتين : من جهة قوة الدليل المحكم ، ومن جهة أن القائل رسول أمين يعرفونه[١] .

-تصحيح التصورات الخاطئة عن الله وأسمائه وصفاته :

ففي المجتمع الجاهلي المشرك ، المقطوع الصلة عن هدي الوحي يُتخذ مع الله شريك ، وينسب له الولد ، ويوصف بالتعب واللغوب ، والقرآن الكريم في تعريفه بالله عز وجل كما يخبر عن كماله يصحح أمثال هذه التصورات الخاطئة الباطلة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق : ٣٨]، وقوله عز وجل : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴿١﴾ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴿٢﴾ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴿٣﴾ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]، فأبطل ما قد يتصور في حقه عز وجل من الوالدية أو المولودية أو الند والشبيه وأثبت المعتقد الصحيح في ذاته العظيمة التي تنزهت عن الكفء والند .

= ص٩٨١ وما بعدها من كتابه عقيدة التوحيد في القرآن الكريم .

(١) انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم للألمعي ص٧٣ .

كذلك رد على اليهود الذين لم يقدروا الله حق قدره فقالوا فيما يحكيه عنهم القرآن : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ [المائدة: ٦٤] فصحح هذا التصور الفاسد بقوله تعالى :﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [المائدة: ٦٤]، فهو الكريم الجواد المعطي الوهاب المنان سبحانه وتعالى الذي يبسط يديه بالعطاء .

وهكذا يمضي القرآن الكريم معرّفاً بالله عز وجل : تارة بالخبر المباشر الذي يذكّر الفطرة بميثاقها القديم ، وتارة بالبراهين العقلية القاطعة مخاطباً العقول والقلوب ، فكان أقرب طريق للتعرف على الله عز وجل، حتى أن المتكلمين أنفسهم بعدما ساروا وراء عقولهم فيما لا مجال للعقل فيه عاد منهم كثير ليقول صراحة : (لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ؛ فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** (٥) ﴾ [طه: ٥]، و ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى: ١١] و ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** (١١٠) ﴾ [طه: ١١٠] (ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)[1] وبدون أن نجرب تجاربهم ، أو نخوض فيما خاضوا

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ١١) ، والقول للرازي ، انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٢٧ .

فيه، بل بالتلقي الصحيح من الكتاب والسنة نعلم يقينا أننا لن نعرف الله إلا بما يعرفنا الله سبحانه عن ذاته وأسمائه وصفاته .

قال ابن تيمية بعد عرضه لشيء من أدلة المتكلمين معلقًا على استدلالهم : (فلا يخلو عن خطأ يصد عن الحق ، أو طريق طويل يتعب صاحبه حتى يصل إلى الحق ، مع إمكان وصوله بطريق قريب ... وما أحسن ما وصف الله به كتابه بقوله : ﴿ **إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: ٩]، فأقوم الطريق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله، وأما طريق هؤلاء فهي مع ضلالهم في البعض ، واعوجاج طريقهم وطولها في البعض الآخر إنما توصلهم إلى أمر لا ينجي من عذاب الله فضلا عن أن يوجب لهم السعادة ، فضلا عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقهم)[١] .

ومن هنا نصل إلى عظمة طريقة القرآن في تعريف العباد بربهم وما له من الأسماء والصفات التي تدلهم على أنه المعبود بحق دون غيره[٢]، وعلى خُطا طريقة القرآن سار رسول الله ﷺ يعرّف أمته بربهم عز وجل كما سيظهر في المطلب التالي .

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩ / ١٥٣) .
(٢) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٤ / ٥٠٨) .

المطلب الثالث

طريقة السنّة في التعريف بأسماء الله وصفاته

بلّغ رسول الله ﷺ الدين : كتاباً وسنة ؛ أكمل بلاغ ، ودعا إلى توحيد الله وبيّن للناس ما تصح به عقيدتهم وعبادتهم ، فما مات ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ، قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً** ﴾ [المائدة: ٣] ومن أعظم الدين وأصوله معرفة أسماء الله وصفاته ؛حتى يُعبد سبحانه وتعالى ويحمد ، ويُثنى عليه بما هو أهله ، فتركهم ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها[١] كما قال : (وايم الله لقد تركتكم على مثل

---

(١) قال ابن تيمية رداً على الذين يجعلون الصفات من الأمور المتشابهة التي لم يبينها الرسول بياناً جلياً : (إن معرفة ما يستحقه الله وما ينزه عنه من أجل أمور الدين ، وأعظم أصوله ، وإن بيان هذا وتفصيله أولى من كل شيء . فكيف يجوز أن يكون هذا الباب لم يبينه الرسول ﷺ ولم يفصله، ولم يعلم أمته ما يقولون في هذا الباب ؟! وكيف يكون الدين قد كمل ، وقد تركوا على الطريقة البيضاء ، وهم لا يدرون بماذا يعرفون ربهم، أبما تقوله النفاة ، أو بأقوال أهل الإثبات ؟ !) مجموع الفتاوى (٥/ ١٧٤).

البيضاء ليلها ونهارها سواء)[١] . وقد كان رسول الله ﷺ يعلم الصحابة رضي الله عنهم ويعرّفهم بالله ربهم عز وجل ويعرّف أمته كلها من بعدهم[٢]، ولهذا فـ(لا يرام الوصول إلى علم الأصول[٣] بغير اتباع ما جاء به الرسول)[٤] ﷺ، فهو الذي لا ينطق عن الهوى وقد أشبهت طريقته طريقة القرآن ، فمن طريقته :

- الحديث مباشرة عن الله عز وجل :

فحديثه ﷺ عن ربه عز وجل حديث تشتاق له النفوس وتلتذ به القلوب، يؤكد تارة على ما ذكر في القرآن، كما في إخباره بأن لله عز

---

(١) رواه ابن ماجه ، باب اتباع سنة رسول الله ((١ / ٦) ، وحسنه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ٧١٢) حديث رقم ٦٨٨ .

(٢) يزعم غلاة المتكلمين والصوفية كالفارابي وابن عربي وغيرهم : أن معرفتهم وطريقتهم وكلامهم أفضل من طريقة الرسول والقرآن ، ومن ذلك قول التلمساني (القرآن يوصل إلى الجنة ، وكلامنا يوصل إلى الله) . والحق أن كلامهم أوصل كثيراً منهم إلى الإلحاد والكفر الذي هو أبعد طريق عن الله ومرضاته وجنته . انظر في تفصيل الرد عليهم في مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٦٦) .

(٣) يقصد بعلم الأصول : أصول الدين أي العقائد .

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٢ .

وجل نفساً تليق بجلاله وعظمته حيث قال : (يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . . .)[١] . وكذا حديثه عن رحمة الله ، قال : (لما خلق الله الخلق كتب في كتابه – وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش –: أن رحمتي تغلب غضبي)[٢] فأثبت ﷺ النفس لله عز وجل كما أثبتها الله لنفسه في القرآن بقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] ، وقوله : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ويخبر تارة ﷺ بأسماء الله وصفاته التي أوحاها الله إليه ولم تذكر في القرآن الكريم، كقوله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحدة ، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر)[٣]،

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ص١٤١٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى ص١٠٧٥ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ص١٤١٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة وقبولها وسعة رحمة الله ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه ص١٠٧٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب لله مائة اسم غير واحدة ص٦٤١١ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة =

وقوله واصفا الله عز وجل : (إن الله جميل يحب الجمال)[١]، (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً)[٢] ، (إن الله عز وجل حَيِي سِتّير يحب الحياء والستر)[٣]، فالوتر والجميل والطيب والحيي والسِتِّير أسماء لله وصفات أخبر بها رسول الله ﷺ في سنته ولم تُذكر في القرآن الكريم . وكل ما ذكره النبي ﷺ على أنه من صفة ربه فهو بمنزلة ما وصف الرب تعالى نفسه[٤].

- **بيان عظيم حق الله والإنكار على من خالف ذلك :**

فقد كان ﷺ يعظّم ربه تبارك وتعالى بقلبه وقوله وفعله ، ويدعو الناس إلى تحقيق عبوديتهم لله وتوحيدهم له ، وإذا حدث أمامه ما

والاستغفار ، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ص ١٠٧٥ .

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ص٦٣ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ص٣٩١ .

(٣) أخرجه أبو داود في مسنده كتاب الصلاة ، باب الدعاء (٢ / ٧٨) ، وأخرجه النسائي في سننه (١ / ٢٠٠) ، وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء (١ /٤٩٧) وقال صحيح على شرط الشيخين ، ولم يعلق عليه الذهبي .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ٤٦) .

يتنافى مع هذا التعظيم والتوحيد أنكر على الفاعل وعرّفه – والأمة من بعده– بحق الله العظيم وما ينبغي له من الإجلال والتوقير ، ومن ذلك إنكاره ﷺ على ذلك الأعرابي الذي قال له : ما شاء الله وشئت ، فقال ﷺ : (أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده)[١] ، فعليه ﷺ تنزّل قوله تعالى : ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ [يونس: ٤٩]. وهو بهذا الاستفهام يستنكر اللفظ الذي فيه مساواة بينه وبين رب العالمين ، ويبيّن حقه تعالى في التفرد والوحدانية .

كذلك أنكر ﷺ أشد النكير على الأعرابي الذي جاءه وقال : يا رسول الله نُهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك ، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : (سبحان الله ، سبحان الله) فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه . ثم قال : (ويحك ! أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك . إنه لا يُستشفع بالله على أحد)[٢].

---

(١) وفي رواية (أجعلتني لله عدلا) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الكفارات ، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت (١ /٦٨٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٢١٦) حديث رقم ١٣٩ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب في السنة ، باب الرد على الجهمية ، وفي سنده ضعف إلا أن معناه صحيح . انظر القول المفيد للعثيمين (٣/ ٣٤٣) .

فالله رب كل شيء ومليكه ، والخير بيده، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع، ولا رادّ لما قضى ، والخلق وما في أيديهم ملكه يتصرّف فيهم كيف يشاء ، وهو الذي يشفع الشافع إليه ولا يُطلب منه أن يكون شفيعاً إلى أحد بل له كمال العظمة والكبرياء، ولما كان قول الأعرابي يُظهر غفلته عن عظمة الربوبية ومقتضى الألوهية ، أنكر عليه ، وأظهر بتسبيحه ورده عليه عظمة ربه [(١)] .

كذلك أنكر ﷺ على الذين كانوا حُدثاء عهد بكفر ، ولم تعرف قلوبهم بعد عظمة الربوبية فقالوا له ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط[(٢)] ، فقال ﷺ : (الله أكبر إنها السنن . قلتم – والذي نفسي بيده – كما قال بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)[(٣)]، فتكبيره ﷺ كان تعجباً من هذه الغفلة وهذا الجهل

---

(١) انظر فتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص٥٠٢ . والقول المفيد للعثيمين (٣ / ٣٤٣) .

(٢) وذلك عندما خرجوا مع رسول الله إلى حُنين ومروا بسدرة يعكف عليها المشركون وينوطون بها أسلحتهم يُقال لها ذات أنواط ، ثم مروا بسدرة فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب أبواب الفتن ، باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٤ / ٤٧٥) ، وقال حديث حسن صحيح . وأخرجه أبو داوود في سننه، كتاب السنن ، باب الرد على الجهمية (٥ / ٩٤) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣ / ٣٣٤) حديث رقم ١٣٤٨ .

الذي فيه تنقّص من حق الربوبية والألوهية . وحذر بقوله : (إنها السنن) من التشبه بالضالين المشركين الذين لا يعرفون حق معبودهم عز وجل وتفرده .

- الإجابة عن تساؤلات الصحابة رضي الله عنهم فيما يسألونه عن ربهم عز وجل :

فـ(القلوب مجبولة مفطورة على طلب العلم بهذا ، ومعرفة الحق فيه ، وهي مشتاقة إليه أكثر من شوقها إلى كثير من الأمور)[١]، وقد كان الرسول ﷺ يغتنم سؤالهم ليعرفهم بربهم عز وجل ، سأله أحد الصحابة : أيضحك ربنا ؟ فقال ﷺ : نعم . فقال : لن نعدم من رب يضحك خيراً[٢] . فعلّمه ﷺ أن من صفة الله عز وجل الضحك ، مما يعرفه بربه أكثر . وقد يطلب أحدهم أن يعلمه ﷺ قولا أو دعاءاً فيعلمه ثناءاً وتمجيداً يعرفه بربه عز وجل ، ومن ذلك : أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال : علمني كلاماً أقوله : قال : (قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، سبحان الله رب العالمين ، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم) قال فهؤلاء لربي فما

---

(١) المرجع السابق (٥ / ٤٧١) .

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ١٥) ، وأخرجه ابن ماجه في سننه باب ما أنكرت الجهمية (١ / ٦٤).

لي ؟ قال : (قل : اللهم اغفر لي، وارحمني ، واهدني وارزقني)[١] .
وجاءه نفر من أهل اليمن قالوا : جئناك لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ، قال : (كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ...)[٢]، فعرفهم بالله عز وجل فهو الأول الذي ليس قبله شيء وهو الخالق القادر سبحانه وتعالى.

- الإجابة عن أسئلة أهل الكتاب بما يوحيه الله إليه وإقراره لبعض مايخبرون به عن الله عز وجل :

فقد سأله بعضهم فقالوا : صف لنا ربك الذي بعثك . فأجابهم بسورة الإخلاص إذ أنزلها الله عليه[٣] : ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾**﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] . فوصفه بما وصف به نفسه وعرّفهم به كما عرّف سبحانه وتعالى بنفسه .

وجاءه حبر من اليهود فقال : (يا محمد ، إن الله يمسك السموات

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ص١٨٠١ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى :(وكان عرشه على الماء (ص٣١٤١ .

(٣) انظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي(٢ / ٣٨)، وأسباب النزول للواحدي ص٢٦٢ ، قال ابن حجر إسناده حسن انظر الفتح (١٣/٣٥٦) .

على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والخلائق على إصبع) فضحك النبي ﷺ تعجبًا وتصديقًا لقول الحبر [١] ، وفي هذا الإقرار من رسول الله ﷺ إثبات الملك المطلق لله عز وجل ، وكذا فيه إثبات الأصابع [٢] له على ما يليق بجلاله وعظمته [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص١٤١٢ ، وأخرج مسلم نحوه في الصحيح ، كتاب صفة القيامة ، باب ابتداء الخلق وخلق آدم (ص١١٢١ .

(٢) على مايليق بجلاله وعظمته ، ولا عبرة لقول من يزعم أن إثبات الأصابع تشبيه فيتأول معناها على غير معناها الحقيقي بدعوى التنزيه ! وقد وقع في ذلك البيهقي وغيره انظر دقائق الإشارات للأنصاري ص٢٨٠ .

(٣) وليس في هذا دليل على أخذ ما عند أهل الكتاب والتصديق به ، فما يخبرون به ثلاثة أقسام : ماكان موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وما كان مخالفاً كذّبناه ، وما لم يرد في ديننا نفيه أو إثباته توقفنا فيه ، يدل على ذلك قوله ﷺ لعمر بن الخطاب (عندما رأى في يده صحيفة من توراة يقرأ فيها : (إنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني)، فما أكثر كذبهم على الله وتطاولهم عليه (حكى لنا القرآن بعضا من ذلك كما في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] . وكما في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ =

- توجيه الصحابة رضي الله عنهم في الحوادث المختلفة واغتنام الفرص في التعريف بالله عز وجل وصفاته :

ومن ذلك قوله عندما سمع أناساً يرفعون أصواتهم بالدعاء : (يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنه معكم سميع قريب ، تبارك اسمه وتعالى جده)[١]، وفي رواية (إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)[٢] فعرفهم بقرب ربهم ممن دعاه ، وأنه سميع شهيد لتطمئن نفوسهم ويجري ذكره ودعاؤه على ألسنتهم وقلوبهم لايتكلفون في ذلك رفع الأصوات ، ولا يخافون عدم وصول طلبهم إليه عز وجل .

وتعليمه ﷺ لصحابته دعاء الاستخارة قائلا : (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك

= **الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾** [آل عمران: ١٨١]والذي يقرأ كتبهم يعجب من جرأتهم على الله وحلم الله عليهم .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير ص٥٧٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب خفض الصوت بالذك ص١٠٨٤ .

(٢) أخرجها البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ص٧٩٩ .

العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . . .)[١] فكم في هذا الدعاء من الاعتراف لله بما هو أهله ووصفه بما يستحقه من الكمال في القدرة والعلم والفضل ، وكم تورث هذه الكلمات العبد من المعرفة الصحيحة التي تجعله يتبرأ من حوله وقوته ويستقبل ما يقدره الله له بكامل الرضا . وكذا في دعاء الهم والحزن وغيره مما كان رسول الله ﷺ يعلمه صحابته رضي الله عنهم وأمته كلها من بعدهم .

-ذكره ﷺ لربه تعالى بأسمائه وصفاته :

في دعائه الدائم ، وتسبيحه الخاشع ، وتمجيده لربه عز وجل وثنائه عليه بما هو أهله ، فكان يمجده واصفًا إياه بالنور والجمال فيقول: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن. .)[٢] . وكان يسبح ربه عز وجل قائلا : (سبحان الله رضى نفسه)[٣]، وإذا ضاقت الدنيا واشتد الكرب قال : (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ ﴾ [الأنعام: ٦٥] ص١٤٠٨ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧١ .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم ص١٠٩١ .

العرش العظيم)[١] .

فلسانه أبداً رطب بذكر الله عز وجل ؛ يردد قبل النوم تمجيداً وابتهالا : (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزّل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر)[٢] .

ورسول الله ﷺ في ذلك كله ينهج نهج القرآن الكريم في الإثبات المفصل و النفي المجمل والذي هو منهج رسل الله جميعًا في الإخبار عن الله عز وجل، قال ابن تيمية : (وطريقة الرسل – صلوات الله عليهم – إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل ، وتنزيهه بالقول المطلق عن التمثيل ، فطريقتهم إثبات مفصل ونفي مجمل)[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الكرب ص١٢٢٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب دعاء الكرب ص١٠٩٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ص١٠٨٨ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦ / ٥١٥) .

والمتأمل في سيرته ﷺ يجده في كل أحواله [١] متوجهًا لله عز وجل بالدعاء والثناء والحمد والشكر ، ناسبًا له كل فضل ، ملتجئًا إليه راجيًا رحمته، مستجيراً من عذابه ، فمن تعرف على سيرته العظيمة فإنه يتعرف من خلالها على الله عز وجل الذي كان هذا النبي الكريم ﷺ أعرف الخلق به ، ولذا كانت معرفة صحابة رسول الله ﷺ في درجة عالية رفيعة إذ إن اتصالهم بالوحيين كان وثيقًا .

وما زال معين القرآن والسنة يروي على مدى الأزمان ظمأ كل من أقبل يريد المعرفة الحقة ، ومنه نهل سلف الأمة رضي الله عنهم ومن ثم نهجوا نهجهم في التعريف بالله عز وجل ، بعدما تقدم الزمان وظهرت الفرق المبتدعة، وفشا الكلام في باب الأسماء والصفات ، والمطلب التالي يبيّن طريقتهم – رحمهم الله – في تعريف العباد بأسماء الله وصفاته ومعتقدهم في هذا الباب .

❁ ❁ ❁

---

(١) راجع ما كان يقوله ﷺ في أذكار الصباح والمساء ، وما كان يقوله قبل الطعام وبعده ، وعند اللباس وفي كل حال ، على سبيل المثال انظر كتاب الدعوات في الصحيحين ، وكتاب الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، للنووي . وانظر فن الدعاء للغزالي .

المطلب الرابع

طريقة السلف ومعتقدهم في باب الأسماء والصفات

استقى السلف[١] عقيدتهم في أسماء ربهم وصفاته نفياً وإثباتاً من الوحي ، فلم يتكلموا في نصوص الصفات ، ولم يسألوا عنها فكانت معرفتهم بالله عز وجل معرفة صافية صحيحة ، ومع تقادم الزمان وظهور الفرق المتكلمة في الصفات ظهرت مصطلحات جديدة ، وكثر السائلون عن نصوص الصفات فتصدّى ورثة الأنبياء لمهمتهم ؛ يبينون المذهب الحق مع هذه المستجدات بما يتوافق مع الكتاب والسنة ويبعد عن الرأي والهوى، وهذا ما جعل ذكر طريقتهم في التعريف بأسماء الله وصفاته حتماً لازماً ، فالمقصود إبراز طريقتهم وفق المستجدات لتمييز طريقهم الحق من الطرق الضالة وليس المقصود تمييزها عن طريق الكتاب والسنة أو مغايرتها لهما ، بل هي على هداهما تسير كما سيتبين من عرضها ، فمن طريقتهم :

- الوقوف مع الكتاب والسنة في الإثبات والنفي :

فقد كان شعارهم : (من الله العلم ، وعلى الرسول البلاغ ،

---

(١) المراد بهم علماء أهل السنة والجماعة المتقدمون ممن تلقت الأمة كلامهم بالقبول ، انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٠) .

وعلينا التسليم)[١] . بين ابن تيمية طريقتهم بقوله : (إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله ، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات)[٢] . إذ (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث)[٣] وكذا لا ينفى عنه أو ينزه إلا بما ورد نفيه في الكتاب والسنة ، قال ابن تيمية : (أسماء الله وصفاته إذا لم يكن عندنا ما يدلنا عليها ، لم يكن ذلك مستلزمًا لانتفائها إذ ليس في الشرع ولا في العقل ما يدل على أننا لابد أن نعلم كل ما هو ثابت له تعالى من الأسماء والصفات، بل قد قال أفضل الخلق وأعلمهم بالله في الحديث الصحيح : حديث الشفاعة : (فأقع ساجداً فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحصيها الآن)[٤])[٥] .

---

(١) قول لابن شهاب الزهري أورده ابن حجر في الفتح (٣١ / ٥٠٧) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ /٤٣٢) .

(٣) المرجع السابق (٥ / ٢٦) .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ فيما بحثت ، وأخرج البخاري ومسلم حديث الشفاعة وموطن الشاهد فيه بلفظ آخر هو : (فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب سورة الإسراء ص٩٠٧، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلا ص١٠٩ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٧ / ٥٧٣) وقد زعم أناس من المتصوفة أنهم =

وأكد ابن قدامة [1] طريقتهم هذه بقوله : (ومذهب السلف – رحمة الله عليهم – الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله ، وعلى لسان رسوله ، من غير زيادة عليها ، ولا نقص فيها)[2] .

ففي النفي والإثبات لابد من الالتزام بالنص الثابت الصحيح ، ولا ينفى عن الله اسم أو صفة أو يثبت له اسم أو صفة بمجرد الرأي والهوى أو القياس ، وإنما يدور النفي والإثبات على ما وردت به

= يعرفون كل أسماء الله وصفاته فرد عليهم ابن تيمية بقوله : (فإذا كان أفضل الخلق لا يحصي ثناء عليه ، ولا يعرف الآن محامده التي يحمده بها عند السجود للشفاعة ، فكيف يكون غيره عارفًا بجميع محامد الله والثناء عليه وما له من الأسماء الحسنى) .

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي موفق الدين ، أحد أكابر الحنابلة فقيه ، زاهد ، كثير العبادة ، له تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٦٢٠هـ . انظر الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ١٣٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢ / ١٦٥) ، والأعلام للزركلي (٤/ ٦٧).

(٢) ذم التأويل لابن قدامة ص١١ .

النصوص [١] .

-عدم الخوض في كنه آيات الصفات أو تكييفها :

قال ابن عبد البر[٢] مبيناً طريقتهم مع آيات الصفات : (رواها السلف وسكتوا عنها وهم كانوا أعمق الناس علماً وأوسعهم فهماً ، وأقلهم تكلفاً ، ولم يكن سكوتهم عن عي ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر)[٣] . وحكى ابن قدامة إجماعهم على ذلك بقوله : (كلهم متفقون على الإقرار والإمرار[٤] والإثبات لما ورد في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله)[٥] .

---

(١) انظر العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل والإمام ابن تيمية للسيلي ص٣٠٠ .

(٢) هو يوسف بن عبد الله النمري القرطبي المالكي ، أبو عمر ، مؤرخ أديب بحاثة ، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما ، له رحلات طويلة في طلب العلم حتى برع فيه وفاق من تقدمه ، له مؤلفات كثيرة ، توفي سنة ٤٦٣ هـ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ١٥٣) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٥ / ٢٦٧) ، والأعلام للزركلي (٨/ ٢٤٠) .

(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ١١٨) .

(٤) يقصد بالإمرار عدم التعرض لتأويلها بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله . انظر شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص٣٥ .

(٥) لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص١٧٧ .

فمنهجهم إذاً في هذا الباب التسليم بالنص لفظاً ومعنى وإثباته على الحقيقة ، والتفويض في الكيفية[١] على ما يليق بجلال الله وعظمته . فهم رضي الله عنهم (قد عرفوا ربهم عز وجل من نصوص الكتاب ومن نصوص السنة ولم يتكلفوا فيها رأياً أو يتأولوا فيها معنى بل تلقوها كما سمعوها وأمروها كما جاءت وأثبتوها على الحقيقة ، فمذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل[٢] . فما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ؛ لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريف ، والدلالة والإرشاد)[٣] .

- التوقف والاستفصال في الألفاظ المجملة :

فالألفاظ المجملة التي لم يرد نفيها ولا إثباتها مما تنازع الناس فيه

---

(١) بخلاف المفوضة الذين كانوا يفوضون في المعنى والكيفية ويزعمون أن هذا هو معتقد أهل السنة الحق في صفات الله ! انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١ / ١١٦) .

(٢) سبق بيان معاني هذه المصطلحات ص ١٠٨ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ٢٦) بتصرف يسير.

كـ: (الجسم) و(الحّيز) و (الجهة) ونحو ذلك ، طريقتهم فيها التوقف في اللفظ ؛ فلا يثبتونه ولا ينفونه لعدم ورود ذلك . وأما المعنى فيستفصلون عنه فإن أريد به باطل ، ينزه الله عنه ردّوه . وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قبلوه . وإن اشتمل على حق وباطل لم يقبل مطلقًا ، ولم يرد جميع معناه ، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى[١] .

فطلبهم التفصيل في المعنى لعلمهم بأساليب الفرق الضالة في ذلك ، وخشيتهم من نفي أمر يترتب عليه نفي لكمال عن الله عز وجل ، أو إثبات أمر يترتب عليه إثبات عيب أو نقص لله-تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً- ، وهم مع هذا يسيرون على المبدأ الأصيل في أن الكتاب والسنة هما مصدر الإثبات والنفي للأسماء والصفات ، وإنما يقبلون المعنى أو ينفونه دون قبول لفظه صفة لله عز وجل أو اسماً . فهذا ابن تيمية يؤكد على عدم قبول الألفاظ المحدثة فيما يختص بالله عز وجل إذ قال لأحد المتكلمين لما سأله عن لفظ الجسم فأجابه بقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ ، ثم قال : (لفظ الجسم مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم به البتة)[٢] .

---

(١) انظر التدمرية لابن تيمية ص٦٢ ، والقواعد الطيبات ص ٤٠١ ، والقواعد المثلى للعثيمين ص٠٣ .

(٢) انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص٨٦ .

- الإثبات بلا تكييف ، والتنزيه بلا تعطيل :

أبرز علماء أهل السنة هذين الأمرين لما رأوا من انحراف الفرق ما بين مشبه[١] ومعطل[٢] ، فانتهروا كل من يسأل عن الكيف كما في قول الإمام مالك المشهور عندما سأله سائل عن الرحمن كيف استوى؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[٣] . وكذا كفّروا من أطلق الكلام في تعطيل صفاته ، ونفى كماله وإن زعم أنه ينزهه بذلك عن مشابهة المخلوقين[٤] . ولا يعني هذا نفي الكيف فكل شيء لابد أن يكون على كيفية ما ، وإنما المراد نفي العلم بهذا الكيف لأن الله لم يخبر به[٥]

---

(١) ومن الفرق التي وقعت في التشبيه و التمثيل : الكرامية بطوائفها المختلفة، وطوائف من الرافضة، انظر معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات للتميمي ص٧٩ .

(٢) المعطلة هي الطوائف التي وقعت في التحريف والتعطيل ، ومنهم طوائف من المتفلسفة والمتصوفة ، وكذا الجهمية والمعطلة والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية ، انظر المرجع السابق ص٧٥ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦ / ٣٢٥) .

(٤) انظر في هذا مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/١٢٢) ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١ / ٦٦) .

(٥) انظر شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص٣٢ ، ومعتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات للتميمي ص٧٨ .

وجمعوا في منهجهم بين الإثبات والتنزيه متبعين منهج القرآن والسنة، قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فنزه نفسه سبحانه وتعالى عن المثيل وأثبت السمع والبصر ولا منافاة بينهما.

وفي الجملة فقد كانت طريقة السلف رضي الله عنهم تمسكاً بالكتاب والسنة ، وتتبعاً لخطا الصحابة والتابعين ، ورفضاً لمنهج المؤولين والمعطلين وكراهية لطريقة المتكلمين[١] ، فقد كرهوا رضي الله عنهم الكلام في صفات الله وأسمائه ، إلا أن يكون في رد باطل ، وخشية ضلال عامة أو نحو ذلك[٢]، ووضعوا قواعد عامة[٣] بينوا فيها الطريقة الصحيحة في التعرف على الله عز وجل ، وعليها ساروا في التعريف به سبحانه وتعالى استقوا هذه القواعد من منهج القرآن والسنة في التعريف بالله عز وجل ، فكانت معرفتهم نقية صافية من المنبع الأصيل، شبّه ابن القيم صفاء معرفتهم بصفاء اللبن بقوله :

---

(١) انظر العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل والإمام ابن تيمية للسيلي ص٢٧٠ .

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي (٢ / ٣٣٢) .

(٣) للتوسع في معرفة القواعد السلفية في باب الأسماء والصفات انظر كتاب التوحيد لابن تيمية ص٣٣ وما بعدها ، والقواعد المثلى للعثيمين ، وكذا كتاب القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف .

(فصفاء الحال بحسب صفاء المعرفة بها – أي بالأسماء والصفات – وخلوصها من دم التعطيل ، وفرث التمثيل، فتخرج المعرفة من بين ذلك فطرة خالصة سائغة للعارفين كما يخرج اللبن من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين)[١].

وإذا صحت المعرفة صدق الحب وأثمر ذلك أنواعاً من العبادات الظاهرة والباطنة التي يحقق بها العبد عبوديته لله رب العالمين .

وتفصيل أثر هذه المعرفة في تحقيق العبودية هو موضوع الفصل التالي .

❁ ❁ ❁

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ١٥٠) .



الفصل الثالث

أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق العبودية

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق المحبة.

المبحث الثاني : أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق الخوف.

المبحث الثالث : أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق الرجاء.

توطئة

إن لمعرفة أسماء الله وصفاته أعظم الأثر في تحقيق العبودية لله رب العالمين ، إذ إن معرفة العبد بها واستحضاره لمعانيها وتفكره في آثارها تجعله موصولا دائماً بمعبوده الحق سبحانه وتعالى محباً له راجياً قربه وعطاءه ، خائفاً غضبه وعذابه ، متوكلا مستعيناً منيباً [(١)] ، أكد هذا العز بن عبد السلام بقوله : (فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى

---

(١) وهذه أعظم آثار معرفة الأسماء والصفات ، أما الخروج بهذه المعرفة العظيمة إلى خرافات وتخرصات كالقول بأن لكل اسم عدداً خاصاً به ، يحسب بحسب أعداد حروفه ، وأن للحروف وأعدادها تأثيراً بحسب أرواحها النورانية أو الظلمانية !! والزعم بأن لكل اسم خاصية مميزة وأسراراً وإفاضات ، أو خادماً روحانياً يخدم من يواظب على الذكر به فيمنح من الأسرار ما يفتح به المغاليق ويخرق به العادات ونحو ذلك مما هو منتشر بين المتصوفة وتزخر به مصنفاتهم فقد خدعوا بذلك خلقاً كثيراً من الجهلة . انظر من مؤلفاتهم : ولله الأسماء الحسنى لأحمد عبد الجواد ص٢٥٣ ، وشرح أسماء الله الحسنى على منظومة النابلسي حيث يذيل شرح كل اسم بعدده الخاص وسر المواظب عليه مما لم ينزله الله ولم يخبر به رسول الله ﷺ ولم يثبت عن صحابة رسول الله ﷺ . وقد أشار إلى بطلان هذا الزعم الأستاذ حسن البنا في رسالة العقائد ص٤٢٣ . وكذا الأشقر في كتابه العقيدة في الله ص ١٩٣ .

معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات)[١] .كما بيّن ابن القيم أنها أساس الطريق الموصل إلى الله عز وجل فقال: (الإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول ، ومحركُ عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا)[٢](فرجعت العبودية كلها إلى مقتى الأسماء والصفات)[٣] .

وأصل العبودية عبودية القلب وهي الباعثة على عبودية سائر الجوارح[٤] ، فالقلب هو محل معرفة الله عز وجل وبحسب قوة معرفته بالله يكون نصيبه من وصف العبودية وشعوره بالحلاوة الإيمانية وتحققه بأنواع العبادة وارتقاؤه بصاحبه في درجات العبودية إلى مراتب المحسنين المقربين السابقين بالخيرات[٥] .

---

(١) شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام ص١ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٣٥٠) .

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢ / ١٢٨) .

(٤) سبق بيان هذا ، راجع أهمية عبودية القلب ص ٦٤ .

(٥) انظر القواعد الكلية للبريكان ص٧٦ .

ومدار العبودية على ركائزها الثلاث : الحب والخوف والرجاء[1] . فهي أركان العبادة ، وهي المشار إليها في قوله تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝** ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤]، إذ الآية الأولى فيها المحبة ، فالله المنعم ، والمنعم يُحب على قدر إنعامه ويُحمد ويُشكر ، والثانية فيها الرجاء من الرحمن ذو الرحمة الواسعة ، والثالثة فيها الخوف من الملك ذي القوة والقدرة والجبروت ، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى[2] .

وقد امتدح الله المقربين عنده بتحقيقهم لهذه الأركان الثلاثة ، فقال (: ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** ﴾ [الإسراء: ٥٧] فذكر محبتهم له عز وجل بلوازمها من التنافس في القرب منه كما ذكر رجاء هم وخوفهم . قال ابن سعدي : (وهذه الأمور الثلاثة ، الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي أصل العبودية فمن تمت له تمت له أموره ، وإذا خلا القلب منها ترحّلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور)[3] .

---

(١) انظر مجموع فتاويابن تيمية (١٥ / ٢٦) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٣) .

(٢) انظر أربع رسائل لابن عبد الوهاب الرسالة الثانية ص٢٦٩ .

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٣ / ٨٦) .

كما بيّن ابن القيم أهميتها في تحقيق عبودية القلب بتشبيه بديع فقال : (القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر ؛ المحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه ومتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران . ومتى قطع الرأس مات الطائر . ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر)[١] .

وسيبحث هذا الفصل أثر معرفة الأسماء والصفات على المحبة والخوف والرجاء باعتبارها ركائز العبودية وأسسها ، كما سيبحث أثر تحقيق هذه الأركان في تحقيق سائر أنواع العبادة ، إذ بها وبلوازمها يتم تحقيق العبودية وإخلاص العمل والوجه لله رب العالمين .

❁ ❁ ❁

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥١٧) .

المبحث الأول

أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق المحبة

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى المحبة وبيان منزلتها في الدين .

المطلب الثاني : بيان الأسباب الباعثة على المحبة.

المطلب الثالث : بيان بعض الأسماء والصفات المحققة للمحبة .

المطلب الرابع : أثر المحبة في تحقيق العبودية .

المطلب الأول

تعريف المحبة وبيان منزلتها من العبودية

معنى المحبة:

المحبة في اللغة هي اسم للحب والوداد [١]، والحب نقيض البغض. وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب لذلك فسرت بأنها: الميل إلى الشيء السار أو النافع لتخيل كمال فيه يفضي إلى انجذاب الإرادة إليه.

والميل يكون إما لما يستحسن بالحواس كحسن الصوت والصورة والطعم وهو الميل الطبعي الفطري، أو ما يستحسن بالعقل وهو الميل العقلي الاختياري.

وقد ذكر العلماء للمحبة أسماء أخرى [٢] ليفسروا معناها ويبينوا كنهها، إلا أن التأمل يُظهر أنه لا يفسر المحبة إلا لفظ

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (١ / ٢٨٩).

(٢) ولا يطلق في محبة الله إلا لفظ المحبة فقط دون غيره من أسماء المحبة كالعشق والوله والهيام ونحوها لوروده في الشرع كتاباً وسنة، ولأن الألفاظ الأخرى قد توهم معنى فاسداً وهو محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين التي تشمل الاستمتاع الحسي، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. انظر للتوسع قاعدة في المحبة لابن تيمية ص٥٢ وما بعدها.

المحبة ذاته والألفاظ الأخرى تدل على لوازم المحبة أو نواتجها[١] .

أما معناها في الاصطلاح فهو كذلك مما تفاوت وتباين العلماء في بيانه ورسم حدوده ذلك أن المحبة أمر داخلي متفاوت في نفسه أعظم التفاوت[٢] والعباد متفاوتون في درجاتها وشعورهم بها . (والشيء إذا كان من الأمور الوجدانية الذوقيه التي إنما تعلم بآثارها وعلاماتها ، وكان مما يقع فيه التفاوت بالشدة والضعف ، وكان له لوازم وآثار وعلامات متعددة ، اختلفت العبارات عنه بحسب اختلاف هذه الأشياء)[٣] ، ولهذا كان وصفها بحسب ما أدرك الواصف من آثارها وما ظهر له من علاماتها ونتائجها (وهي وراء ذلك كله ليس اسمها كمسماها ، ولا لفظها مبين لمعناها ، وفرق بين التصور والعلم)[٤] .

---

(١) انظر روضة المحبين لابن القيم ص١٦ ذكر فيه ما عده للمحبة من أسماء زادت على الستين .

(٢) أدنى مراتبها العلاقة التي هي تعلق القلب بالمحبوب وأعلاها الخلة وبينهما مراتب كثيرة ، انظر المرجع السابق .

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٨١ .

(٤) المرجع السابق .

فمحبة العبد لله عز وجل عند أهل السنة والجماعة غنية عن التفسير لعدم وجود إعجام في لفظها أو إشكال في معناها ، وغاية ما ذكروه في تفسيرها بيان ما يتضمنه اسمها من معان وما تقتضيه من فعل ؛ فاسم المحبة يتضمن معان كثيرة منها : اعتقاد كماله وجلاله وجماله وإحسانه ، ومنها : دوام ذكره وتتبع محابه ومخافة التعرض لسخطه وإعراضه . ومنها : الولاء لأوليائه والبراء من أعدائه . وكلما اجتمعت هذه المعاني في قلب عبد كانت محبته لله أعظم وأكمل[١] .

كما أن هذه المحبة الرفيعة (تقتضي تقديم المحبوب سبحانه وتعالى على النفس والمال والولد ، وتقتضي كمال الذل ، والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطنا[٢] وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان)[٣] .

فالمحبة المقصودة هنا والتي تتحقق بها العبودية هي محبة العبد لربه عز وجل ، التي هي أكمل وأرقى صور المحبة . وهي عاطفة دينية

---

(١) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٤٩٧) .

(٢) سيأتي بيان أثر المحبة في تحقيق العبودية في مطلب مستقل في هذا المبحث .

(٣) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين لعبد الرحمن بن حسن ابن عبد الوهاب ص٤٦ .

إيمانية وعبادة قلبية[١] ؛ محبة إجلال وتعظيم[٢]، ومحبة طاعة وانقياد يبرهن بها العبد على صدق عبوديته لمولاه الحق سبحانه وتعالى[٣] .

---

(١) يسمي بعض متكلمي الصوفية محبة الله تعالى المحبة الروحانية أو الحب الخالص ويعنون بها محبة الله لذاته لا لثوابه وإحسانه ولا لخوف أو أمل ، انظر المعجم الفلسفي لصليبا (١ / ٤٤١) . ويسميه بعضهم الحب العقلي ويعنون به : إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان خلاف الهوى ، انظر فتح الباري لابن حجر (١ / ٧٩) . والحق الذي عليه أهل السنة والجماعة أن محبة الله عز وجل محبة بالعقل والقلب معا وأن محبته سبحانه وتعالى لذاته لا تتعارض مع محبته لإحسانه وثوابه إذ إن إحسانه من كمالات ذاته، ومن صفاته جل جلاله . وسيأتي بيان هذا في المطلب التالي .

(٢) فالحب المجرد عن التعظيم والإجلال والناشئ من ملاحظة صفات الجمال فقط حب يبسط النفس ويحملها على بعض الدعاوى والرعونات والأماني الباطلة وإساءة الأدب . وهذا هو الحب الذي انزلقت فيه أقدام المتصوفة ومن تبعهم ، أما الحب الذي يقارنه مهابة المحبوب وإجلاله وتعظيمه وملاحظة عز جلاله وعظيم سلطانه ؛فإنه يجعل النفس تذل لعظمته وتستكين لعزته وتتصاغر لجلاله ، وبهذا الحب تتحقق العبودية . انظر للتوسع طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٧٩ .

(٣) فسر المعطلة المحبة بأنها الإرادة ، فمحبة الله عبده إرادة الإنعام عليه ، ومحبة العبد لربه هي إرادة العبادة له ، وإرادة التقرب إليه وهم بذلك =

أما منزلة المحبة من الدين وأثرها في تحقيق العبودية فقد ظهرا من خلال كلام العلماء – رحمهم الله – عن حقيقة هذه المحبة بلوازمها ومقتضياتها والذي يتلخص فيما يلي :

أولاً : محبة الله عز وجل هي (أصل الدين الذي عليها قطب رحاه فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص)[١]، فدين الإسلام مبني على شهادة أن لا إله إلا الله ، ومعنى الإله : المحبوب الذي تألهه القلوب وتحبه ، وتعظمه وتجله ، وتقصده بالإنابة والخضوع والذل ، والافتقار إليه ، والخوف منه ورجائه[٢] . فكانت المحبة هي ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته ، واعتقاد جماله وكماله وجلاله ، والاعتراف بإحسانه وإنعامه

= ينكرون أصل الدين ، ويغالطون في ضرورة ثابتة بالشرع والعقل والفطرة ، وإنكارها إنكار للواقع المحسوس . انظر للتوسع قاعدة في المحبة لابن تيمية ص٥١ وما بعدها . وشرح كتاب التوحيد للغنيمان (١ / ٦٦) . كما فسرها كثير من المتكلمين بلوازمها كقولهم المحبة مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه فيحب ما أحب ويكره ما كره ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ١٤) .ولهم عبارات كثيرة على هذا النحو في تفسيرها بلوازمها وفي كثير منها يظهر التعبير الصوفي الذي لا ينضبط بألفاظ الكتاب والسنة . انظر روضة المحبين لابن القيم ص ٢٥ . والرسالة القشيرية ص٣٢١ ومابعدها .

(١) فتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص٣٣٢ .

(٢) انظر شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١ / ٦٧) .

الذي هو التوحيد العلمي. كما أنها (أصل التوحيد العملي الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع وهذا هو الإسلام)[١].

فمحبة الله عبادة عظيمة يبرهن بها العبد على صدق عبوديته وتحققه بدين الإسلام[٢]، وهي دافع قوي للقيام بجميع أنواع العبادة الأخرى الباطنة والظاهرة ومن هنا كان (أصل الأعمال الدينية كلها حب الله)[٣].

ثانيًا : محبة الله عز وجل علامة الإيمان وطريق وجدان حلاوته بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[٤]،

---

(١) انظر قاعدة في المحبة لابن تيمية ص٦٨ .

(٢) وقد ضل فيها من أهل القبلة فريقان : فريق من أهل النظر والكلام والمنتسبين للعلم جحدوها وأنكروا حقيقتها . وفريق من أهل التصوف ادعوها وغلوا فيها وما عملوا بمقتضياتها ؛ فانحرفوا بها عن جادة الصواب . انظر المرجع السابق ص٥٩ .

(٣) انظر الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٨١ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ص٢٦ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ص٤٩ .

فجعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان وكلها تدور حول حب الله عز وجل ؛ لأن المرء إذا عرف أن الكمال والجمال المطلق ليس لأحد سوى الله جل جلاله وإذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله ولا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه ، وأن ما عداه وسائط ، اقتضى أن يتوجه بكليته نحوه فلا يحب إلا هو وما يحب، ولا يحب إلا من أجله ولا يكره إلا ما يبعده عنه . ولهذا كان حب الرسول ﷺ من حب الله عز وجل ، ومن هنا أيضا كان حب الأنصار آية على الإيمان(١) وكذا حب الصالحين ، فـ(الحب في الله من ثمرات حب الله)(٢) .

وكما أن المحبة هي أصل الدين وأساس التوحيد إذا كانت خالصة لله وفي الله ، فإن أصل الشرك بالله ، الإشراك مع الله في المحبة كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فبين تعالى أن الذي يحب المخلوق كحب الله مشرك اتخذ مع الله نداً(٣) .

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار ، قال رسول الله ﷺ : (آية الإيمان حب الأنصار) ص٢٧ ، ونحوه عند مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته ص٥٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ١٤) .

(٣) انظر الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٨١ .

و(لهذا اتفقت الأمتان قبلنا على ما عندهم من مأثور وحكم عن موسى وعيسى صلوات الله عليهما وسلامه أن أعظم الوصايا : أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وقصدك ، وهذا هو حقيقة الحنيفية ملة إبراهيم التي هي أصل شريعة التوراة والإنجيل والقرآن)[١] .

فمحبة الله عز وجل هي محبة تعمر القلب ، ويختارها العقل ويدركها ، ويظهر أثرها على القصد والسلوك .

والمطلب التالي يبيّن الأسباب الباعثة على تقويتها وتحقيقها .

❁ ❁ ❁

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٧٣) .

المطلب الثاني

بيان الأسباب الباعثة على تحقيق المحبة

كما أن النفوس مفطورة على معرفة ربها وخالقها سبحانه وتعالى ومعرفة أن له عز وجل الكمال المطلق فهي مفطورة على محبته ، فما من عبد على وجه البسيطة يعرف ربه إلا وهو يحبه . وهذه المحبة الفطرية العامة ليست هي التي يحقق بها العبد عبوديته ، وإنما المعوّل عليه المحبة الاختيارية التي تملأ قلب العبد المؤمن بالله الذي يعتقد كمال ربه وجلاله ويثبت له الأسماء الحسنى والصفات العلا التي أثبتها عز وجل لنفسه وأثبتها له نبيه ﷺ على الحقيقة من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولا تشبيه.

ومحبة الله الاختيارية قسمان[1] : فرض : وهي المحبة التي تبعث على امتثال أمره والانتهاء عن معصيته ، والرضا بما يقدره . وندب : وهي التي تبعث على تتبع المحاب والمواظبة على النوافل وتجنب الوقوع في الشبهات[2] . وبحسب تحقيق العبد لهذه المحبة يرتقي في درجات

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١ / ٨٤)

(٢) ذكر ابن حجر أن المحقق لهذه المحبة المندوبة والمتصف بها عموماً نادر انظر فتح الباري (١ / ٨٤) . أقول : ولهذا قال تعالى عن السابقين : ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ =

العبودية إلى مراتب المقربين المحسنين السابقين بالخيرات .

وأول ما يعين على تحقيق المحبة : معرفة الأسماء والصفات ، فـ (باب الأسماء والصفات هو باب المحبين حقاً . . . كلما بدا لهم منه علم ازدادوا شوقاً ومحبة)[١] إذ المحبة لا تُتصور إلا بعد معرفة ولا يُعرف الله إلا بأسمائه وصفاته . كما أن معرفة أسماء الله وصفاته تتضمن جميع دواعي محبة الإله سبحانه وتعالى وأسبابها والتي تتلخص فيما يلي :

أولاً : داعي الكمال والجلال[٢] . فالرب عز وجل له الكمال المطلق بل (كل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق له على الكمال ، وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لأن يحب على الحقيقة والكمال)[٣] .

الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤] . وإذا أخذ العبد بالأسباب الباعثة على المحبة والمقوية لها فكان تواباً أواباً ، مسارعاً للخيرات، طالباً من الله أن يرزقه حبه ، رزقه الله منها وعمر فؤاده بها ، بل وأصبح محبوباً من الله محباً له ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(١) طريق الهجرتين ص٤١٠ .

(٢) أي العظمة . جاء في اللسان في مادة جلل : الله الجليل سبحانه ذو الجلال والإكرام جل جلال الله ، وجلال الله : عظمته . انظر لسان العرب لابن منظور (١١ / ١١٦) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٧٣) .

لأن كماله عز وجل من لوازم ذاته ، وكل من هو غيره فكماله نسبي مستمد منه ، مفتقر إليه ، وهو من منح الله له .

ثانيًا : داعي الجمال . (والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك، فإنه جميل يحب الجمال ، بل الجمال كله له ، والجمال كله منه ، فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواه)[١]. ومن جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة من آثار صنعته . قال ﷺ واصفاً جماله تبارك وتعالى : (حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[٢] . (قال ابن عباس : حجب الذات بالصفات ، وحجب الصفات بالأفعال ، فما ظنك بجمال حُجب بأوصاف الكمال ، وسُتر بنعوت العظمة والجلال)[٣].

والعبد يعرف جمال أفعال ربه (من التأمل في بديع وجمال صنعه وخلقه ، قال تعالى : ﴿ **مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ** ﴾ [الملك: ٣]، وقال : ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [النمل: ٨٨]، كما يعرف جمال صفاته وأسمائه بما يعرفه من جمال أفعاله فله سبحانه الأسماء

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم ص٣٢٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قوله ﷺ : (إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه ...)ص٩٨ .

(٣) ذكره ابن القيم في الفوائد ص٣٢١ .

الحسنى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨]، ومن جمال صفاته وأسمائه يستدل على جمال ذاته الذي لا يدركه سواه وليس عند العباد منه إلا تعريفات عنه تعرّف بها إليهم من خلال أسمائه وصفاته فيما أنزله عليهم في كتابه الكريم وفيما أخبرهم به رسوله ﷺ[١].

ثالثا : داعي الإحسان والإنعام . فـ(القلوب جُبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ولا أحد أعظم إحساناً من الله سبحانه ؛ فإن إحسانه على عبده في كل نفس ولحظة)[٢] و(هو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة ، فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة إذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب)[٣] فهو وحده واهب الحياة ومصدر الخلق والأمر والإيجاد والإمداد ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠].

وداعي الإحسان والإنعام هو أول ما يبعث في القلب حب الله عز وجل[٤] ، ولهذا ذكّر الله العباد كثيراً بنعمه العظيمة ، وندبهم

---

(١) انظر الفوائد لابن القيم ص٣٢٠ . والإيمان والحياة للقرضاوي ص١٥٧ .

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم ص٤١٠ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٨٥) .

(٤) إلا أن الاقتصار في محبة الله عز وجل على داعي الإحسان والإنعام فقط =

رسوله ﷺ إلى تذكرها بقوله : (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه)[١] ، فإن تذكر النعمة مع نسبتها للمنعم عز وجل يورث العبد معرفة بربه ومحبة له .

وكلما تأمل العبد في نعم الله ؛ ازداد معرفة للمنعم وحباً . فينضم داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال ولا يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردى القلوب وأخبثها . فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه ، والله سبحانه وتعالى وحده هو أهل ذلك[٢] .

ومن هنا كانت معرفة الأسماء والصفات هي الباب الذي يضم

هو شأن العوام الذين لا يحبون إلا لأجل أنفسهم وما يأتيها من نفع وخير فما محبتهم للمحسن في الحقيقة إلا محبة لأنفسهم ولهذا سميت المحبة لأجل الإحسان فقط محبة العوام . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٨ / ٨٤) . وطريق الهجرتين لابن القيم ص٤١٥ .

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٥ / ٦٦٤) وقال حديث حسن غريب ، بينما صححه الحاكم وأخرجه في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، باب مناقب أهل البيت (٣ / ١٥٠) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح .

(٢) انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص٤١٢ . وانظر رسالة المسترشدين للمحاسبي ص١٧٩ .

هذه الدواعي جميعها[١] فـ(ما من وجه من الوجوه التي يعرف الله بها مما دلت عليه أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة)[٢].

ولاشك أن العباد يتفاوتون في محبتهم له سبحانه وتعالى (على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به . فأعرفهم بالله أشدهم له حباً ، ولهذا كانت رسله أعظم الناس حباً له . والخليلان[٣] من بينهم أعظمهم حبًا ، وأعرف الأمة أشدهم له حباً . ولهذا كان المنكرون[٤] لحبه من أجهل الخلق به)[٥] .

فللمعرفة بالأسماء والصفات أثرها في تحقيق المحبة التي هي أصل العبودية ، إذ إنها تُظهر ما له سبحانه وتعالى من الكمال المطلق والجمال المطلق والإنعام الذي لا يحده شيء ولا يحصيه أحد وتفصيل هذا في المطلب التالي .

---

(١) أما ما يزعمه كثير من المتصوفة من أن أكمل المحبة هي التي لا تنظر إلى الإحسان وإنما تفنى في كمال الذات وجمال الصفات فهي التي قد أبعدت كثيراً منهم عن محبة الإله عز وجل إلى أحوال شركية وقول بالحلول والاتحاد وإنما يتوصل إلى حب الله باتباع طريق أكمل محب : محبة الرسول ﷺ لربه تبارك وتعالى، انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص٤١٩ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٨٥) .

(٣) وهما محمد وإبراهيم عليهما أفضل الصلوات وأتم التسليم .

(٤) وعلى رأسهم الجهمية ونفاة الصفات.

(٥) طريق الهجرتين لابن القيم ص٤١٣ .

المطلب الثالث

بيان بعض الأسماء والصفات المحركة للمحبة

إن محبة الله عز وجل في قلب العبد المؤمن بحاجة إلى ما يزكيها ويحركها ويقويها لتعمر قلب صاحبها بالتقوى وتملأ حياته بالطاعة ، والقرآن الكريم وسنة الهادي الأمين ﷺ فيهما من التعريف بالله سبحانه وتعالى[١] وبيان أسمائه وصفاته ، وأفعاله ونعمائه ما يجعل المحبة أشد ما تكون[٢]، ولهذا كان سلف الأمة رضي الله عنهم يذكّرون بأسماء الله وصفاته ، ويشرحون معانيها ، ويبينون آثارها فيحركون بهذا محبة

---

(١) انظر طريقة القرآن والسنة في التعريف بأسماء الله وصفاته ضمن مبحث "طرق معرفة الأسماء والصفات" ص٢٠٥ وما بعدها .

(٢) فإن قراءة القرآن بالتدبر ، وقراءة الحديث بوعي ورغبة كفيلان بتحريك المحبة وتقويتها إن صحت السليقة وقوي الفهم للعربية ولما كان هذان الأخيران قد اعتراهما خلل كبير فمطالعة شروح معاني الأسماء والصفات – وفق المعتقد الحق – أمر لا غنى عنه ليفهم مراد الرب عز وجل ، فتزداد المحبة وتتحقق العبودية .

الله في قلوب العباد ، قال ابن تيمية: (كانوا[١] يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن تحرك به[٢] من أنواع العبادات الشرعية كالعرفان الإيماني

---

(١) أي سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

(٢) ينبّه بهذا القيد "ما شرع الله أن تحرك به " إلى أن هناك من يطلب تحريك محبة الله بغير هذا المسلك الشرعي كما هو منتشر بين المبتدعة و الجهلة والمتصوفة من سماع أنواع من الأقوال والأشعار والمكاء والتصدية ، التي تحرك في القلب جنس الحب ، وقد كان سماعهم هذا في ابتداء أمرهم فيما يرقق القلب ويزهد في الدنيا ويذكر بالله ، ثم توسعوا فيه صاروا يجتمعون عليه ويتصايحون ويرقصون ومنهم من يغشى عليه أو تخرج روحه ، ثم توسع بعضهم في ذلك حتى خرجوا فيه إلى أنواع من المعاصي ، بل إلى أنواع من الفسوق ؛ بل خرج فيه طوائف إلى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على أنواع من الأشعار التي فيها الكفر والإلحاد . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٧٦) . وهم مع هذا يعدون سماعهم هذا عملا صالحاً ! ويستدلون عليه كذباً بقوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] . وفي صفة هذا السماع قيل : (السماع فيه نصيب لكل عضو ، فما يقع إلى العين تبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح ، وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم، وما يقع إلى الرجل ترقص) !!! انظر الرسالة القشيرية ص ٣٤٨ .

والسماع الفرقاني[١])[٢]. ومعرفة الأسماء والصفات ودوام مطالعتها وتقليب الفكر في معانيها وآثارها هي العرفان والعلم الإيماني ، كما أنها من السماع الفرقاني القرآني ، إذ لا تكاد تخلو آية في كتاب الله من ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله عز وجل، و(كل اسم وصفة من صفاته تستدعي محبة خاصة)[٣]. وكلما زادت معرفة العبد بالأسماء والصفات ، (وكلما أكثر قلبه من مطالعتها ومعرفة معانيها : ازدادت محبته للموصوف بها)[٤].

ومن هنا أُفرد هذا المطلب لبيان معاني بعض الأسماء والصفات التي تحرك في القلوب محبة الإله عز وجل وتقوّيها . وقبل البدء بذكر

---

(١) يريد به سماع آي الفرقان كتاب الله عز وجل وسماع حديث رسول الله ﷺ وقد بين هذا في موضع آخر فقال : (السماع الإيماني الفرقاني النبوي الديني الشرعي الذي هو سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين وسماع المؤمنين) مجموع الفتاوى (١٠ / ٧٨) . وربما يكون شيخ الإسلام استخدم لفظ " السماع " لكثرة استخدامه في عصره ولينبه على أن السماع الذي يرضي الله ويحرك محبته في القلوب والذي تدل عليه النصوص ليس هو ذلك السماع الصوفي المنتشر بين الناس وإنما السماع الفرقاني الإيماني .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٧٥) بتصرف يسير.

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم ص٤١٣ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٩٣) .

الأسماء والصفات ومطالعة معانيها في حق الله سبحانه وتعالى ينبغي التنبيه على أن (مطالعة الصفات ، يعني إثباتها أولا ، ومعرفتها ثانياً، ونفي التحريف والتعطيل عن نصوصها ثالثاً ، ونفي التمثيل والتكييف[١] عن معانيها رابعاً)[٢] فإنها لا تتم المعرفة الصحيحة إلا بهذه الأمور الأربعة .

أولاً : بعض الأسماء والصفات الدالة على الكمال المطلق :

أسماء الله وصفاته دالة على الكمال فكل أسمائه حسنى وكل صفاته علا ، وكل واحد من أسمائه وصفاته يدل على معنى كمالي لا يدل عليه غيره . ومن أسمائه وصفاته ما يدل على عدة صفات ، وهذا النوع يدل على معاني كمال مجتمعة ، في كل فرد منها كمال ، وفي اجتماعها في الصفة الجامعة كمال آخر أكمل وأعظم [٣] . قال ابن القيم: (من أسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة)[٤] .

---

(١) سبق بيان هذه الأمور في ص١٠٨ .

(٢) المرجع السابق (٣ /٣٨) .

(٣) انظر القواعد الكلية للبريكان ص٢٦٠ -٢٦٢ . وهذا يدل على أن الاسم والصفة الجامعة أفضل من غيرهما في المعنى لأن دلالتهما على الكمال أكمل من دلالة الاسم المفرد والصفة المفردة

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (١ / ١٦٧) .

ولما كانت أسماء الله دالة على صفاته[١] اخترت هنا عدداً من الأسماء الحسنى الجامعة لعدة صفات، والدالة على الكمال المطلق لله عز وجل لبيان معانيها واستحضار شيء من آثارها كجزء تطبيقي يحرك في نفوسنا المحبة لله جل جلاله .

ومن هذه الأسماء اسم الله والرب والملك والحي والقيوم والعظيم والمجيد والصمد والسيد سبحانه وتعالى .

فاسم الله : اسم علم دال على الذات الإلهية المقدسة وعلى سائر الأسماء والصفات[٢]، فهو (اسم للموجود الحق ، الجامع لصفات الإلهية المنعوت بنعوت الربوبية)[٣]. وهو اسم تفرّد به الحق سبحانه ، وخص به نفسه وأضاف أسماءه كلها إليه ولم يضفه إلى اسم منها[٤].

---

(١) وهو الرأي الصحيح الذي يراه أهل السنة والجماعة خلافًا للقائلين بأن أسماء الله أعلام محضة جامدة لا دلالة لها على الوصفية البتة . انظر للتوسع مجموع فتاوى ابن تيمية(٥ / ٢٠٦) ، وشرح القصيدة النونية لهراس (٢ / ٥٠٣) . وكذا جمع وفصل الردعلى المخالفين البريكان في القواعد الكلية ص٢٣٠ .

(٢) انظر أسماء الله الحسنى لشحاته ص٥٠ .

(٣) المقصد الأسنى للغزالي ص ٦١ .

(٤) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص٦١ ، وموسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي (١ / ١٦)

فهو أصل الأسماء الحسنى ، وإليه تضاف[١] ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وهو الاسم الخاص بالشهادة التي بها يدخل الناس في الإسلام . وهو (أشهر أسماء الرب تعالى ، وأعلاها محلا في الذكر ، والدعاء ، وكذلك جُعل أمام سائر الأسماء ، وخُصت به كلمة الإخلاص ، ووُقعت به الشهادة ؛ فصار شعار الإيمان)[٢] .

وأصله إله[٣] (والإله في لغة العرب أطلق لمعان أربعة هي : المعبود، والملتجأ والمفزوع إليه، والمحبوب حباً عظيماً)[٤]، وهذه المعاني كلها تبرز لدى تأمل معنى الاسم وآثاره في الكون والحياة والأمر والنهي؛ فهو المعبود المطاع ، وهو الملتجأ لعباده إذا مس الضر واشتدت

---

(١) وقد رجح كثير من العلماء أن يكون " الله " هو الاسم الأعظم ، انظر النهج الأسمى للحمود (١ /٦٣ – ٦٩) .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص٣٠ .

(٣) على القول الصحيح ، قال ابن القيم : (وهو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم) ، وقد اختلف العلماء في اشتقاقه على قولين أصحهما أنه مشتق وبه قال ابن القيم ، انظر بدائع الفوائد (١ / ٢٠) . وانظر تحقيق القولين في النهج الأسمى للحمود (١ / ٧٠) .

(٤) استخلصها عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه منهج جديد لدراسة التوحيد ص١٥ .

النوائب فليس للعبيد عند الكروب سواه ، تفزع إليه وتدعوه وتحتمي بجنابه ، وهو المحبوب حباً عظيماً فمحبوه يبذلون من أجل رضاه حياتهم وراحتهم في صور ليس لها مثيل ، وصدق تعالى إذ قال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

وإذا تأمل العبد الكون حوله والحياة وجدها مليئة بدلائل وجود الله ودلائل كماله وجلاله وجماله فلا يملك إلا أن يردد : سبحان الله ، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، الله أكبر[١] ، موحداً لربه ، حامداً ، منزهاً له ومعظماً ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : (أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر)[٢] .

---

(١) وهذا هو الهدي النبوي في تعظيم الله وذكره باسم "الله" أما ما يذهب إليه المبتدعة من المتصوفة وغيرهم في الذكر بالاسم المفرد " الله . .الله " أو بضمير الغائب " هو . .هو " الألوف من المرات بصور فردية وأخرى جماعية، واقفين أو جالسين فهو بدعة منكرة لا أصل لها في الدين فينبغي تجنبها والحذر من الداعين لها الذين يزعمون أنها ذكر الخاصة وأن من داوم عليها يعطى كمال اليقين!ولو كان الأمر كذلك لدعا إليها سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٢٢٥) ، والانحرافات العقدية للزهراني ص٤٩٩ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الآداب ، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه ص٨٤٤ .

وكذا تأمل عظمة دين الله ، وتفرده سبحانه وتعالى بالأمر الكوني والشرعي[١]، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ فإنها تزيد معرفة العبد بإلهه الحق عز وجل ، الذي شرع شرائع هذا الدين وارتضاه لعباده ، وعليه يجازيهم ويحكم بينهم يوم القيامة[٢] . فالأمر والنهي يدلان عليه سبحانه وتعالى دلالة الكون والحياة .

ومن صفات كماله المطلق صفة **الملك** ، وتدل عليها أسماؤه الحسنى : الملك والمالك والمليك ، ومعناها أنه : (التام الملك الجامع لأصناف المملوكات)[٣] ، (الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ، ويحتاج إليه كل موجود)[٤]، (النافذ الأمر في ملكه)[٥]، فهو سبحانه وتعالى مالك لجميع الأشياء متصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة[٦] .

وتتضمن هذا الأسماء الكريمة معاني كثير من الأسماء الحسنى

---

(١) سبق بيان المراد منهما ص ٤٩ .

(٢) انظر الحكم والتحاكم في خطاب الوحي لعبد العزيز مصطفى (١ / ٥٢) .

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص٤٠ .

(٤) المقصد الأسنى للغزالي ص٦٧ .

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٣٠ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٣٤٣) .

المستلزمة للملك كالعزيز والجبار والمتكبر والحكم والعدل و الخافض الرافع ، المعز المذل ، العظيم ، الكبير، الحسيب ، المجيد ، الولي ، المتعالي ، المقسط ، وغيرها من الأسماء ، كما تستلزم جميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ملك إلا لحي سميع بصير قادر متكلم ، فعّال لما يريد ، حكيم في أفعاله(١) .

وبالتأمل في الكون والحياة يوقن العبد بأنه لا ملك حقيقة إلا له سبحانه وتعالى، إذ كل من ملك شيئاً فإنما هو بتمليك الملك الحق له، فهو الذي يُؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل من يشاء . هو المالك لخزائن السموات والأرض . وهو ملك الناس وغيرهم من العوالم في خفايا الأرض أو أعماق البحار ، أوفي سعة الفضاء والأفلاك ، وفي الصحيح(٢) أن رجلا من اليهود أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد : إن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك . فضحك الرسول ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال :﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [الزمر: ٦٧] .

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٣٢) ، وشرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص ١٦٤ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

وفي الأمر والنهي تتجلى كذلك صفة الملك ، إذ هو المعبود الحق يأمر فيطاع ، وهذه مشاهد جماعات المصلين في كل بقاع الأرض يقفون ببابه ، ومشاهد الصائمين يقفون عند أمره ونهيه ، وفي رحاب عرفات ومنى ومزدلفة جموع الحجاج الوافدين تلبية لندائه عز وجل ، فهو الملك الحق الذي لا يزول ملكه ولا ينقص ، ولا يبقى إلا هو يوم تنزع جميع الملكيات ، قال تعالى : ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ**﴾ [الفرقان: ٢٦] ، وقال عز وجل : ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

وقد كان رسول الله ﷺ يذكر ربه بهذه الصفة صباح مساء بقوله : (أصبحنا وأصبح الملك لله . . .أمسينا وأمسى الملك لله . . .)[1] لما لها من الأثر الكبير في تعظيمه والانقياد له سبحانه وتعالى .

ومن أسماء كماله المطلق اسم **الرب**، وهو اسم يطلق على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم ، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى[2] . وهو يجمع معاني كثير من صفات الأفعال كالخلق

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ص١٠٩٠ .

(٢) فيطلق على العباد مضافاً نحو : رب الدار ، ورب الإبل ، انظر النهاية لابن الأثير (١ /١٧٩) .

والرزق والمنع والعطاء والإنعام والجود والقبض والبسط والخفض والرفع والإعزاز والإذلال وغير ذلك من معاني ربوبيته سبحانه وتعالى [١].

فالرب عز وجل هو مربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم . المربي لأصفيائه تربية خاصة بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل[٢].

وهذه الأسماء الثلاثة الله والملك والرب قد تضمنت جميع معاني أسمائه الحسنى ؛ لذا كان المستعيذ بها جديراً بأن يعاذ ، ويحفظ ، ويمنع من الوسواس الخناس[٣].

ومن أسماء الكمال المطلق اسما **الحي والقيوم** ؛ فهما اسمان جمعا جميع صفات الكمال ؛ فالحي هو(الكامل المطلق)[٤] ، الذي

---

(١) انظر بدائع الفوائد لابن القيم (٢ / ٢٤٩) .

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥ / ٢٩٨) . وتأمل في القرآن دعاء إبراهيم ونوح وغيرهم من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وكذا دعاء أولي الألباب في أواخر آل عمران، ودعاء عباد الرحمن في أواخر الفرقان، تجدها كلها صُدّرت باسم الرب سبحانه وتعالى.

(٣) انظر بدائع الفوائد لابن القيم (٢ / ٢٤٩) ، وهو قول بناه ابن القيم على تأمله معاني هذه الأسماء وفضل سورة الناس التي وردت فيها الاستعاذة بهذه الأسماء الثلاثة.

(٤) المقصد الأسنى للغزالي ص١٣١ .

له كامل الحياة لا تأخذه سِنة ولا نوم سبحانه وتعالى، وله دوام الوجود لم يزل ولا يزال سبحانه وتعالى [١]، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله كالعلم والعزة ، والقدرة والإرادة ، والعظمة والكبرياء وغيرها[٢] . وكذا صفة الحياة له عز وجل تدل على أنه الأول إذ لم يسبق وجوده عدم ، وأنه الآخر الذي ليس لحياته زوال . فله وحده البقاء والدوام من أزل الأزل إلى أبد الأبد[٣] .

والقيوم مبالغة في القيام ، وكمال المبالغة إنما يحصل عند الاستغناء عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه إليه[٤]، فهو الدائم[٥] الذي قام بنفسه ، وعظمت صفاته ، واستغنى عن خلقه . وكذا قامت به جميع المخلوقات من السموات والأرض وما فيهن ؛ فلا بقاء لها ولا صلاح إلا به سبحانه وتعالى فهي فقيرة إليه من كل وجه وهو غني عنها من كل وجه[٦] .

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٥٦ .

(٢) انظر الحق الواضح المبين للسعدي ص٢٥٨ ، وشرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص١٥٧ .

(٣) انظر أسماء الله الحسنى لشحاته ص٩٤ .

(٤) انظر دقائق الإشارات للأنصاري ، كلام المحقق عماد الدين ص١١٤ .

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٥٦ .

(٦) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص١٣٢ .

والتأمل في الكون والحياة يحيي في قلب العبد المؤمن الإيمان بهاتين الصفتين : فمشاهد الموت والحياة ، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي ، وإحياء الأرض الميتة بالزرع النضر بعد إيصال الماء الذي جعله الله مادة الحياة ؛ كلها مشاهد تدل على أن واهب الحياة له أكمل وأعظم حياة[١] سبحانه وتعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٥] .

كما أن انتظام الحياة بليلها ونهارها ، وانتظام الكون بأفلاكه ، وقيام السموات بغير عمد ، وكذا انتظام أجهزة جسم الإنسان وأعضائه وخلاياه في وظائفها دليل على القيوم الذي قامت به جميع الخلائق فدبر أمورها ورعى وجودها . فتأمل هذا كله يفتح للمؤمن (باب الشعور بمشهد القيومية فيرى سائر التقلبات الكونية ، وتصاريف الوجود بيده سبحانه وحده ، فيشهد مالك الضر والنفع ، والخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، فيتخذه وحده وكيلا ، ويرضى به رباً مدبراً وكافياً)[٢] .

كذلك من الأسماء الدالة على الكمال المطلق لله عز وجل اسم **العظيم** ، فالعظيم : هو الموصوف بكل صفة كمال ، عظيم الشأن

---

(١) انظر توحيد الخلاق للزنداني ص٣١٩ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٣٨٠) .

والسلطان[١]، له من الكمال أكمله ، وأعظمه ، وأوسعه : فله العلم المحيط ، إذ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . وله القدرة النافذة والكبرياء والعظمة[٢] فالسموات والأرض مطويات بيمينه قال تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر: ٦٧] . يخبرنا نبيه محمد ﷺ عن عظمته بقوله : (العز إزاره ، والكبرياء رداؤه)[٣] .

ومن تأمل الكون أدرك عظمة الخالق سبحانه وتعالى، ولهذا استنكر نوح عليه السلام على قومه إعراضهم عن توحيد العظيم عز وجل، ومضى يذكرهم بخلقه ليستجيش تعظيمه في قلوبهم كما حكى لنا ذلك القرآن من قول الله عز وجل : ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا (٢٠)** ﴾ [نوح: ١٣ – ٢٠] .

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٤٦ .

(٢) انظر الحق الواضح المبين لابن سعدي ص٢٢٤ .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة و الآداب، باب تحريم الكبر ص١٠٥٣ .

هو سبحانه وتعالى عظيم في وجوده لأنه واهب الوجود ، غني عن كل موجود . عظيم لا يتوصل لكنهه ولا يمكن الإحاطة به ، عظيم كلامه ، عظيم أمره ونهيه[١] .

وقد كان الرسول ﷺ يسبح ربه باسمه العظيم ، ويندب لذلك بقوله : (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة)[٢] . وكذا كان يذكر ربه العظيم عند الكرب بقوله : (لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ، ورب الأرض ، ورب العرش العظيم)[٣] .

وعلى الكمال المطلق للصفات والدال على كمال الذات يدل اسم الله **المجيد** ، ومعناه: الذي له المجد العظيم ، فهو : (الشريف ذاته ،

---

(١) انظر موسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي (١/ ١٨٥) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء في فضل التسبيح والتهليل والتكبير (٥ / ٥١١) ، وقال حديث حسن غريب ، بينما صححه الحاكم وأخرجه في المستدرك ، كتاب الدعاء (١ / ٥١) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ، وقال الذهبي صحيح على شرط البخاري .وكذا صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ، باب فضل التسبيح (١ / ١٣٤) حديث رقم ٦٤ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٣٠ .

الجميل أفعاله ، الجزيل عطاؤه ونواله)[١]، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه : فهو العليم الكامل في علمه ، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، القدير الذي لا يعجزه شيء ، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، وكذا في كل أسمائه وصفاته[٢].

وهو اسم يجمع معاني صفات الكرم والملك والسؤدد والجلال وغيرها[٣]، فكل أوصافه عظيمة الشأن : أكبر من كل شيء ، وأعظم وأجل وأعلى . وهو الذي يتزلف إليه العباد عبر الأزمان ويتقربون رغبة في قربه ورضاه ، ورجاء نواله وعطاياه[٤].

ومن كماله المطلق سبحانه وتعالى أنه **الحميد** ، والحمد كثرة الصفات والخيرات . فهو الحميد لكثرة صفاته ، ولأنه المستحق لأن يحمد فهو المحمود بكل لسان ، وعلى كل حال سبحانه وتعالى أهل الثناء والحمد[٥]، بدأ فأوجد ، ثم والى نعمه وتابع آلاءه ومننه حتى

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص١٢٣ .

(٢) انظر الحق الواضح المبين لابن سعدي ص٢٢٧ ، وشرح القصيدة النونية لهراس (٢ / ٧١)

(٣) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص١٢٣ ، و الحق الواضح المبين لابن سعدي ص٢٢٨ .

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) انظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٥٥ .

فاتت العد وإن استفرغ فيه الجهد[١]، فله الحمد لذاته وله الحمد لصفاته وله الحمد لأفعاله وله الحمد على شرعه . وتفاصيل حمده وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار ولا تحصيها الأقلام[٢] .

وكثيراً ما يجمع بين هذا الاسم واسم المجيد ، وفي الجمع بينهما كمال أعظم[٣] .

وقد كان رسول الله ﷺ دائم الحمد لربه ومن ذلك قوله : (ربنا لك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد)[٤] .

ومع استحقاقه سبحانه وتعالى للتمجيد والحمد إلا أنه غني عنهما، فهو **الغني** وغناه صفة ذاتية له دالة على كماله المطلق عز وجل ومعنى الغني : (الذي لا تعلق له بغيره ، لا في ذاته ولا في صفات

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ١٩٠).

(٢) انظر الحق الواضح المبين لابن سعدي ص٢٣٢ .

(٣) انظر توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص ٣٧٨ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ص١٩٨ .

ذاتـه)[١] ، ومـن سـعـة غنـاه أن جـوده مـتـواصـل وعطـاءه لا ينـقطـع ، ولا ينقـص ذلك من مـلكه شيء فـعنده خـزائن السـمـوات والأرض . ومن كمـال غناه أنه لـم يتـخـذ صـاحـبة ولا ولداً ولا شـريكاً في الملك ولا ولياً من الذل ، بل هو السـيـد الصـمـد ، الواحـد الأحـد سبحـانه وتعـالى، لا يحـتـاج إلى أحـد من خلقـه بوجـه من الوجـوه ، وكل مـخـلوقاته مـفـتـقـرة إليـه في إيجـادها وإعـدادهـا وإمـدادها في أمـور دينهـا ودنيـاها من جلب المنافع ودفـع المضـار[٢] ، قال ﷺ فيمـا يرويه عن ربه عز وجـل : (يا عـبـادي لو أن أولكم وآخـركـم ، وإنسـكـم وجنكـم، قامـوا في صـعيد واحـد فسـألوني ، فأعطـيت كل إنسـان مـسـألتـه مـا نـقـص ذلك مما عنـدي إلا كـمـا ينقـص المخيط إذا أدخـل البحـر)[٣] .

ومن كمـاله المطلق أنه **الصمد والسيد** : وهمـا من أسمـائه الحسنى سبحـانه وتعالى؛ اسمـان دالان على الكمـال والجلال : فـالصـمـد : هو

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص١٤٤ .

(٢) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ١٩٦) ، وتوضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص ٣٨٠.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم ص ١٠٣٩ .

المصمود إليه في الحوائج ، المقصود[١] بها [٢]، يصمد إليه الخلق في حوائجهم ومسائلهم ، ويقصدونه في الحوائج والرغائب والنوازل [٣] . صمدت له المخلوقات بحاجاتها وملماتها الدقيقة والجليلة ، وذلك لكمال ملكه وعظمته وسعة جوده وسلطانه وعظمة صفاته[٤] .

وهو السيد الذي كمل في سؤدده ، والشريف الذي كمل في شرفه ، والعظيم الذي كمل في عظمته وجميع صفاته [٥] .

ومشهد لجوء الخلائق له سبحانه وتعالى وقصدها إليه ذلا وافتقاراً أبلغ من أن يعبر عن وصفه بيان ؛ فهو عز وجل السيد المقصود في أمور الدنيا والآخرة ، ولهذا كان العارفون به سبحانه وتعالى وعلى رأسهم أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والصالحون من بعدهم

---

(١) ذكر في معنى الصمد أقوال كثيرة انظر البحر المحيط لأبي حيان (٨ /٥٢٨) ، وأكد الخطابي أن أصح ماقيل هو ما يشهد له اشتقاقه اللغوي إذ أصل الصمد : القصد ، انظر شأن الدعاء ص٨٥ .

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٥٨ . وانظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٢٠١).

(٣) انظر شأن الدعاء للخطابي ص٨٥ . والمقصد الأسنى للغزالي ص١٣٤ .

(٤) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص٣٨٦ .

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٩٤) . وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠ /٢٤٥) .

لا يسألون أحداً غيره ، وبذلك وصى رسول الله ﷺ أمته عندما قال لابن عباس رضي الله عنه : (إذا سألت فاسأل الله)[١] .

وليست هذه الأسماء والصفات هي فقط الدالة على الكمال المطلق ، فالأسماء الدالة على صفة العلو كالعلي والمتعالي والأول والآخر والظاهر والباطن وغيرها ، وكذا الأسماء الدالة على المشيئة والإرادة ، والأسماء الدالة على العلم والحكمة وغيرها ؛ كلها تدل على كماله المطلق عز وجل وما الأسماء التي تناولها هذا المطلب إلا بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر .

ثانيا : بعض الأسماء والصفات الدالة على الجمال المطلق :

الأسماء والصفات التي تحرك محبة الله عز وجل في القلوب من حيث داعي الجمال المطلق لله جل جلاله كثيرة فكل أسمائه حسنى ، ومن ذلك اسم : **الجميل والقدوس والسلام :**

فاسمه **الجميل** دال على أنه جميل بذاته سبحانه وتعالى، بديع[٢]

---

(١) جزء من حديث سبق تخريجه ص ١٣٢ . والجزء المذكور هناك قوله ﷺ : (... تعرف إلى الله في الرخاء ...).

(٢) وقد عد "البديع" اسماً من أسماء الله الحسنى بعض العلماء ، انظر معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي ص١٧٤ .

لا مثل له ولا شبيه[١]، ذوالنور[٢] والبهجة[٣]، له نعوت الحسن والإحسان [٤]. وجميل بأسمائه فكلها دالة على غاية الكمال والمجد ، ولا يسمى باسم يتضمن نقصاً أو ينقسم لكمال وغيره . وجميل بصفاته فكلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وجلال . وجميل بأفعاله فكلها دائرة بين البر والإحسان ، والعدل والحكمة [٥].

وتأمل الأكوان وما تحتويه من أصناف الجمال يبعث في القلب حب الرب الجميل الذي كساها الجمال وألبسها هذا الحسن ، إذ معطي الجمال أولى بأن يكون له أكمله سبحانه وتعالى . فهذه الطبيعة الخلابة بجداولها الرقراقة وينابيعها المتدفقة وأنهارها الجارية وبحارها الواسعة ، وأصناف الزهور والورود ، وألوان الثمار ، وأنواع الجبال والرمال[٦] ؛ كلها مشاهد تبهر الأبصار وتجعل قلب العبد المؤمن ينبض

---

(١) النهج الأسمى للحمود (٢ / ٢٨٢) .

(٢) وقد ذكر اسم "النور" بعض من عد أسماء الله الحسنى ، انظر معتقد أهل السنة والجماعة للتميمي ص١٨٥، وشرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ١٧١) .

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص١٠٢ .

(٤) انظر توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص٣٧٨ .

(٥) انظر شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص ١٧٩ .

(٦) للاستزادة انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم (١ / ٣٤٠ وما بعدها).

بحب واهب الجمال جل جلاله .

كذا (مشهد النجوم في السماء ؛ جميل جمالا يأخذ بالقلوب . وهو جمال متجدد تتعدد ألوانه بتعدد أوقاته ؛ ويختلف من صباح إلى مساء ، ومن شروق إلى غروب ، ومن الليلة القمراء إلى الليلة الظلماء . ومن مشهد الضباب والسحاب ، بل إنه ليختلف من ساعة لساعة ومن مرصد لمرصد ، ومن زاوية لزاوية)[١] فسبحان معطي الجمال واهب الحسن للأكوان .

واسمه **القدوس** معناه: الطاهر من العيوب ، المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال[٢] . تقدّس عن كل وصف يدركه حس أو يسبق إليه وهم أو يقضي به تفكير[٣] ، ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى، معظّم مقدّس عن كل عيب ، سالم من كل نقص ، ومن أن يكون له مثيل أو ند[٤] .

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١ / ٣٦٣٤) .

(٢) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ، والنهاية لابن الأثير (٤ / ٢٣) ولوامع البينات للرازي ص١٨٦ . و تفسير ابن كثير (٤ / ٣٦٣) .

(٣) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص٦٨ .

(٤) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص٣٨٧ .

والسـلام هو الذي سلمت ذاته عن العيب ، وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشر[١] .

وهذان الاسمان الكريمان كما يدلان على أنه سبحانه وتعالى بليغ في النزاهة عن كل ما يوجب نقصاناً ، يدلان كذلك على أن له الكمال في كل وصف اختص به[٢]، وأنه الممدوح بالفضائل والمحاسن، لأن نفي النقائص والمذام عنه عز وجل يتضمن إثباتاً للمدائح والفضائل[٣] في ذاته وفي أسمائه وصفاته ، فكل صفة كاملة ممدوحة منزهة عما يضادها، سالمة مما ينقص كمالها : فحياته سبحانه وتعالى سالمة من الموت ، منزهة عن النوم والسِنَة ، وقيوميته عز وجل منزهة عن الحاجة ، سالمة من التعب واللغوب ، وكلامه سالم من الظلم ، منزه

---

(١) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص٦٩ ، والمقصود بالشر : الشر المطلق ، المراد لذاته إذ ليس في أفعاله سبحانه وتعالى شر محض ، وإنما فعله خير وحكمة وقد يتضمن هذا ما يظنه البعض شراً وفي ضمنه خير أعظم منه، ولو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه . فالخير مقضي بالذات والشر مقضي بالعرض وكل بقدر وفي ذلك الحكمة البالغة ، انظر للتوسع المقصد الأسنى للغزالي ص٦٥ .

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٢٨ / ٦٢) .

(٣) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ١٩٧) .

عن الكذب كله صدق وعدل ، وهكذا في سائر الأسماء والصفات[١] كلها جلال وجمال وكمال . وهو كذلك سبحانه وتعالى سلام في أفعاله ؛كل شيء عنده بمقدار وليس في هذا الكون عبث أو قصور وإنما كل شيء صنع بدقة وإحكام .

وليست هذه الأسماء الثلاثة فقط هي الدالة على جمال الله سبحانه وتعالى بل كل أسمائه وصفاته تدل على أنه صاحب الجمال والجلال على الحقيقة والكمال عز وجل .

ثالثًا : بعض الأسماء والصفات الدالة على الإنعام والإحسان :

الأسماء والصفات التي تحرك محبة الله جل جلاله في القلوب من حيث داعي الإنعام والإحسان كثيرة جداً فنعمه جزيلة وعطاياه وفيرة، ومن هذه الأسماء : **الوهاب** ، **البر** ، **الرزاق** ، **المنان والفتاح** سبحانه وتعالى .

فاسمه **الوهاب** واسمه **البر** يدلان على أنه عز وجل مولي الجميل، دائم الإحسان ، واسع المواهب فقد شمل الكائنات ببره وهباته ، ولا يستغني مخلوق عن إحسانه وبره طرفة عين[٢] .

---

(١) للاستزادة انظر بدائع الفوائد حيث أبدع ابن القيم في بيان عدد من صفات الله تعالى وعلاقتها بالقدوس السلام (٢ / ١٣٥) .

(٢) شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ١٤٧ .

فالوهاب كثير الهبة ، والهبة : الإعطاء تفضلا وابتداءاً من غير استحقاق ولا مكافأة أو عوض أو غرض[١] . وهو اسم يدل على البذل الشامل ، والعطاء الدائم ويتضمن الفضل والكرم وسعة الملك والعدل إلى غير ذلك [٢] والله سبحانه وتعالى كثرت مواهبه ، واتسعت عطاياه، يهب لكل المخلوقات ، ولا ينقطع نواله بحال ، فعطاؤه دائم وبذله شامل ، وقد يعطي بلا وسيلة وينعم بلا سبب ولا حيلة . يهب هدى لضال ، وعافية لذي بلاء ، ويهب شفاء لسقيم ، وولداً لعقيم ، ومالا لفقير فعطاياه دائمة وأياديه متوالية . ونعمه لا تعد ولا تحصى فكان وحده الوهاب [٣] .

والبر هو المحسن لعباده ، عم ببره جميع خلقه فرزقهم ورحمهم ، فمنه كل مبرة وإحسان[٤] ، ومن بره بأوليائه أن خصهم بولايته واصطفاهم لعبادته ، وهو البر بالمحسن في مضاعفة الثواب له والبر بالمسيء في الصفح والتجاوز عنه[٥] .

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (١ / ٨٠٣) . وانظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٢٠٦) .

(٢) انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٣٩٨) .

(٣) انظر شأن الدعاء للخطابي ص ٥٣، وأسماء الله الحسنى لشحاته ص٢٨٦ .

(٤) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص ١٣٨ .

(٥) انظر شأن الدعاء للخطابي ص ٨٩ .

والكون والحياة يدلان على واسع مواهبه وبره (فهو واهب الحياة للمخلوقات فبمواهبه تحيا الأرض بعد موتها ، وبهباته ينعم الوالدان بالأولاد ، وهو واهب الهداية ، أرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع .

وهو سبحانه وتعالى **الرزاق** : أي المتكفل بالرزق للخلق ، المفيض على عباده بما لم يجعل لأبدانهم قواما إلا به [١]، والقائم على كل نفس بما يقيمها من رزقها وقوتها[٢] ، فقد وسع الخلق كلهم برزقه ، فلم يخص به مؤمناً دون كافر ، ولا ولياً دون عدو ، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيلة له كما يسوقه إلى القوي السوي[٣] (فما من موجود في العالم العلوي والعالم السفلي إلا متمتع برزقه مغمور بكرمه)[٤]، قال تعالى : ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦] . فهو سبحانه وتعالى (الذي خلق الأرزاق والمرتزقة ، وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها)[٥] . وهو الذي يرزق

---

(١) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ١٨٣) .

(٢) انظر للتوسع توحيد الخلاق للزنداني ص٣٦ ، حيث تأمل في المخلوقات تأملات علمية إيمانية تشهد بإله رزاق مقيت سبحانه وتعالى .

(٣) انظر شأن الدعاء للخطابي ص٥٤ .

(٤) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص٣٨٧ .

(٥) المقصد الأسنى للغزالي ص ٨٤ .

القلوب بالعلوم النافعة والإيمان الصحيح[١] وهذه أخص باسمه المنان كما سيأتي .

ومن أسماء إنعامه وإحسانه : المنان ، ومعناه : الكثير العطاء[٢] ، العظيم المواهب ، فمن مننه الحياة والعقل والمنطق ، صور فأحسن الصور ، وأجزل العطايا ، وأسدى النعم ، وأكثر المنح[٣] .

ويقترب معنى هذا الاسم الكريم من معنى اسمه الوهاب إلا أنه ذُكر في القرآن مع النعم العظيمة التي هي أصل كل النعم كإرسال الرسول ﷺ ، والهداية به للإيمان ، والنجاة من النار ، كما في قوله تعالى : ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٤] ، وقوله : ﴿**بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**﴾ [الحجرات: ١٧]، فهو أخص من الوهاب .

وهو الفتاح الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده ، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم . ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم ليبصروا الحق ، ويفتح لهم أسباب النصر، ويشرح صدورهم بعد

---

(١) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص٣٨٨ .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص١٠٠ .

(٣) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ /٢٠٣). وانظر دقائق الإشارات للأنصاري ص١٣٠ .

الضيق[١] ، بيده مفاتيح الرزق ، وعنده مفاتح الغيب ، يفتح لعبده المؤمن أبواب المعارف وحلاوة الإيمان وسرور اليقين وسهولة الطاعات وتيسير القربات[٢] .

وهكذا فتأمل هذه الأسماء وماتدل عليه من الصفات بالتطابق[٣] والتضمن[٤] والالتزام[٥] يعرّف العبد بإله حق ، ومعبود عظيم ورب متفضل كريم ؛ فيخفق قلبه بحبه حباً عظيماً لا يماثله حب ولا يكافئه، وتنقاد جميع جوارحه بالطاعة والتذلل ، وبذلك يكون عبده حقاً . قال ابن القيم : (لا ريب أن كمال العبودية تابع لكمال المحبة ،

---

(١) انظر شأن الدعاء للخطابي ص٥٦ . وانظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٢٢٤).

(٢) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص٣٨٧ .

(٣) يدل الاسم دلالة مطابقة إذا فُسر بجميع مدلوله ، مثل دلالة اسم الرحمن بالتطابق على صفة الرحمة وعلى الذات . انظر بدائع الفوائد لابن القيم (١ / ١٤٣) ، و النهج الأسمى للحمود (١ / ٤٧) .

(٤) يدل الاسم دلالة تضمن إذا فُسر ببعض مدلوله ، مثل دلالة اسم الرحمن بالتضمن على الذات . انظر المرجع السابق .

(٥) يدل الاسم دلالة التزام إذا استدل به على غيره من الأسماء التي يتوقف على وجودها وجود هذا الاسم ، مثل دلالة اسم الرحمن بالالتزام على الحياة والغنى والعلم والقدرة ونحوها . انظر المرجع السابق .

وكمال المحبة تابع لكمال المحبوب في نفسه، والله سبحانه له الكمال المطلق التام في كل وجه ، الذي لا يعتريه توهم نقص أصلا ، ومن هذا شأنه فإن القلوب لا يكون شيء أحب إليها منه)[١] .

وهذه المحبة هي أصل العبودية وهي الدافعة لأداء سائر أنواع العبادة التي على القلب واللسان والجوارح ، وبيان هذا في المطلب التالي .

❁ ❁ ❁

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢ / ١٣٥) .

المطلب الرابع

أثر المحبة في تحقيق العبودية

محبة الله تترجم طاعة وانقياداً له وتتبعاً لمرضاته ومحابه سبحانه وتعالى، قال العز بن عبد السلام : (محبة الله وسيلة إلى أن يعامله العبد معاملة المحب لحبيبه من المبادرة لطاعته والمسارعة لما يرضيه والتحرز من أسباب سخطه والاحتياط لأسباب رضاه)[١] وهو كما قال فالمحبة أصل كل حركة ، وأساس كل عمل[٢]، ولا تنبعث همة العبد للقيام بأنواع العبادة المختلفة كما تنبعث عندما تحركها محبة الله، الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، الذي له الخلق الأمر ، الذي يعطي ويمنع ويحي ويميت ويجير ولا يجار عليه ، صاحب الجلال وواهب الجمال سبحانه وتعالى[٣]. إذ إن هذه المحبة هي أقوى محركات

---

(١) شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام ص٣٥ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ١٩٢) ، وقاعدة في المحبة لابن تيمية ص ١٤ .

(٣) حتى أن المعنيين بالتربية وعلم النفس لاحظوا أثر معرفة الله عز وجل كدافع أصيل للنشاط في العبادة ، وجعلوا استثارة هذه المعرفة وسيلة حفز جيدة للاستقامة والصلاح ، ذكر ذلك الأستاذ في قسم علم النفس بجامعة الإمام محمد بن سعود : د . عبد العزيز النغيمشي في كتابه علم النفس الدعوي، انظر ص ١٣٩ .

القلوب إلى الله عز وجل[١]، كما أنها تبعث في العبد قوة ونشاطاً لخدمة المحبوب وطاعته .فإذا ما صحت المحبة وصدقت ؛ أثمرت عبودية تامة لله عز وجل يشترك في تحقيقها القلب واللسان والجوارح جميعها[*].

ويمكن تلخيص أهم آثار تحقيق المحبة في تحقيق العبودية كلها لله رب العالمين بالآتي :

أولاً : أثر المحبة في تحقيق عبودية القلب :

المحبة هي أصل عبودية القلب ولها عظيم الأثر في تحققه بالعبودية،

---

(١) محركات القلوب إلى الله (ثلاثة هي المحبة والخوف والرجاء ، انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ٩٥) .

(*) واستقصاء هذا على جميع العبادات القلبية ، وجميع العبادات القولية ، وجميع العبادات البدنية الأخرى وكذا على السلوك والأخلاق مما لا يمكن حصره في بحث متواضع كهذا ، لذا فقد تم انتقاء عدد من العبادات التي صلتها بالمحبة أظهر من غيرها – كما بدا لي والله أعلم –للتطبيق عليها في هذا المطلب بينما العبادات التي صلتها أظهر بالخوف ألحقتها بمبحث الخوف وكذا بالنسبة للرجاء . والحق أن هذا الأمر مما يصعب الفصل فيه والتصنيف لأنه من الأمور الإيمانية القلبية التي يصعب تحديد أجزائها ، وبمجموعها يكمل الإيمان ، وإنما جرى الفصل بينها للتمثيل في هذه الدراسة العلمية .

وفيما يلي بعض أمثلة تبين أثر المحبة في تحقيق أنواع من العبادات القلبية :

أ . أثر المحبة في تحقيق الخوف والرجاء [١] :

إذا تمكن حب الله عز وجل من قلب عبده المؤمن أثمر له خوفاً ورجاءاً فإن كل من أحب محبوباً فلابد أن يخاف فواته كما يرجو لقاءه .

كذلك فالمحب يكون في حبه خائفاً متضائلا تحت الهيبة والتعظيم، ولخصوص المحبين مخاوف ليست لغيرهم ، وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها : خوف إعراض الله عنهم ، وتركهم لأنفسهم . وأشد منه خوف الحجاب عن معرفته في الدنيا وعن رؤيته في الآخرة . وأشد منه خوف الإبعاد عنه والطرد من رحمته (فحديث البعد في حق المبعد يشيب سماعه أهل القرب في القرب، إذ إنما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به ولهذا شيبت سورة هود [٢]- المتضمنة للحديث عن

---

(١) سيأتي في المبحثين التاليين تفصيل القول في تحقيق الخوف والرجاء بمعرفة أسماء الله وصفاته باعتبارهما مع المحبة ركائز العبودية الثلاث ، وباعتبارها محركات القلوب إلى تحقيق العبودية .

(٢) كما في الحديث : (شيبتني هود ...) ، الذي أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير ، باب سورة الواقعة (٥ / ٢٠٤) ، وأخرجه الحاكم =

المبعدين [١] – سيد المحبين ﷺ) [٢] .

كذا يكون رجاء المحب لجنته التي هي دليل رضاه ، وأشد منه رجاؤه القرب منه والنظر إلى وجهه الكريم .

فالخوف والرجاء متلازمان ويستحيل انفكاك المحب عنهما ، وإن كان قد يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان [٣] وذلك عندما يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه [٤] ، فلا تكون العبودية الحقة لله تعالى إلا بمحبة مع خوف ورجاء.

= في المستدرك (٢ / ٤٧٦) ، وقال حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه ، ووافقه الذهبي .

(١) كثمود وعاد وأهل مدين الذين قال عنهم الله تعالى : ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ ، ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ ، ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ جزء من الآيات ٦٠ ، ٦٨ ، ٩٥ سورة هود.

(٢) كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا للغزالي ص٨٢ ، بتصرف يسير .

(٣) فإذا غلب الخوف أو الرجاء على العبد مع قوة المحبة كان ذلك دافعاً قوياً للطاعة ، أما إذا غلب أحدهما مع ضعف في المحبة كان ذلك مقعداً عن المبادرة للطاعة ومدعاة للكسل أو اليأس فيكون من هذا شأنه من الظالمين لأنفسهم ، راجع هامش ص ٧٣ – ٧٤ .

(٤) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٤١)

ب . أثر المحبة في تحقيق الرضا بأقدار الله :

إن من آثار محبة الله جل جلاله الرضا بأقداره[(١)] حلوها ومرها ، (فإن المحب يتسلى بمحبوبه عن كل مصيبة يصاب بها دونه ، فإذا سلم له محبوبه لم يبال بما فاته ؛ فلا يجزع على ما ناله لأنه يرى محبوبه عوضا عن كل شيء ، ولا يرى في شيء غيره عوضاً منه ، فكل مصيبة عنده هينة إذا أبقت عليه محبوبه[(٢)])[(٣)] .

---

(١) المقصود بها أقداره الكونية من المصائب والبلايا التي ليس للعبد اختيار في وقوعها عليه ، ولا يشمل الرضا بالقدر الرضا بالمعاصي والذنوب واعتبارها قدراً مقضياً ، فهي وإن كانت كذلك لكنها لاتقع إلا برضا العبد واختياره ، وهو متعبد بالابتعاد عنها وبغضها ، ورضاه بها أمر يسخطه الرب ويعاقب عليه . وهذه المسألة خاض فيها المتكلمون ، وضل كثير منهم فيها ضلالا بعيداً ، وإنما النجاة فيها بالتفريق بين القدر الذي يكون الرضى به موافقة لمحبوب الله تعالى ، وبين القدر الذي يكون الرضا به مخالفة للرب تعالى وموافقة لما يسخطه إذ ليس كل مقدور محبوباً له ، فالمشيئة شيء والمحبة شيء آخر ولا تلازم بينهما ، فقد يشاء مالا يحبه ، ويحب مالا يشاء كونه . انظر تفصيل المسألة وتفنيد قول المخالفين في مدارج السالكين (٢ / ١٩٢) .

(٢) وهذا هو شأن الحب القوي أيا كان المحبوب ففي حب رسول الله ﷺ قالت تلك الأنصارية من بني دينار رضي الله عنها بعد غزوة أحد : (كل مصيبة بعدك جلل) لما سلم رسول الله ﷺ وكان زوجها وأخوها وأبوها قد استشهدوا في المعركة . انظر مختصر سيرة ابن هشام ص١٤٨ .

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٤١٧ .

كذلك فعندما يغلب الحب على قلب العبد وتنصرف همته للفوز بمحبوبه فإنه ينسى ما يصيبه من ألم ولا يلتفت له منشغلا عنه بترقب ما يحب والتجربة والمشاهدة دالة على ذلك[١] .كما أن المحب يقبل كل ما يأتيه من حبيبه ويرضى عنه لاسيما إن كان يعرف ربه ، ويحسن الظن به ، يعرف رحمته وعدله وعظمته وغناه ، وفضله وكرمه ، وعلمه ولطفه ، ولهذا كانت قصص العارفين المحبين في رضاهم بأقدار ربهم أقرب ما تكون إلى الخيال عند من ضعفت بالله معرفتهم ومحبتهم . قال ابن القيم : (من صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها من ضروب المصالح التي لا يحصيها علمه ولا فكرته)[٢] ، ولهذا فإنه يكون دائماً شاكراً حامداً راضياً مهما تقلبت به الأيام ، ومهما اختلفت به الأحوال إذ لا يأتي من الحبيب إلا الخير وإن لم يدركه العبد ، ورحمة الله تتمثل في الممنوع كما تتمثل في الممنوح[٣] .

---

(١) مثل الرجل المنهمك في حرب عدو لحبه للانتصار وانشغاله به تصيبه الجراح لايدري بها ، وإن درى بها لم يجزع بل رضيها وقبلها لأنها في سبيل حصول ما يحب فإن كانت الحرب من أجل من يحب كان رضاه أعظم . انظر كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا للغزالي ص١٠٠ .

(٢) الفوائد لابن القيم ص٨٥ .

(٣) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب (٥ / ٢٩٢٢) .

ج . أثر المحبة في تحقيق الصبر[١] :

الصبر على أقدار الله من المصائب مرتبة أدنى من الرضا بها ، وقد تبين فيما سبق كيف أن العبد المحب لله عز وجل يرضى بالقدر حلوه ومره مستشعراً كونه من عند الله وأن في باطنه من الخير والرحمة ما لا يدركه نظره البشري القاصر فهو إذاً صابر على قدر الله راضٍ عنه سبحانه وتعالى .

أما الصبر على طاعة الله فذاك أمر آخر للعبد المحب منه أعظم الحظ وأوفر النصيب فهو قد وعى التوجيه الرباني : ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥] . ومعرفته بوحدانية ربه عز وجل وتفرده بالأسماء الحسنى والصفات العلا ، فلا شبيه ولا مثيل له سبحانه وتعالى؛ تجعله يصبر على مشقة الطاعة ، بل أنه كلما زادت معرفته وصدق حبه ارتقى عن مجرد الصبر عليها إلى حبها والاستلذاذ بها[٢]، دل على ذلك قول رسول الله ﷺ : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ...)[٣] والثلاث كلها ترجع

---

(١) الصبر أنواع ثلاثة : صبر على أقدار الله وصبر على طاعة الله ، وصلتهما أظهر بالمحبة . والنوع الثالث : صبر عن معاصي الله وصلته بالخوف أظهر .

(٢) للتوسع انظر ما ذكره ابن القيم من قصص وأقوال الصالحين التي تدل على تلذذهم بالطاعات ، طريق الهجرتين ص ٤١٦ .

(٣) سبق تخريجه ص٢٥٤ .

لحب الله عز وجل. و (معنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات)[١].

فالعبد الذي يحب الله سبحانه وتعالى (يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ، ولا يزال مواظباً على طاعة اله ، ومتقرباً إليه بالنوافل)[٢] من بعد الفرائض .

د . أثر المحبة في تحقيق الولاء والبراء :

للمحبة أثر بالغ في الولاء والبراء ، بل (أصل الموالاة المحبة ، كما أن أصل المعاداة البغض)[٣]، والمحب من حبه لحبيبه ؛يحب كل من يحبه ويواليهم وينصرهم ،كما يبغض أعداءه ويتبرأ منهم . فحب الشيء وإرادته يستلزم بغض ضده وكراهته والمحبة الكاملة تجب معها الموافقة للمحبوب في محابه ، قال ابن تيمية : (لا تكون محبة قط إلا وفيها ذلك بحسب قوتها وضعفها ، فإن المحبة توجب الدنو من المحبوب ومحابه ، والبعد عن مكروهاته ، ومتى كان مع المحبة نبذ ما يبغضه المحبوب فإنها تكون تامة)[٤] . ومعلوم أن الإيمان بالله تعالى يستلزم

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١ / ٨٤)

(٢) المحبة والشوق والأنس والرضا للغزالي ص٧٤ .

(٣) قاعدة في المحبة لابن تيمية ص١٩٨ .

(٤) المرجع السابق ص٨٩.

مودته ومحبته ، ومحبة رسوله ﷺ وهذه المحبة تتنافى مع موادة من عاداه وحاده[١] ، فالمؤمنون الصادقون يحررون ولاءهم وبراءهم فيحبون جملة من آمن بالله ورسوله وقام بوظائف الإسلام عملا واعتقاداً ، ويحبون من وجه من معهم خيراً على قدر ما معهم منه ، ويبغضونهم على قدر ما معهم من الشر . وكذا يبغضون جملة من كفر أو ألحد أو صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله[٢] ، لا اعتبار في حبهم وبغضهم لصلات قربى أو هوى نفس وإنما هو الحب في الله والبغض فيه سبحانه وتعالى .

وقد ضرب أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعدهم سلف الأمة من صحابة رسول الله ﷺ أمثلة عليا في الولاء لله ورسوله والمؤمنين ، والبراءة من أعدائه مهما كانت صلات قرابتهم أو مبلغ مودتهم قبل اعتناق الدين الحق ، وفي قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه[٣] ، وفي قصص الصحابة رضي الله عنهم في بدر وغيرها ،

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية(١٠ /٧٥٢) .

(٢) انظر إرشاد الطالب لابن سحمان ص١٣ ، والولاء والبراء للقحطاني ص١٣٤ .

(٣) حكى لنا ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)** ﴾ [الزخرف : ٢٦، ٢٧] .

أصدق الشواهد على ذلك[١]، ولهذا أشاد الله تعالى بهذه المواقف الصادقة بقوله: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ثانيا: أثر المحبة في تحقيق عبودية اللسان:

أ. أثر المحبة في دوام الذكر:

كلما قويت في القلب جعلت العبد دائم اللهج بذكر ربه عز وجل، حامداً شاكراً، مهللا مكبراً، مثنياً عليه سبحانه وتعالى بما هو أهله، حتى يجري الذكر على لسانه من غير كلفة[٢]. وقد ضرب أئمة الهدى من أنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ومن بعدهم الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أروع الأمثلة في دوام ذكر الله عز وجل من: حمد وثناء، وتكبير وتهليل وتسبيح، فقد كانوا يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم[٣]، ذلك أن محبتهم لله عز وجل كانت أقوى محبة.

---

(١) انظر للفائدة السيرة النبوية لأبو شهبة (٢ / ١٤٨)، وللاستزادة انظر فصل بعنوان " أسوة حسنة في الولاء والبراء من الأمم الماضية" في كتاب الولاء والبراء للقحطاني ص٥٤١ .

(٢) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٤٤٤ .

(٣) بصيغ الذكر المشروعة لا كما ابتدع أهل البدع من المتصوفة وغيرهم من الذكر باسم الله المفرد "الله"، أو بضمير الغائب "هو" ويظلون يرددونها =

والمتأمل في الهدي النبوي في اليوم والليلة يرى المكانة التي يحتلها الذكر في حياة العبد المحب لربه جل جلاله فمنذ أن يفتح العبد عينيه مستيقظاً من نومه يردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، (فأول مايجري على لسانه ذكر محبوبه والتوجه إليه واستعطافه)[١] ، يحمد ربه فرحاً بالحياة ليعبده ويذكره ويعبر عن ذلك بقوله: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[٢]. وهكذا في سائر يومه وليلته يذكر ربه عز وجل مع كل حركة وسكنة ، ومع كل أكلة وشربة ، ومع كل نومة وقومة ، فلسانه دوماً رطب بذكر الله .

ب . أثر المحبة في قراءة القرآن :

للمحبين مع كلام الله محبوبهم الحق سبحانه وتعالى شأن وأي شأن ؛ قال الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يخبر التابعين عن السابقين : (إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل ، ويتفقدونها في النهار)[٣] ، فصلتهم بالقرآن قوية ، وتلاوتهم له

= آلاف المرات حتى تعتريهم أحوال شيطانية يسمونها فناء ويظنونها بجهلهم كمالا في العبودية !! انظر هامش ص٢٦٩ من هذه الرسالة .

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص٢٦٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح ص١٢١٧ .

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٢٨ .

دائمة آناء الليل وأطراف النهار ، يأتمرون بأمره ويقفون عند نهيه ويتعظون بوعظه. رفيق قيامهم في الليل، يجلو حزنهم، وينير قلوبهم، ويعطر ألسنتهم، إذ هم فرحون بفضل الله عليهم بإنزال هذا القرآن العظيم، فرحون بلطفه تعالى في إيصال معاني كلامه العظيم إلى أفهامهم فيستحضرون كلما قرأوا فيه عظمة المتكلم سبحانه وتعالى، ويتدبرون كلامه، فيقبلون أكثر على قراءته آناء الليل وأطراف النهار[1].

ثالثاً : أثر المحبة في تحقيق عبودية الجوارح :

لا شك أن العبادات الظاهرة على سائر الجوارح دليل على وجود محبة الله عز وجل في قلب العبد ، إذ إن محبته سبحانه وتعالى هي أصل أعمال الإيمان كلها وهي الباعثة على الطاعات كلها ، والطاعة والاتباع هما دليل صدقها[2] ولهذا قال تعالى : ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

---

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين للقاسمي ص٦٤ .

(٢) ولا يعني هذا أن مطلق المعاصي تنافي المحبة ، وأن الذي يعصي الله لا يحبه سبحانه وتعالى وإنما الصحيح أن المعصية تنافي كمال المحبة وسببها أن المعرفة تضعف، والشهوة تغلب فيقع العبد في المعصية ويدل على هذا حديث البخاري عن الرجل الذي كان يشرب الخمر فيؤتى به إلى الرسول ﷺ فيحده إلى أن أتي به يوما فحده، فلعنه رجل وقال : ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ (لا تلعنه ، فإنه يحب الله ورسوله)فلم تخرجه المعصية عن مطلق المحبة وإن كانت تدل على نقصان كمالها الواجب. انظر قاعدة في المحبة لابن تيمية ص٧٢ ، وتهذيب موعظة المؤمنين للقاسمي ص٤١٨ .

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، (قال بعض السلف : ادعى قوم محبة الله ، فأنزل الله آية المحنة)[١] يمتحن بها ادعاءهم ويختبره ، فالصادق من أطاع واتبع ، فـ(إن المحبة يدعيها كل أحد ، وما أسهل الدعوى وأعز المعنى)[٢] .

وفيما يلي بعض أمثلة تبيّن أثر المحبة في تحقيق أنواع من عبودية الجوارح :

أ . أثر المحبة في تحقيق الصلاة :

العبد المحب لربه عز وجل يسرع لتلبية النداء مردداً مع المؤذن (الله أكبر، الله أكبر) كما كان إمام المحبين العابدين محمد ﷺ الذي أخبر عنه أهل بيته بقولهم : (كان في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة)[٣] . يحسن طهوره ووضوءه ، ويأخذ زينته للقاء محبوبه عز وجل ثم هو يلتذ بمناجاته وتلاوة كلامه جل جلاله .

ويحب تكرار اللقاء ؛ فيقبل على النوافل فرحاً بوقوفه بين يدي ربه سبحانه وتعالى ولهذا كان المحبون الصادقون يقضون ما فاتهم من

---

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٣ / ٢٣) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب كيف يكون الرجل في أهله ص١١٨٦ .

النوافل إن ناموا عنها أو شُغلوا[١] فقد جاء في سيرة المصطفى ﷺ أنه صلى بعد العصر ركعتين وليس بعد العصر سنة مأثورة عنه ، فسألته أم سلمة رضي الله عنها عن ذلك فقال : (سألت عن الركعتين بعد العصر ، إنه أتاني أناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم ، فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان)[٢] ، فكانت الركعتان قضاء لسنة الظهر التي شُغل عنها ﷺ بلقاء الوفد .

ب. أثر المحبة في تحقيق الجهاد والدعوة إلى الله عز وجل :

المحب لله عز وجل يحب اجتلاب الخلق كلهم إليه ؛فلا يألو جهداً في الدعوة إلى سبيل مرضاته وتعريف العباد به وبذل كل غالٍ في

---

(١) يُسنُّ قضاء الفائت من الوتر والسنن الرواتب ، و يجوز في الصحيح قضاء السنة الراتبة للظهر بعد العصر ؛ لأن النبي ﷺ فعله ، كما يجوز قضاء سنة الفجر بعد صلاة الفجر ، واختار الإمام أحمد أن يقضيهما من الضحى خروجاً من الخلاف لكون هذه الأوقات أوقات نهي . انظر حاشية الروض المربع لعبد الرحمن الحنبلي (٢ / ٢١٥) ، و الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (١ / ٥٢٧) (٢ /١٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب وفد عبد القيس ص٨٢٦. وأخرجه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب معرفة الركعتين اللتين يصليهما النبي ﷺ بعد العصر ص٣٢٤ .

سبيله ، ولهذا وصف الله الذين يحبهم ويحبونه فقال : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤] فمن لم يجب الدعوة باللين والرفق ، احتاج إلى الدعوة بالشدة والغلظة[١] .

وهكذا فللمحبة أثر واضح قوي على ذروة سنام الدين الجهاد في سبيل الله[٢] إذ إن المجاهدين عرفوا عظمة إلههم عز وجل ، وعظيم حقه، كما عرفوا جزيل عطائه ؛ فامتلأت قلوبهم بمحبته وباعوا نفوسهم له بيعة أخبرنا عنها الله عز وجل بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١]، فقدموا ببيعتهم هذه أصدق برهان على المحبة التي تُرخص كل شيء سوى المحبوب وما يحبه المحبوب سبحانه وتعالى فـ(الجهاد دليل المحبة الكاملة)[٣] قال

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٣٦١ .

(٢) بينما تدعي طوائف من المتصوفة والمرجئة حب الله تعالى ومع ذلك يعطلون هذه العبادة العظيمة ! والحق أن ترك الجهاد دليل النفاق وسببه عدم المحبة التامة ، انظر قاعدة في المحبة لابن تيمية ص٩٣ ، وانظر ردّ العلياني في كتابه أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية على هذه الطوائف ص ٤٦٥ وما بعدها .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٥٧) .

ابن تيمية : (الجهاد من موجب محبة الله ورسوله ، فإن مقصود الجهاد تحصيل ما أحبه الله ، ودفع ما أبغضه الله)[١] .

وشواهد الحب الصادق في جهاد أنبياء الله -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- لرفعة دين الله ، وعلى رأسهم محمد ﷺ في غزواته وسراياه التي لم تكن إلا لإعلاء كلمة الله ، وكذا جهاد الصحابة والتابعين والصالحين على مدى الزمان أمر تزخر به مؤلفات السير فتبرز أمام المحبين القدوة في صدق الحب[٢] .

وكذلك فللمحبة أعظم الأثر في تحقيق الصيام لله ، والحج له سبحانه ، والزكاة اتباعاً لأمره عز وجل وغيرها من العبادات التي إن قام بها العبد بدافع من محبته لربه سبحانه وتعالى كانت أكمل وأفضل . فالمحبة دافع على منتهى الاجتهاد في الطاعة ، والعبد المحب يترك لذيذ النوم والراحة لينتصب قائماً يناجي ربه ، ويترك طعامه وشرابه وشهوته صائماً من أجل طاعة ربه عز وجل ، ويترك أهله وداره حاجاً ملبياً نداء ربه جل جلاله ، وهو إذا فتر أو كسل ذكر ربه وطالع صفات كماله وجلاله فما تلبث أن تتحرك عزيمته ، وتنهض به همته ليتقرب إلى الله

---

(١) قاعدة في المحبة لابن تيمية ص٩٣ .

(٢) انظر أمثلة ذلك في فصل " صور جهادية من الرعيل الأول " من كتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية للعلياني ص٢٩٠ ، جمع فيها حشداً من الصور التي ذكرت متفرقة في كتب السيرة .

بأنواع الطاعات والقربات . قال ابن القيم : (إن المحب يتلذذ بخدمة محبوبه وتصرفه في طاعته ، وكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل فليزن العبد إيمانه ومحبته لله بهذا الميزان)[١]، ولا شك أن العبادة التي يقوم بها العبد بدافع المحبة فيها قوة ونشاط ، وصدق من قال : (من عرف الله أحبه ، ومن أحبه أطاعه)[٢].

والخلاصة أنه إذا غرست شجرة المحبة في القلب ، وسقيت بماء المعرفة والإخلاص وصدّقت بمتابعة الحبيب أثمرت أنواع العبادات وآتت أكلها كل حين بإذن ربها[٣]، وهذا أمر مشاهد مجرب يجده العبد في نفسه إذا أكثر من مطالعة الأسماء والصفات ، وتأمل في أنواع المخلوقات وأصناف النعم والآلاء ؛ فيُحب ربه حباً يأخذ بمجامع قلبه ويدفعه للاجتهاد في العبادة والطلب لرضا الله عنه ، كما يشتاق إلى لقائه ، فتعلو همته لتتبع محابه ودوام اللهج بذكره وبذلك يكون قد خطا خطوات كبرى في طريق تحقيق العبودية .

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٤١٦ .

(٢) القول لعتبة بن غلام انظر نزهة الفضلاء لمحمد موسى (١ / ٥٦٤).

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٣ / ٩) .

فإن انضم لدافع المحبة دافع الخوف والرجاء كانت العبودية أكمل والاستقامة آكد[١]، وفي المبحثين التاليين تفصيل هذا الأمر وبيانه.

❁ ❁ ❁

(١) لأن المحبة وحدها قد تشطح بصاحبها ولهذا قال بعض السلف: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ) وأهل السنة والجماعة يعبدونه بالحب والخوف والرجاء انظر العبودية ص٤٦ .



المبحث الثاني

أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق الخوف

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى الخوف وبيان منزلته من العبودية .

المطلب الثاني : في بيان الأسباب الباعثة على الخوف.

المطلب الثالث : في بيان بعض الأسماء والصفات الباعثة على الخوف .

المطلب الرابع : أثر الخوف في تحقيق العبودية .

المطلب الأول

معنى الخوف وبيان منزلته من العبودية

معنى الخوف :

الخوف في اللغة : الفزع ، وضده الأمن [١] .

وفُسر بأنه انفعال نفساني يعرض عن توقع حلول مكروه أو فوات محبوب [٢]، وهذا التوقع يكون لأمر في مستقبل الزمان [٣] .

كما فُسر بالأثر الناتج عن هذا الانفعال في القلب كما في قول الغزالي [٤] : الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (٩ / ٩٩) .

(٢) انظر حدائق الحقائق للرازي ص٢٤ . وشرح ثلاثة الأصول للعثيمين ص٥٦ .

(٣)انظر مفردات ألفاظ القرآن ص٣٠٣ . والمعجم الفلسفي لصليبا (١/٥٤٥).

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد حجة الإسلام، من أسرة صالحة ، اشتغل بالفقه والتصوف واعتزل للعبادة والتدريس ، ناظر وجادل وبرع في علم الكلام ، له مؤلفات كثيرة في =

مكروه في الاستقبال[١] .

وفسر كذلك بلازمه من العمل كما في قول ابن تيمية : (الخوف المحمود[٢] ما حجزك عن محارم الله)[٣] .

وقد ذكر العلماء للخوف أسماء أخرى كالمخافة والخشية ، والإشفاق ، والرعب، والفزع ، والذعر ، والرهبة والهيبة والوجل والروع والمهابة والتوجس[٤] . بينما بين بعضهم فروقاً يسيرة بينها :

فالخشية أخص من الخوف ، فهي خوف مقرون بمعرفة ولهذا قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨] .

والرهبة : مخافة مع تحرز واضطراب وإمعان في الهرب من المكروه ، والهيبة خوف مقارن للتعظيم والإجلال وأكثر ما يكون مع المحبة

= التصوف والفلسفة ، وكتب في آخر حياته عن ذم الكلام كتابه المنقذ من الضلال ، توفي سنة ٥٠٥هـ ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤٣/٩١) ، والأعلام للزركلي (٧ / ٢٢) .

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤/١٣٥) ، والتعريفات ص١٠٧ .

(٢) ينبه بقيد المحمود على وجود خوف مذموم وهو الموصل للقنوط واليأس .

(٣) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين نقلا عن شيخ الإسلام (١ / ٥١٢). وكذا ذكر نحوه الراغب في المفردات ص٣٠٣ .

(٤) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٦٣) . والمعجم الفلسفي لصليبا (١ /٥٢٨) .

والمعرفة[١] . والإشفاق نهاية الخوف[٢]، والوجل مبدؤه[٣] .

والألفاظ التي جاء بها القرآن الكريم من الأسماء الدالة على معنى الخوف من الله عز وجل هي : الخشية ، والرهبة والوجل . ولوازمه من: الإشفاق والخشوع والإخبات .

والخوف التعبدي المقصود هنا والذي يكمل به تحقيق العبودية هو: عبادة قلبية ، وانفعال إيماني يحصل من المعرفة بجلال الله وعظمته وقوته ، وسطوته وانتقامه ، وينشأ عنه استقامة وتقوى[٤] ، فهو (يقتضي فعل كل مأمور وترك كل محظور)[٥] ، وليس هو مراداً لذاته، وإنما المراد لازمه وأثره الناتج عنه ، وهو : الاستقامة ودوام الطاعة[٦]، (ولذلك قيل : لا يعد خائفًا من لم يكن للذنوب

---

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٢٨٣ ، ٣٦٦ . ومدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥١٢) .

(٢) انظر التفسير المنير للزحيلي (١٨ / ٦٣) .

(٣) انظر حدائق الحقائق للرازي ص٤٤ .

(٤) انظر دعوة التوحيد لهراس ص٤٢ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري (٢٢ / ١٣٣) وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٤ / ١٤٥) .

(٦) انظر التفسير المنير للزحيلي (١٨ / ٦٣) .

تاركًا)[١] . وعلى هذا فالخوف من الله تعالى يختلف عن أي خوف آخر بأنه يوجب هروباً إليه سبحانه وتعالى، لا هروباً منه ، كما أنه مخافة مقرونة بحلاوة وطمأنينة وسكينة ومحبة وهذا لا يكون إلا في الخوف منه عز وجل[٢] .

ومنزلة الخوف من العبودية عظيمة . وما ورد في فضيلته والحث عليه أكثر من أن يحصر في مثل هذا الموضع[٣] ، ويمكن إجمالها في نقطتين مهمتين :

أولاً : أن الخوف من الله هو أحد ركائز العبودية الثلاث التي لا تتم العبودية ولا تتحقق إلا بها ، فإن تحققت أثمرت أنواعاً من عبادات الظاهر والباطن . فهو دافع قوي للقيام بكثير من أنواع العبادة[٤] ، وقد

---

(١) ذكره الراغب الأصفهاني في المفردات ولم ينسبه لأحد ، انظر ص٣٠٣ .

(٢) إلا خوف المجرمين منه في الآخرة فإنه مقرون بوحشة ونفرة . انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٦٦ .

(٣) فكل ما ورد في التحذير من الأمن من مكر الله عز وجل هو ثناء على الخوف منه لأن مذمة الشيء ثناء على ضده ، وكل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو دليل على فضيلة الخوف أيضا إذ البكاء دليل وجود الخوف في القلب بل كل ما ورد في فضيلة العلم فهو دليل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة للعلم ، هذا بالإضافة لما ورد مباشرة في فضل الخوف وما في معناه . انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٤٠) .

(٤) أفرد لهذا الموضوع مطلبا مستقلا في نهاية مبحث تحقيق الخوف .

أثنى الله على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالخوف والرهبة منه سبحانه وتعالى فقال : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثانيًا : الخوف من الله عز وجل شرط في الإيمان ولازم من لوازمه وموجباته[١] ، قال عز وجل : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]. فـ(الخوف علامة صحة الإيمان وترحّله من القلب علامة ترحّل الإيمان منه)[٢].

وهو من عبادات القلوب التي لا تكون إلا لله عز وجل ، وصرفها لغيره شرك أكبر[٣]. إذ إنه (من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه ، ونفاذ مشيئته في خلقه)[٤] و(لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه)[٥].

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٦٤ . وقد رد ابن القيم -يرحمه الله- فيه على المتصوفة الذين يزعمون أن الخوف منزلة من منازل العوام ، أما الخواص فلا يعبدون ربهم إلا بالحب !!

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥١٥) .

(٣) ولا يدخل في هذا الخوف الطبعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق إذا انعقدت أسبابه ، فهذا لا يلام عليه الإنسان إلا أن يدفعه لترك واجب أو فعل حرام . انظر شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ص٥٧ .

(٤) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٥١٠) .

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٤٠) .

فالمعرفة سبب رئيس في وجود الخوف في القلب كما سيظهر في المطلب التالي الذي يبيّن الأسباب الباعثة على الخوف .

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني

في بيان الأسباب الباعثة على تحقيق الخوف

أصل الخوف موجود في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل إذ إن معرفة عظمة الإله وسطوته وجبروته مما فطرت عليه النفوس . والخوف الناشئ عن هذه المعرفة خوف طبعي تظهر آثاره عندما تحدث تغيرات طبيعية في البر والبحر من رياح أو زلازل ونحوها ؛ فتذكر بقدرة الإله وتبعث في القلوب الخوف ، فيلجأ كثير من العباد لطلب مرضاة الله بدعاء وضراعة واستغاثة [١] . وهذا الخوف يشترك فيه مع المسلمين كثير من الكفرة والمشركين وليس هو الخوف التعبدي المقصود ، ولهذا لم يُمدح منهم بل كان حجة عليهم ، وإنما الخوف الذي يحقق

---

(١) ومن المشاهد أن هذا الخوف الفطري وما يتبعه من لجوء وضراعة قد ضعف في عصر الماديات الحديث لانحراف فطر كثير من الناس ولقلة العلماء المسلمين في علوم الطبيعة الذين يربطون الأسباب بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى ، وفي المقابل كثرة علماء الطبيعة ممن يقفون عند الأسباب المادية فقط ويقطعون الصلة بين الأسباب ومسببها سبحانه وتعالى، سواء كانوا من المسلمين الغافلين أو من الكفرة والمشركين .

العبودية هو الذي يُؤثّر في العمل فيدفع للطاعة ويمنع عن المعصية ، وهو أنواع[١] :

أولاً : الخوف القاصر : وهو الذي يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن أو عند مشاهدة سبب هائل ، فإذا غاب ذلك عن الحس رجع القلب إلى الغفلة . وهو قليل الجدوى ضعيف النفع إلا أنه دليل وجود أصل الخوف في القلب وهو فرض على كل أحد[٢] . وهكذا خوف أكثر الناس .

ثانيًا : الخوف المعتدل وهو الذي يسكن القلب الذي عمرته معرفة الله عز وجل . ويورث صاحبه الحذر والورع والتقوى ويدفعه للمجاهدة والعبادة فيكون بذلك موصلا إلى رضوان الله سبحانه وتعالى . وهذا هو الخوف الذي إذا حققه العبد ارتقى في درجات العبودية[٣] حتى يكون من المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه .

---

(١) وهو تقسيم مبناه النظر في تأثيره على العمل ، ولغير هذا الاعتبار قسم العلماء الخوف إلى أنواع أخرى ، انظر على سبيل المثال إغاثة اللهفان لابن القيم ص١٨٨ وشرح ثلاثة الأصول للعثيمين ص٥٧ .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥١١) .

(٣) أما القول بسقوط الخوف عن الخواص وانقلاب الوعيد وعداً ، والعذاب عذباً !! فهو كما قال ابن القيم من الشطحات ورعونات النفس ، مع أن العبد عند غلبة المحبة على قلبه قد يستعذب البلاء لاستحضار أنه من عند الله وتذكر حلاوة الأجر إلا أنه يظل يطلب العافية ويخشى ربه عز وجل . =

ثالثًا : الخوف المفرط وهو : الذي يجاوز الحد ؛ فيُقعد صاحبه عن عمارة الأرض ، ويمنعه من العمل ، أو يخرج به إلى القنوط واليأس، ومنه ما يورث صاحبه المرض والضعف وقد يصل به إلى الوله والدهشة وزوال العقل أو الموت[١] .

= فالحق أن خوف الخاصة من السابقين بالخيرات أعظم من خوف العامة فكلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد ؛ لأن معرفته بالله أكثر ، ولأنه يطالب بما لا يطالب به غيره ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره . انظر للتوسع طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٦٥ وما بعدها ، وكذا فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٧٩) .

(١) وتزخر كثير من كتب التصوف والرقائق بقصص من فطر الخوف قلوبهم فماتوا ، ومن زال عقلهم أو يزول عنهم أحياناً فيصيحون ويزعقون ويغشى عليهم ونحو ذلك مما لم يكن شأن أخوف العباد من الله وأخشاهم له محمد ﷺ وصحابته رضي الله عنهم والتابعون وتابعوهم من سلف الأمة رضي الله عنهم، وهو إفراط في الخوف لا يمدح بل حال الكمّل من الخائفين العمل والقوة مع الخوف ، ولم يكن من مظاهر الخوف عليهم إلا دمع العين وقشعريرة الجلد وزيادة الإيمان والعمل قال تعالى في وصفهم : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا** ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر: ٢٣] .

وتتعدد الأمور التي من أجلها يخاف العباد ، فمن الخائفين من يخاف معصيته وجنايته ، ومنهم من يخاف سلب الإيمان وسوء الخاتمة، ومنهم من يخاف حبوط عمله، ومنهم من يخشى الحجاب عن ربه ، ويخافه لذاته وعظمة صفاته ، وهذا أعلى رتبة ممن سبق ، ويبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين[١] .

ولابد أن يؤثر الخوف على العمل ، وهو درجات بحسب ظهور أثره ؛ فإن لم يحمل إلا على العفة فله درجة ، فإذا أثمر الورع فهو أعلى، وأعلى درجاته أن يثمر درجة المحسنين الصديقين الذين يراقبون الله في ظاهرهم وباطنهم ، مع بقاء الصحة والعقل . أما إن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فيجب أن يداوى بأسباب الرجاء .

وعلى هذا فتحقيق الخوف هو الاعتدال فيه لا تفريط ولا إفراط ، وكل ما يراد لأمر ؛ فالمحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه ، وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم[٢] .

أما سببه فهو المعرفة إذ (الخوف مسبوق بالشعور والعلم ، فمحال خوف الإنسان مما لا شعور له به)[٣] ، وهذا الشعور الذي يسبق

---

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٣٨) ، وطريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٦٥ .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥١٥) .

الخوف ومنه يتولد وينبعث في القلب يرجع إلى معرفتين : معرفة تتعلق بالله عز وجل وأفعاله . ومعرفة تتعلق بالعبد وتقصيره عن أداء حق الله، وذنبه وجنايته . ويجمعهما معرفة الأسماء والصفات إذ بها نعرف الله سبحانه وتعالى كما عرفنا بنفسه ، ومعرفتنا له تعرفنا بأنفسنا وتقصيرنا في حقه جل جلاله.

ومن هنا يمكن القول بأن الأسباب التي تثير الخوف من الله في قلوب العباد هي :

أولاً : معرفة عظمة ذاته ، وجلالة أوصافه الدالة على قهره وقدرته ومطلق إرادته يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد ، وكلما كان العبد به أعرف كانت هيبته والخوف منه في قلبه أعظم[١]، و(نقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به)[٢].

ثانيًا : معرفة إحاطة علمه ورقابته عز وجل ، فلا يغيب عن علمه شيء من أحوال الظاهر وأحوال الباطن ، ولا يحول دونه زمان ولا مكان ، بل كل ذلك في علم الله سواء ؛ فهو يعلم ما يفعل العباد بجوارحهم ، وما ينطقون بألسنتهم ، وما تنطوي عليه دخيلة أنفسهم من نوايا ومشاعر، يرقبهم بعينه التي لا تنام ، ويسمعهم بسمعه الذي وسع الأصوات ، لا يلهيه علم عن علم ، ولا يشغله سمع عن سمع سبحانه جل شأنه.

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥١٦) .

(٢) المرجع السابق ص٣٦٥ .

ثالثًا : معرفة عدله وعذابه وشدة انتقامه من أعدائه ، ومن مقتضيات هذه المعرفة معرفته بالدار الآخرة وما فيها من البعث والمحاسبة ، وما أعد الله فيها من النعيم ومن النكال . لأن من عرف ما أعده للمحسنين وما أعده للمجرمين لا ينفك عنه الخوف مطلقًا إلا عندما ينادى بـ ﴿ **يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف : ٦٨] فيدخل الجنة وينعم بالنظر إلى وجه ربه سبحانه وتعالى(١) ، أما قبل ذلك فقد تضعف نفسه أمام شهواتها ، وقد يقلّب الله قلبه على غير الطاعة ، لذا يخاف حصول المكروه من عذاب الله وناره ، أو فوات المحبوب من لقائه وجنته والنظر إلى وجهه الكريم . قال ابن القيم : (من استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزائها ، وذكر المعصية والتوعد عليها وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح هاج في قلبه من الخوف مالا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو)(٢) ، ولن ينجو إلا إذا بشّر بالقبول من الرحمن سبحانه وتعالى .

---

(١) ويبقى منه الإجلال والهيبة والتعظيم لأنها لم تزل متعلقة بنفس الذات ، وهي موجودة في دار النعيم ، أما الخوف فإنه زال لأنه وسيلة إلى توفية العبودية والقيام بالأمر . والوسيلة تزول عند حصول الغاية ، وزوالها لا يدل على نقصانها فإذا كانت الغاية لا كمال للعبد بدونها فالوسيلة إليها كذلك . انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٧٩ .

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٦٥ .

والعبد إذا طالع أسماء الله وصفاته الدالة على هذه المعاني وتأمل معانيها بقلب حي أثمرت له خشية وهيبة لا محالة ، وإن كان من المصطفين الأخيار[١]، فهذا سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ كان أكثر العباد خشية لله ، وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال : (لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية)[٢]. فكيف يكون حال العبد كثير الغفلة ،كثير الوقوع في الذنب ؟ لاشك أن معرفته بالأسماء والصفات تثمر له خوفًا يوقظه من غفلته ويدفعه للتوبة والمسارعة للعمل الصالح .

والمبحث التالي يلقي الضوء على معاني بعض الأسماء والصفات التي تحيي هذه العبادة في القلب .



(١) أورد ابن القيم أجوبة أربعة على السؤال عن وجه وجود الخوف مع الطاعة والعمل الصالح والاستقامة فيها بيان وتفصيل لهذا الأمر ، انظر طريق الهجرتين ص ٣٦٨ وما بعدها .

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٨ .

المطلب الثالث

في بيان بعض الأسماء والصفات الباعثة على الخوف

الأسماء والصفات التي يثمر التفكر في معانيها للعبد خوفاً وخشية ، وإشفاقاً ورهبة كثيرة ، وفيما يلي بعضها بحسب ما يظهر من ارتباط معانيها بهذه العبادة العظيمة ليكون في مطالعة معانيها والتفكر في بعض آثارها إحياء للخوف والخشية من الله عز وجل .

ويمكن تمييزها إلى مجموعات ثلاث بحسب دلالتها على الأمور التي تبعث الخوف منه سبحانه وتعالى في قلوب العباد :

أولاً : بعض الأسماء والصفات الدالة على قدرته ومطلق إرادته عز وجل :

فالإرادة والقدرة من صفات ذاته سبحانه وتعالى ويدل عليهما كثير من أسمائه الحسنى ومنها : القوي ، والمتين ، والقادر والمقتدر والقدير ، والقاهر والقهار ، والعزيز سبحانه وتعالى .

فالقوي والمتين اسمان يدلان على أكمل القوة التي هي ليست لأحد إلا لله عز وجل فـ(القوة تدل على القدرة التامة ، والمتانة تدل

على شدة القوة ، والله (من حيث أنه بالغ القدرة تامها قوي ، ومن حيث أنه شديد القوة متين)[١] .

وكذلك يأتي (القوي بمعنى القادر . فمن قوي على شيء فقد قدر عليه ، ويكون معناه : التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال . . . والمتين: الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته ولا تلحقه في أفعاله مشقة ولا يمسه لغوب)[٢] .كذلك يدل اسمه القوي على أنه (المتمكن من كل مراد)[٣] ، ويدل اسمه المتين على نفي النهاية في القدرة وتعميم المقدورات[٤] .

فالله سبحانه وتعالى هو القوي المتين (الذي تتصاغر كل قوة أمام حضرته ، ويتضاءل كل عظيم عند ذكر عظمته، فالملائكة العظام الأقوياء يخشون سطوته ، ويرتعدون من هيبته . . . غالب لا يغلب ، يجير ولا يجار عليه فقوته فوق كل قوة)[٥] .

وآثار قوته في الكون والحياة كثيرة تشمل الوجود كله فهذا الكون المترامي الأطراف الذي تسبح فيه المجرات العظيمة والأفلاك الكثيرة

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص١٢٩ .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص٧٧ .

(٣) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ٣٤١) .

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) موسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي (١ / ٢٩١) .

بدقة ونظام[1] ؛ يحفظ نظامها ويمسكها أن تزول القوي المتين سبحانه وتعالى .

ومن مظاهر قوته إهلاكه السابقين من الكافرين المتجبرين ؛ فهذه عاد بما لها من القوة والبطش لما طغت أرسل عليها القوي المتين ريحاً صرصراً عاتية فما تركتهم إلا وقد أصبحوا كأعجاز نخلٍ خاوية . وهذه ثمود أهلكهم بذنبهم بصيحة جعلتهم في دارهم جاثمين ، فما أغنت عنهم قوتهم شيئاً من القوي المتين . وتلك المؤتفكة قُلبت بهم أرضهم عاليها سافلها بقوة القوي المتين سبحانه وتعالى . قال تعالى : ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنفال : ٥٢] .

كذلك من آثار قوته عز وجل ما يراه المتأمل من نصره سبحانه وتعالى لرسله والمؤمنين برغم عدم تكافؤ القوة المادية غالبًا إلا أن قوة القوي المتين فوق كل القوى ، وقد قال : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج : ٤٠] ، وقال : ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة : ٢١] .

---

(١) حتى أن علماء الفلك أصبحوا يحسبون مواقع الكواكب والنجوم في الماضي والمستقبل ، بل ويحددون زمان وقوع الخسوف والكسوف بالدقيقة والثانية ، وكم في هذا من دليل باهر على قوة الإله وقدرته مما يملأ القلوب خوفاً رهبة ، ولا يزيدها هذا العلم إلا مزيداً من الخوف منه عز وجل ؛ إذ كما أنه قادر على تسييرها بهذا النظام ، فإنه قادر على أن يخلخل نظامها ويفرط عقدها ، وأي شيء أخوف من مجرد تخيل هذا الأمر المريع .

ومن أسمائه الدالة على قدرته ومطلق إرادته : **القادر والمقتدر والقدير** ومعانيها ترجع إلى أنه سبحانه وتعالى (الذي لا يرده شيء عن المراد)[١] فهو ذو القدرة سبحانه وتعالى . ومعنى القادر: (الذي لا يعجزه شيء إيجادا أو إعداماً أو تغييراً أو إعادة)[٢]، والمقتدر أكثر مبالغة[٣]، ومعناه : (التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة)[٤].

وفي هذه الأسماء دلالة على (النفوذ والسلطان ، والتصرف التام في سائر الأكوان ، لا يعارضه منازع ، ولا يخرج عن قبضته مخالف أو طائع)[٥] .

ومن الصفات التي تتضمنها دلالة هذه الأسماء الكريمة صفات القبض والبسط ، والخفض والرفع والإعزاز والإذلال بمطلق الإرادة . وكذلك تقليب القلوب وتصريفها كيف يشاء سبحانه .فالله عز وجل قادر على ما يشاء ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾**﴾ [يس: ٨٢].

---

(١) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ٣٤١) .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود (٢ / ١٦١)

(٣) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص١٣٤ .

(٤) شأن الدعاء للخطابي ص ٨٦. وانظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٥٩ .

(٥) موسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي (١ / ٣٥٤) .

وآثار قدرة الله في الكون والحياة والخلق والأمر أكبر من أن تحيط به عبارة أو يبلغه وصف ؛ فبقدرته خلق الكون وما فيه ، وبقدرته أمسك السموات أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبقدرته خلق الليل والنهار ، وجعل الشمس والقمر ، وبقدرته يُسيّر هذا الكون الشاسع بهذا الانتظام الدقيق ، وبقدرته يجعل هذا النظام يختل في أقل من لمح البصر عند قيام الساعة ، كما قال عز وجل : ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿٧٧﴾ ﴾ [النحل : ٧٧] .

وبقدرته خلق الخلائق من ماء ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴿٥٤﴾ ﴾

[الفرقان : ٥٤] .

وبقدرته سبحانه وتعالى أقدر الخلق على أفعالهم فهو الخالق لهم وأعمالهم[١] قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات : ٩٦] . وبقدرته يميتهم وبقدرته يحييهم مرة أخرى ، قال تعالى : ﴿ **مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان : ٢٨]، وقال : ﴿ **فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ**

---

(١) وهي أيضا أفعالهم فهي تضاف إلى الله خلقاً وتقديراً وتضاف إليهم فعلا ومباشرة على الحقيقة ، ولا منافاة بين الأمرين فإن الله خالق قدرتهم وإرادتهم ، وخالق السبب التام خالق للمسبب . انظر شرح الطحاوية ص٥٠٤ ، شرح الأسماء الحسنى للقحطاني ص٩٦ .

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾[الشورى: ٩].

وتأمل عجائب قدرته في الأنفس مما لا تحصيه المجلدات ولو اجتهد لحصرها العبد، ففي كل يوم يكتشف العلماء عجائب أخر تدل على قدرة الواحد الأحد .

وكذا من أسمائه العزيز ومعناه : (المنيع الذي لا يغلب)[١]، و(هو القادر القوي الذي لا يوصل إليه)[٢] ، له عزة القوة ، وعزة المنعة وعزة الغلبة والقهر[٣] . فهو رب العزة يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء[٤]، وهو(العزيز الذي ذل لعزته كل عزيز)[٥] .

ومن معاني عزته (العزة : بمعنى الامتناع على من يرومه من أعدائه فلن يصل إليه كيدهم ولن يبلغ أحد منهم ضره وأذاه)[٦] فهو

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص ٤٧ . وله معان أخر فيأتي بمعنى الذي لا يعادله شيء وأنه لا مثل له ولا نظير. وانظر لوامع البينات للرازي ص١٩٧ .

(٢) موسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي (١ / ٦٩) .

(٣) انظر شرح القصيدة النونية لهراس (٢ / ٧٦) ، وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥ / ٣٠١) .

(٤) كتاب التوحيد لابن منده (٢ / ٧١) .

(٥) تفسير الأسماء الحسنى للزجاج ص ٣٤ . وانظر شرح القصيدة النونية لهراس (٢ / ٧٩) .

(٦) المرجع السابق .

لا يذل ولا يضام سبحانه وتعالى .

والعزيز وصف قوة واقتدار وغلبة وسيطرة ، ولذلك يقترن بما يقاربه في المعنى من الأسماء مثل القوي والمقتدر ، والمهيمن ، والجبار وذي الانتقام كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦]، وقوله : ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ [القمر: ٤٢].

وكذلك يقترن بما يدل على الكمال المطلق في العزة ويبيّن أنها سلام عن الظلم والجور ؛ فيقترن بالحكيم كثيراً كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦]. بل أنها عزة مع رحمة كذلك ؛ فيقترن في التنزيل اسم العزيز بالرحيم والغفار كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٩] ، وقوله : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: ٦٦] . فهي عزة غلبة ومنعة ، وعزة رحمة وحكمة ، استحق أن يحمد عليها العزيز الحميد سبحانه وتعالى[1] .

ويدل على قدرته المطلقة أسماؤه: القهّار والقاهر، فالقهّار بمعنى: القاهر مع مبالغة ، ومعناه : الذي قهر خلقه بقدرته عليهم[2] ، و(هو

(١) انظر أسماء الله الحسنى لشحاته ص ١٩٠ .

(٢) انظر كتاب التوحيد لابن منده (٢ / ١٦٩)

الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت)[١]. فهو قهّار لأهل السموات والأرض : أما لأهل السماء فبالتسخير ، وأما لأهل الأرض فبالتعبيد والتذليل .

ويتضمن هذا الاسم صفة العزة وجميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها ؛ فمن لوازم قهره أنه كامل القدرة والحياة والعلم . كما يدل اسمه القاهر على علوه وفوقيته كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]. كما أنه يقتضي القهر المطلق والتصرف الكامل فهو يَقهر ولا يُقهر بحال[٢].

ومن آثار قهره أنه يحصل مراده من خلقه شاءوا أم كرهوا ، وكل ما سواه مغلوب على أمره ، مقهور بسلطان جبروته وكبريائه ؛ فقد خضعت له الرقاب وعنت له الوجوه ودانت له الخلائق وتواضعت ، وذلت له الجبابرة وتضاءلت تحت قهره وحكمه[٣] ، وسيقفون صاغرين يوم ينادي ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦]. فهو

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص٥٣ . وانظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٢٠٢) .

(٢) انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٢١٢) . وانظر شرح القصيدة النونية لهراس (٢ / ٢٣٢) .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ١٢٦) .

الذي يقصم ظهور الجبابرة ، ويذل رقاب الأكاسرة ، ويقطع الآمال بالحافرة[١] .

وكذلك من آثار هذين الاسمين : قهر العقول عن الوصول إلى كنه صمديته ، وقهر الأبصار عن الإحاطة بأنوار عزته[٢] .

ويشترك مع اسم القهار اسم الجبار في بعض معانيه[٣] ، فالجبار : (هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، الذي لا يخرج أحد من قبضته ، وتقصر الأيدي دون حمى حضرته)[٤] . وكذلك يأتي بمعنى الـ(عالي على خلقه بصفاته العالية[٥] ، وآياته القاهرة ، فهو المستحق للعلو والجبروت)[٦] .

---

(١) انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٢١٢) .

(٢) انظر لوامع البينات للرازي ص٢٢٢ .

(٣) وهما معنى العلو والسطوة ومطلق الإرادة والمشيئة ، وهذان المعنيان هما المقصودان هنا في باب الخوف ، أما الثالث فيدخل فيما يبعث على الرجاء إذ إنه بمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة .

(٤) المقصد الأسنى للغزالي ص٤٧ .

(٥) سواء علو المكانة أو علو المكان فكلاهما ثابت له بنصوص الكتاب والسنة.

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٥٣ .

وجبروته سبحانه وتعالى مقرون بحكمة فهو يُجبر الناس أي يقهرهم على ما يريده حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية)[١]، كما أنه مقرون بعدل ورحمة فبجبروته قهر الجبابرة ، وأذل الأكاسرة، وأنصف المظلومين من الظلمة ، ونصر جنده على المعاندين والكافرين الفجرة .

وآثار الجبار في الحياة لا تحصى فالخلق مجبورون بأمره الكوني[٢]، محكومون بحكمه ، ومن آثار جبروته قهر الظالمين وإذلال المتجبرين فكم من ظالم جبار من البشر قصم الله ظهره ورد كيده في نحره ، وقصص السابقين والمعاصرين أكثر من أن تحصر هنا[٣] .

ثانيا : بعض الأسماء والصفات الدالة على سعة علمه ورقابته عز وجل :

العلم من صفات ذاته سبحانه وتعالى، فله من العلم أكمله

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٨٥ .

(٢) ولا يتنافى هذا مع اختيارهم للإيمان أو الكفر إذ كله بمشيئته ، بينما يزعم الجبرية في توحيدهم أن الخلق مجبورون أي مسيرون لا اختيار لهم كالميت الذي لا فعل له ، وكالريشة في مهب الريح والفاعل حقيقة هو الله !! ومع ذلك يلامون ويحاسبون !! بينما يزعم المعتزلة أنه لا تعلق لأفعال العباد بالخالق سبحانه وتعالى فهم الذين يخلقونها ! راجع هامش ص٣٣٠ في بيان مسألة خلق أفعال العباد ، وللتوسع انظر شرح الطحاوية ص٥٠٤ .

(٣) انظر أسماء الله الحسنى لشحاته ص٢١٦ .

وأعظمه ويدل على هذه الصفة كثير من أسمائه وصفاته ومنها : العليم ، الخبير ، الرقيب، الحسيب ، الشهيد ، السميع ، البصير .

فالعليم والعالم من أسماء الله عز وجل الدالة على اتصافه بالعلم وصيغها دالة على المبالغة في العلم بدقائق الأمور[١] ووصفه بكمال العلم، فـ(هو العليم بالسرائر والخفيات التي لايدركها علم الخلق)[٢] فالعلم (معناه ظاهر وكماله أن يحيط بكل شيء علماً ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره ، عاقبته وفاتحته وهذا من حيث

---

(١) من العجيب أن ينكر بعض الفلاسفة ومن تابعهم كابن سينا علمه تعالى بالجزئيات ، ويقولون أن علمه سبحانه وتعالى كلي لا جزئي !! وقد بين شيخ الإسلام حقيقة قولهم وتناقضه بقوله : (من قال من المتفلسفة إنه سبحانه يعلم الأشياء على وجه كلي لا جزئي ، فحقيقة قوله إنه لم يعلم شيئاً من الموجودات ، فإنه ليس في الموجودات إلا ما هو معين جزئي ، والكليات إنما تكون في العلم ، لا سيما وهم يقولون : إنما علم الأشياء لأنه مبدؤها وسببها ، والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب ، ومن المعلوم أنه مبدع للأمور المعينة المشخصة الجزئية كالأفلاك المعينة والعقول المعينة ... فهل يكون من التناقض وفساد العقل في الإلهيات أعظم من هذا) انظر درء تعارض العقل والنقل (٥ / ١١٣) ، وكذا رد ابن القيم عليهم وبين لوازم قولهم الفاسدة ، انظر مدارج السالكين (١ / ٦٧) .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص ٥٧ .

كثرة المعلومات وهي لا نهاية لها ، ثم يكون العلم في ذاته أكمل ما عليه وأتم)[١] فهو الذي ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٨]، يعلم مستقر كل شيء ومستودعه ؛ فعلمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي وما فيه من المخلوقات بذواتها وأوصافها وجميع أمورها ، لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عن علمه شيء قال عز وجل : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] ، فعلمه كامل يشمل الظاهر والباطن والموت والحياة والازدهار والذبول في كل شيء على الإطلاق . وعنده مفاتيح الغيب[٢] التي بينها تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، بل ويعلم أيضا ما كان في الماضي وما يكون في المستقبل الذي لا نهاية له ، ويعلم ما لم يكن لو كان

---

(١) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص٦٨ . وانظر النهاية لابن الأثير (٣/٢٩٢).

(٢) أخرج البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، ص٢٣٩ ، حديث الرسول ﷺ : (مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله : ...) وذكر الأمور الخمسة المذكورة في آية سورة لقمان .

كيف يكون[١] فهو سبحانه وتعالى علام الغيوب .

وتأمل الواقع يظهر اختصاصه عز وجل بالعلم المحيط ومفاتح الغيب، إذ برغم تقدم العلوم في الفلك والطب وغيره واختراع أدوات العلم المتطورة إلا أن الحدود القاصرة للعلم البشري مهما كان تدل بقوة على العالم العليم سبحانه وتعالى .

وتأمل نصوص القرآن الكريم ، وما حفل به من أخبار الماضي والمستقبل وقصص السابقين واللاحقين ينبئ عن صاحب العلم المحيط سبحانه وتعالى.

واسم **الخبير** لله عز وجل دال كذلك على علمه المحيط ، ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة[٢] ؛ فمعناه : (العالم بكنه الشيء . المطلع على حقيقته)[٣] ، فـ(هو الذي لا تعزب عنه

---

(١) خالف القدرية أهل السنة والجماعة في هذا زاعمين أن الله يعلم الأمر بعد وقوعه ، ولا يعلمه قبل وقوعه ؛ فالله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه ومن يعصيه حتى فعلوا ذلك فعلمه . وهذا من جهلهم بالله وغفلتهم عن معاني أسمائه وصفاته . وهم بقولهم هذا يكفرون بالقدر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها جميعاً.

(٢) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص ٦٣ .

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص٦٣ .

الأخبار الباطنة ، ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ، ولا يضطرب نفس ولا يطمئن ، إلا ويكون عنده خبره)[١] سبحانه وتعالى فهو (العالم بدقائق الأشياء على ما هي عليه وهو العليم بذات الصدور)[٢] .

وقد اقترن اسم الخبير كثيراً في كتاب الله عز وجل بأعمال العباد : ظاهرها كما في قوله تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴿١٣﴾ ﴾ [المجادلة: ١٣]، وباطنها من أعمال القلوب كما في قوله عز وجل: ﴿ **وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النساء: ١٢٨] ، وفي هذا حث على تحقيق العبودية وتحذير من المخالفة.

وآثار خبرته مبثوثة في كل شيء ؛ فما أخبر عنه الخبير مما وقع ومما سيقع من الأحداث تُظهر الأيام كلما تقادم الزمان صدقه ﴿ **وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٤] .

وكذلك مما يدل على علمه سبحانه وتعالى اتصافه بصفتي السمع و البصر وتسميه بالسميع البصير . **فالسميع** (هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فيسمع السر والنجوى[٣] بل ما

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي ١٠٣ .

(٢)كتاب التوحيد لابن منده ، من كلام المحقق (٢ /١١٧) .

(٣) ويأتي بمعنى المجيب فيكون السماع بمعنى القبول والإجابة ، وهو على هذا =

هو أدق من ذلك وأخفى)[١](سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت)[٢].

والبصير : هو المبصر ، العالم بخفيات الأمور[٣]. وهو (الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى)[٤] .

وكثيراً ما يقترن هذان الاسمان في التنزيل، وفي اقترانهما زيادة دلالة على كمال العلم وإحاطته، فهو سبحانه وتعالى يسمع بسمع ويبصر ببصر[٥]، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

= المعنى يكون متصلا بما يحقق الرجاء .

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص ٩٠ .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص٥٩ .

(٣) انظر المرجع السابق ص٦٠ .

(٤) المقصد الأسنى للغزالي ص ٩١ .

(٥) بينما يخالف المعطلة زاعمين تنزيه الله عز وجل والفرار من التشبيه والتمثيل ! فيقولون أن معنى السميع البصير : العليم . ولا يثبتون له سمعًا وبصراً على الحقيقة وكأنهم أعلم بالله من الله عز وجل القائل عن نفسه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]. والحق أن التنزيه لا يتعارض مع الإثبات فهو سبحانه وتعالى سميع لا كسمعنا وبصير لا كبصرنا وله من ذلك الكمال كله ، على كيفية لا نعلمها ، كما يليق بجلاله وعظمته ، انظر مطلب طريقة السلف في التعريف بالله من هذه الرسالة . ولا ينفي هذه الصفات عنه أو يعطل معناها إلا جاهل ، انظر بيان اللوازم الشنيعة لقولهم الفاسد في فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٣٧٢) .

ومن دلائل سعة سمعه سبحانه وتعالى قول السيدة عائشة رضي الله عنها : (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات . لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [المجادلة : ١])[1] .

ومن تأملات ابن القيم في معنى البصير قوله شعراً :

وهو البصير يرى دبيب النملة السـ

وداء تحت الصخر والصوان

ويرى مجاري القوت في أعضائها

ويرى نياط عروقها بعيان

ويرى خيانات العيون بلحظها

ويرى كذاك تقلب الأجفان[2]

فعلمه عز وجل محيط بكل شيء وسمعه لا يعزب عنه شيء ، و بصره لا يخفى عليه شيء سبحانه ما أعظم شأنه .

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا ، انظر الفتح (٣١ / ٢٧٣) ، والحاكم (٢ / ٤٨١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) القصيدة النونية لابن القيم المطبوعة مع شرحها لهراس (٢ / ٢١٥) .

وكذا **الرقيب والشهيد و الحفيظ** من أسمائه الحسنى التي ترجع إلى صفة العلم وتتضمن الوصف بالسمع والبصر . ومعنى **الحفيظ** : (الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه)[١] . وكذا معناه (المطلع على ما أكنته الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت)[٢] . فهو الذي (يحفظ على الخلق أعمالهم ، ويحصي عليهم أقوالهم ، ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم ، ولا تغيب عنه غائبة ، ولا تخفى عليه خافيه)[٣] . و(هذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها وكتابتها في اللوح المحفوظ وفي الصحف التي في أيدي الملائكة ، وعلمه بمقاديرها وكمالها ونقصها ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله وعدله)[٤] .

واسمه **الرقيب** معناه : (العليم ؛ فمن راعى الشيء حتى لم يغفل عنه ولا حظه ملاحظة دائمة ، ولازمه لزوما لو عرفه الممنوع عنه لما أقدم

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٥١ ، وانظر شأن الدعاء للخطابي ص٧١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥ / ٣٠١) .

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص٦٨ .

(٤) انظر شأن الدعاء للخطابي ص٦٨ ، وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥ / ٣٠٣) ، وشرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص ١١٣ .

عليه سمي رقيباً)[١] . والله عز وجل (رقيب على الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان ، ورقيب للمبصرات ببصره الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، ورقيب للمسموعات بسمعه المدرك لكل حركة وكلام ، فهو سبحانه رقيب عليها بهذه الصفات . تحت رقابته الكليات والجزئيات وجميع الخفيات في الأرضين والسموات)[٢] .

واسمه **الشهيد** يرجع معناه إلى العلم كذلك مع خصوص وإضافة، فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة ، وإذا أضيف العلم إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد[٣] ، ويستوي عنده عز وجل الغيب والشهادة فهو شهيد كذلك على الأمور الباطنة ، وعلى هذا فمعناه : (الذي لا يغيب عنه شيء)[٤]، (المطلع على جميع الأشياء . سمع جميع الأصوات خفيها وجليلها ، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها ، صغيرها وكبيرها ، وأحاط علمه بكل شيء)[٥].

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص ١١٧ . وانظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ /٢٠٦) .

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٤٠٢)

(٣) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص٧٩ ، والنهاية لابن الأثير (٢ /٥١٣).

(٤) شأن الدعاء للخطابي ص٧٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥ / ٣٠٣) .

فالرقيب والشهيد والحفيظ أسماء له سبحانه وتعالى تدل على علمه الشامل المحيط فهو (مع خلقه يسمع ما يتناجون به ويرى ما يخوضون فيه ، ويعلم حركات خواطرهم وهواجس ضمائرهم وتقلب لواحظهم ، ولا يغيب عنه من أمرهم شيء يقولونه أو يفعلونه كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١])[١].

ثالثًا : بعض الأسماء والصفات الدالة على عدله وشدة عذابه وانتقامه :

ومنها أسماء مفردة **كالحكم** ، ومنها أسماء مضافة[٢] **كذي انتقام**[٣]:

---

(١) شرح القصيدة النونية لهراس (٢ / ٨٩)

(٢) ذهب جمع من أهل العلم إلى اعتبار الأسماء المضافة وعدها ضمن الأسماء الحسنى . قال ابن تيمية : (وكذلك أسماؤه المضافة مثل أرحم الراحمين ، وخير الغافرين ، ورب العالمين ، ومالك يوم الدين و . . . وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة ، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢ / ٤٨٥) . وانظر معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي ص١٨٨ .

(٣) وقد عد بعض العلماء كالخطابي وابن القيم (المنتقم ، العفو) من =

فالحكم من أسمائه الحسنى الدالة على عدله فـ(هو الذي إليه الحكم)[١]، ومعناه : (الذي سلم له الحكم ، ورد إليه فيه الأمر)[٢]، فهو (من له تنفيذ القضايا وإمضاء الأوامر والنواهي)[٣]، (لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه . ومن حكمه في حق العباد أن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، وأن الأبرار لفي نعيم ، وأن الفجار لفي جحيم)[٤]. قال تعالى : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فالله سبحانه وتعالى يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله

= الأسماء المزدوجة التي تجري مجرى الاسم الواحد لا تطلق إلا مقرونة بما يقابلها ، ولا يطلق على الله أفرادها ؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم منها بما يقابله . بينما عد آخرون (المنتقم)من أسمائه المفرده وقد أخطأوا –والله أعلم – لأنه منفرداً قد يوهم نقصاً ، وأسماؤه تعالى كلها تامة الحسن . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٨ / ٩٦) . وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسى (٢ / ٢٤٨) .

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٢٠٣) .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص٦١ .

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ /٤٣٨)

(٤) المقصد الأسنى للغزالي ص٩٢ .

وقسطه فلا يظلم مثقال ذرة ، ولا يُحمّل أحداً وزر أحد ، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه ، وينزل بالعصاة والمكذبين من أنواع الهلاك والخزي في الدنا والآخرة[١] .

ومن آثار حكمه شرائعه التي يصلح بها أمر الدنيا والآخرة ، والتي يحاسب العباد عليها يوم القيامة عملا وتركاً ، فيحكم للطائعين بالجنة عدلا ورحمة ، ويحكم للكافرين بالنار عدلا وانتقاماً .

ومن أسماء فعله : **ذو انتقام** ، والنقمة العقوبة على أمر يكرهه مع سخط منه له[٢] ، فيتضمن هذا الاسم صفة الغضب[٣] .

والمعنى أنه سبحانه (هو الذي يبالغ في العقوبة لمن يشاء)[٤] على قدر استحقاقهم بما كفروا وكذبوا[٥] ، وأنه (يقصم ظهور العتاة وينكل بالجناة ويشدد العقاب على الطغاة ، وذلك بعد الإعذار والإنذار ، وبعد التمكين والإمهال)[٦] ، قال تعالى : ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ**

---

(١) انظر شرح الأسماء الحسنى للقحطاني ص١٣٩ .

(٢) انظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٦٢ .

(٣) انظر النهج الأسنى للقرطبي (١ /٤٨٦) .

(٤) شأن الدعاء للخطابي ص٩٠ .

(٥) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٢٠٨) .

(٦) المقصد الأسنى للغزالي ، وهو ممن عد المنتقم من الأسماء الحسنى وذكر هذا في معناه ص١٣٩ .

حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

فهو عز وجل قوي قادر ، ذو عزة وجبروت ، شديد العقاب ، ينتقم من أهل الكفر والظلم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر فيسوقهم إلى جهنم وبئس المهاد ، ويذيقهم فيها أشد عذاب وأغلظ نكال وصف لنا بعضه بقوله عز وجل : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٢] .

ومن آثار انتقامه في الدنيا ما أخبرنا عنه سبحانه وتعالى من إهلاكه عاداً وثمود وقوم نوح والمؤتفكة وقارون وفرعون وهامان وجنودهم قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف: ٥٥] ، وقال : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [السجدة: ٢٢]، وعن فرعون وقومه قال : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٦] ، فقصم العتاة المتجبرين ، ونصر عباده المؤمنين إنه عزيز ذو انتقام ، قال عز وجل : ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

وهكذا فتأمل هذه الأسماء وما تدل عليه من الصفات بالتطابق والتضمن والالتزام يعرّف العبد بإله حق ، عزيز مقتدر، عليم ، متعال؛

فينبعث في قلبه الخوف منه ، وتخضع جوارحه طاعة لجنابه (وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية)[١] لأنه يعلم من نفسه قصورها وضعفها ، ويعرف لمولاه قوته وعلمه وانتقامه فيخاف أن تغلب عليه شقوته فيقع فيما يحذر أو يفوت عليه ما يرجو .

فالخوف من محركات القلوب إلى الله عز وجل ، ومن ركائز العبودية وتحقيقه يدفع العبد لأداء كثير من أنواع العبادة التي على القلب واللسان والجوارح ، وبيان هذا في المطلب التالي .

❁ ❁ ❁

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٣٨) .

المطلب الرابع

أثر الخوف في تحقيق العبودية

لا ينشأ الخوف إلا من توقع حدوث مكروه أو خوف فوات محبوب وهذا التوقع يدفع لأن يسعى العبد للعمل دون حدوث المكروه ، والسعي بجد لطلب حصول المحبوب ، ومن هنا كان الخوف دافعاً لكل الطاعات ، مانعاً من المعاصي والسيئات إذ بهذا بعد رحمة الله يحصل الأمن من المخوف وهو سخط الله وعذابه ، كما يتم حصول المحبوب من رضاه سبحانه وتعالى وجنته ولذة النظر إلى وجهه الكريم .

فإذا ما تحقق القلب بالخوف من الله عز وجل ؛ أثمر للعبد هربًا إلى الله بطاعته وفراراً إليه من معصيته حتى يحقق عبوديته تامة لله رب العالمين يشترك في ذلك قلبه ولسانه وجوارحه جميعها .

ويمكن تلخيص أثر الخوف في تحقيق العبودية لله عز وجل بالآتي :

أولاً : أثر الخوف في تحقيق عبودية القلب :

يُسهم الخوف من الله عز وجل في تحقيق كثير من العبادات القلبية. وفيما يلي أمثلة تبين أثر الخوف في هذا التحقيق :

أ . أثر الخوف من الله عز وجل في تحقيق الإخلاص :

للخوف من الله تعالى أعظم الأثر في تحقيق الإخلاص ، فالعبد الذي عرف ربه وأحبه يخلص له ولاشك ، وتُسهم معرفته بصفات محبوبه العليم الخبير ، الرقيب الشهيد في جعله يخاف أن يطلع في قلبه على غيره فلا يقبل منه عملا ، كما قال تبارك وتعالى في الحديث القدسي : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[١] . وتدفعه الرغبة في تحقيق الإخلاص لأن يجتهد في تفقّد نيته وقصده وراء كل حركة وسكنة ، ويحرص على تصفية عمله من شهوات نفسه الخفية ، حتى لا يحبط فيحرم رؤية محبوبه ، ويتعرض لوعيده وانتقامه ، وحتى يفوز برضاه ، ويسعد بلقياه والنظر إليه عز وجل .

ب . أثر الخوف في تحقيق الخشوع :

الخشوع عبادة قلبية ناتجة عن خوف العبد[٢] من الله عز وجل وأصله (إنما هو من معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله وكماله ، فمن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله ص١١٩٦ .

(٢) وكذلك يكون الباعث عليه المحبة إذا قويت مطالعة العبد لصفات كماله وجماله . وكلما تعددت الأسباب التي تدفع إليه كان الخشوع أكمل وأتم.

كان بالله أعرف فهو له أخشع)[١] ، و(لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه عز وجل لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت ، واجتماعه بظاهره وباطنه وعلى الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به)[٢] وبهذا يحقق الخشوع القلبي الذي يظهر أثره في خشوع جوارحه وتذلله بين يدي ربه في دعائه وصلاته وعبادته كلها ، ويكون بذلك من أهل الفلاح الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢** ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، فالخشوع دليل المعرفة الحاضرة ، والسهو دليل الغفلة .

ج . أثر الخوف في تحقيق التوبة والإنابة :

يقع العبد في الذنب بغفلته وغلبة شهوته ، فعندما يغفل عن ربه السميع البصير ، الرقيب الشهيد ؛ تزل قدمه في مهاوي الردى ، وينطلق مع شهواته منتهكاً حرمات الله غافلا عن تعرضه لسخط مولاه . فإذا ما تذكر قدرة ربه عليه وانتقامه ممن عصاه دفعه ذلك ليسرع في توبة نصوح يمحو بها الله ذنبه ، ويغفر له زلته . وكلما

---

(١) الخشوع في الصلاة لابن رجب ص ٣٠ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١ / ١٧٥) في شرح حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان .

كانت معرفته بالله أكمل كان عن الغفلة أبعد ومن ذنبه أحذر ، فيلازمه خوف الوقوع في الذنب ، وإذا غفل وأذنب عمر الخوف قلبه وعظمت عنده جنايته ، فيراها كجبل فوقه يخاف أن يقع عليه[١] ، وعظم عنده حق ربه فخاف ألا يوفيه فما تراه إلا تائباً منيباً ، يسكب العبرات ، ويكثر من الدعوات بأن يغفر الله له ويتوب عليه ، ويقيل عثرته ويتجاوز عن سيئاته .

وقد كان رسول الله ﷺ عظيم الخوف من ربه دائم التوبة رغم أن الله وعده بالمغفرة والفضل ، فقد كان يقول : (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)[٢] ، فكيف ينبغي أن يكون العباد المقصرون المذنبون – أمثالنا – الذين لا يعلمون هل يغفر الله لهم وهل يتقبل توبتهم .

د. أثر الخوف في مراقبة الله عز وجل :

إن دوام علم العبد ، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه ؛ يثمر له شعوراً بالمسؤولية والخوف من التفريط ، يملأ

---

(١) في معنى هذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه الموقوف ، الذي أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات باب التوبة . انظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٢٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ص١٢١٣ .

قلبه ويدفعه لتفقد خطرات نفسه ، ومشاعر قلبه ، وكلمات لسانه ، ويظل باعثاً له على الإحسان في القصد والعمل ، قال تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] . فتيقن العبد بأن الله عليم بما يصنع بجوارحه وما يعزم عليه في قرارة نفسه ، ناظر إليه ، سامع لقوله، مطلع على عمله كل وقت ولحظة وفي كل نفس وكل طرفة عين ؛ يجعله حذراً من نفسه على نفسه ، مراقباً لقلبه ولسانه ، فـ(من علم أن ربه مطلع عليه استحى أن يراه على معصية أو فيما لا يحب)[١] .

وهذه (المراقبة هي التعبد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير ، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبّد بمقتضاها حصلت له)[٢]، فهي تحيي في قلبه المعرفة بأن الله يراه ، ومعرفته هذه تجعله يخاف أن يراه الله على غير ما يرضاه .

وكذا معرفته بأن الله حكم يحكم في عباده بمقتضى العدل ، الذي يقتضي المجازاة على قدر العمل : إن خيراً فخير وإن شراً فشر ؛ يجعله دائم الخوف من عقابه الشديد وهو واقع تحت قوته وقدرته فيزداد بهذا مراقبة وتدفعه مراقبته للإخلاص فيما يقدم عليه

---

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ /٢٣٨) .
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٦٥) .

والتوبة مما قصر فيه[١] .

ثانيًا : أثر الخوف في تحقيق عبودية اللسان :

لسان الخائف يكون أبداً مستغفراً ، داعياً متضرعاً ، مستغيثاً مستعيذاً بربه أن يكله إلى نفسه ، أويخلي بينه وبين شهواته . وفيما يلي تفصيل لبعض العبادات القولية التي يدفع عليها خوف العبد من ربه :

أ . أثر الخوف في تحقيق الدعاء والاستغفار :

كلما تأمل العبد عزة ربه في قضائه ، بأن قلّب قلبه وصرّف إرادته على ما يشاء ، فهو ذليل مقهور ، ناصيته بيد سيده ، لا عصمة له إلا بعصمته ، ولا توفيق له إلا بمعونته[٢] ،كلما تأمل هذا خشي أن يركن إلى زيغ فيزيغه الله ، ويطبع على قلبه فلا يعود يعرف معروفاً أو ينكر منكراً ؛ فيشتد خوفه ويلهج لسانه بالدعاء ضراعة واستغاثة وتوبة : (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك

---

(١) انظر للفائدة مقالة بعنوان (الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وتقوية المراقبة الإلهية) لعبد السلام الأحمر . مجلة البيان السنة الثانية عشرة ، العدد ١٢٣ ، ذو القعدة ١٤١٨ هـ / مارس ١٩٩٨ م .

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥٠٢) .

علي ، وأبوء لك بذنبي، اغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)[١]، (رب اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي خطئي وعمدي ، وجِدّي وهزلي، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير)[٢]. معترفاً بذنوبه ، مقراً بتقصيره في حق ذي الحق سبحانه وتعالى، خائفاً من انتقام القوي المتين عز وجل .

ب . أثر الخوف في الصمت :

كما أن الكلام يكون عبادة إذا كان فيما يرضي الله كالدعاء والاستغفار وغيره ، كذلك يكون الامتناع عنه (الصمت) عبادة ، كما قال ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[٣] . والعبد حين يعلم خطورة الكلمة إن كانت فيما

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب أفضل الاستغفار ص١٢١٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ص١٣٢٨ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ص١٠٨٩ .

(٣) سبق تخريجه ص ٦٧ .

يسخط الله كما بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله : (إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم)[١]، فإنه يمسك لسانه صامتاً عما يعرضه لسخط ربه وعذابه ، لذا طال صمت الخائفين على بصيرة من سلف الأمة وقل كلامهم إلا فيما ثبت عندهم خيره وفضله[٢].

ثالثا : أثر الخوف في عبودية سائر الجوارح :

الخوف الصادق المحمود إذا عمر قلب العبد دفعه للإقبال على ربه عز وجل متذللا خاضعاً خاشعاً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه[٣]،

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ص١٢٤٣ . وأخرج مسلم نحوه في الصحيح ، كتاب الزهد والرقائق ، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار ص١١٩٧ .

(٢) انظر للتوسع قصصهم في كتاب الصمت وحفظ اللسان لابن أبي الدنيا ص ٢١٧ –٢٢٥.

(٣) إذ لا ينفك الخوف عند المؤمن البصير عن الرجاء ، وإلا كانت النتيجة أن يقتله الخوف ويفرق كبده ،أو يقنطه من رحمة الله فيدفعه للإغراق في معصية الله ، والنتيجة الأولى أهون من الثانية ، وقد ورد في قصص الصالحين من ماتوا لشدة خوفهم من الله عز وجل ولكنهم غير آيسين من رحمته وإنما غلب الخوف الرجاء في قلوبهم ، أما أن يصل الخوف بصاحبه إلى سوء الظن بالله واليأس من رحمته فهذا في حد ذاته ذنباً أكبر من =

ينظر فيما يرضي سيده ومولاه ليفعله ويتزلّف به إليه ، ويحذر مما يبغضه ويبعده عنه .

ويظهر هذا جلياً في عبودية مالية بدنية وهي الصدقة ، إذ بين الخوف والصدقة علاقة وثيقة فـ(الصدقة تكفر الخطيئة)[١]، قال ﷺ : (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب)[٢] ، فالعبد الخائف غضب ربه وانتقامه ، الخائف من الوقوف بين يديه للحساب يسارع لبذل ماله، ففي بذل المال زكاة للنفس وإرضاء للرب عز وجل ، ونجاة من

= المعصية ذاتها التي أورثتهم خوفا . وحال المحققين من سلف الأمة وعلى رأسهم محمد ﷺ حال يعتدل فيها الخوف والرجاء ، فالمحبة مركب ، والرجاء حاد والخوف سائق ، واستحب السلف أن يقوى في الصحة الخوف، وعند الخروج من الدنيا الرجاء . انظر للتوسع إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٤٤) ، وفتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٦٦) ، وكذا القول المفيد للعثيمين (٢ / ٢٠٣) .

(١) جعل البخاري هذه العبارة في صحيحه ترجمة لحديث : (فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف) ، انظر فتح الباري لابن حجر (٣ / ٢٨٤) .

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في فضل الصدقة (٣ / ٥٢) وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤ / ٥٣٥) حديث رقم ١٩٠٨ .

النار كما قال ﷺ : (اتقوا النار ولو بشق تمرة)[١]، فهو يفتدي رقبته في الدنيا بصدقات يريد بها وجه الله عز وجل قبل أن يأتي اليوم الذي يود المجرم لو يفتدي فيه نفسه بماله وولده عندما يرى عذاب ربه قال تعالى : ﴿ **يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾** ﴾ [المعارج: ١١ - ١٤].

والخلاصة أن مخافة الله عز وجل ركيزة هامة في تحقيق العبودية التامة لله رب العالمين بالقلب واللسان والجوارح ، فخوف عذاب الله يدفع العبد للتقوى المتضمنة لتحري الطاعات والحذر من المنهيات قولا وفعلا واعتقاداً . وخوف القيامة يدفع العبد إلى الاستعداد لها بالعمل الصالح . وخوف الوقوف بين يدي الله للحساب والمناقشة يدفع العبد إلى الحذر من المخالفة لأمر الله ودوام محاسبة النفس ومراقبتها . وخوف مقام الله وسيلة إلى الاستحياء من مخالفته ، والإحسان في طاعته [٢]، والإخلاص له وهذا غاية العبودية . وينبغي للعبد (أن يكون أبداً -

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة، باب اتقوا الله ولو بشق تمرة ، والقليل من الصدقة ص٢٧٦ ، وأخرج مسلم نحوه في الصحيح ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ص٣٩٢ .

(٢) انظر شجرة المعارف والأحوال للعز بن بن عبد السلام ص ١٢٨ وما بعدها.

بعد كمال الاجتهاد – متردداً بين الرد والقبول ، خائفاً أن تكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها ، وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر)[١] .

كذلك ينبغي ألا يفرط في الخوف حتى لا يخرج به إلى القنوط بل بقدر خوفه من ربه يكون رجاؤه فيه ، وبيان الرجاء وتحقيقه في المبحث التالي .

❁ ❁ ❁

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٤٤) .

المبحث الثالث

أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق الرجاء

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : معرفة الرجاء وبيان منزلته من العبودية .

المطلب الثاني : بيان الأسباب الباعثة على الرجاء.

المطلب الثالث : بيان بعض الأسماء والصفات المحققة للرجاء .

المطلب الرابع : أثر الرجاء في تحقيق العبودية .

المطلب الأول

معنى الرجاء وبيان منزلته من العبودية

معنى الرجاء:

الرجاء في اللغة بمعنى التوقع والأمل[١]، والطمع فيما يمكن حصوله[٢] . ونقيضه اليأس[٣] .

وأصله تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل[٤]، لذلك فُسر

---

(١) ويأتي الرجاء بمعنى الخوف، قال بعض أهل اللغة : ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد ، فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف وكان الرجاء كذلك . انظر لسان العرب لابن منظور (١٤ / ٣١٠). فإذا جاء مع لفظ الرجاء نفي كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣]. فالمعنى : ما لكم لا تخافون لله عظمة ، وبه قال كثير من المفسرين انظر جامع البيان للطبري (١٤ / ٤٩)، وتفسير ابن كثير (٤ / ١٧٣) وفتح القدير للشوكاني (٥ / ٢٩٨).

(٢) المعجم الفلسفي لصليبا (١ / ٦٠٩) .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور (١٤ / ٣٠٩) .

(٤) التعريفات للجرجاني ص١١٤ ، وحدائق الحقائق للرازي ص ٤٦ ، وانظر فتح القدير للشوكاني (٣ / ٢١٨) .

بأنه : (توقع الخير ممن بيده الخير)[١] . أو أنه (طمع الإنسان في أمر قريب المنال ، وقد يكون بعيد المنال تنزيلا له منزلة القريب)[٢] .

أما من حيث أنه عبادة من عبادات القلوب فقد فُسر بأثره الظاهر :

(فقيل هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى ، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه)[٣] .

ويستعمل للدلالة على معنى الرجاء أسماء أخرى كالرغبة ، وحسن الظن ، حيث أن حسن الظن باعث على الرجاء والرغبة طلب ناتج عنه[٤] .

والرجاء التعبدي المقصود هنا هو أحد أركان تحقيق العبودية وهو : عبادة قلبية تتضمن ذلا وخضوعاً[٥] ، أصلها المعرفة بجود الله وكرمه وعفوه وحلمه ، ولازمها الأخذ بأسباب الوصول إلى مرضاته ، فهو (حسن ظن مع عمل وتوبة وندم)[٦] .

---

(١) وينسب هذا التفسير للغزالي في الإحياء ولم أجده ، انظر المعجم الفلسفي لصليبا (١ /٦٠٩) .

(٢) انظر شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ص ٥٣ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢ /٣٥) .

(٤) انظر المرجع السابق (٢ /٥٦) .

(٥) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ص٥٨ .

(٦) الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ص ٥١٧ .

وعلى هذا (فالرجاء هو ما هاج من الطمع والأمل في الله عز وجل فسخّى نفس العاصي بالتوبة وحال بينه وبين القنوط وبعث العبد على الطاعة لله (والتشمير والاجتهاد رجاء ما وعد العاملين)[١] ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] ، فأخبر سبحانه وتعالى عن رجائهم مع تمام عملهم وطاعتهم ، أما الطمع في جوده والاستبشار بفضله مع القعود عن أسباب رضاه ، والتجرؤ على معصيته فما هو من الرجاء في شيء بل هو الغرور والتمني[٢] .

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٨ .

(٢) والتمني والغرور قد يطلق عليهما اسم الرجاء من باب وجود التوقع والأمل فيهما ولكنهما من ناحية العبودية مذمومان ، فالغرورطمع وأمل بلا عمل ولا أخذ بالأسباب. والتمني طمع بلا سبب معلوم الوجود أو معلوم الانتفاء ، انظر إحياء علوم الدين للغزالي(٤ / ١٢٤) وانظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٥٢٠) . وكثير من الناس اليوم مغترون بكرم الله وعفوه ومغفرته ، لاجون في معصيته ويتمنون مرتبة الصديقين !! ويظنون جهلا أن هذا هو إحسان الظن بالله وحقيقة الرجاء فيه ! وللمحاسبي كلام نفيس في بيان الفرق بينها وكيفية اختبار ما في النفس إن كان من باب الرجاء الصادق أو من باب الغرور برحمة الله ، انظر باب الغرة بالله عز وجل في كتابه الرعاية لحقوق الله ص٥١٤ وما بعدها .

قال ابن القيم : (من رجا شيئا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور : أحدها محبته ما يرجوه . والثاني : خوفه من فواته . والثالث : سعيه في تحصيله بحسب الإمكان ، وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني ، والرجاء شيء والأماني شيء آخر)[١] .

منزلته من العبودية :

ما ورد في الحث على الرجاء وبيان فضيلته أكثر من الحصر ، فكل ما ورد في حسن الظن وفي ذم القنوط هو في بيان فضل الرجاء ، كما أن نصوص الكتاب والسنة التي تذكر بفضل الله ورحمته وتخبر عن عفوه وتجاوزه كلها تعمل على بعث هذه العبادة في القلب وفي هذا إشارة إلى منزلته ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر: ٥٣]، وفي الحديث القدسي : (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة)[٢] . ونجمل منزلته بأمرين مهمين :

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم ص ٧٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده (٥ / ٥٤٨) وقال حديث غريب لا نعرفه =

أولهما : أنه أحد الركائز التي بكمالها تتحقق العبودية[١]، ويلازم العبد بها الطاعة فالنفوس إنما تتحرك بالحب وتنزعج بالخوف فتسرع في الهرب ، ويحدوها الرجاء فيطيب لها المسير[٢] .

فـ(طمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له ، وإعراض قلبه عن الطلب من الله والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية له)[٣]، و(الرجاء هو محض الإيمان)[٤] وعلى هذا فلا يُتصور أن ينفك المؤمن عن الرجاء بحال إذ (الرجاء على وجوه: أحدها رجاء الظفر بالمطلوب والوصول إلى المحبوب . والثاني : رجاء دوامه . والثالث: رجاء دفع المكروه وصرفه)[٥]، فالمؤمن على كل حال راجٍ؛

= إلا من هذا الوجه . وأخرج الحاكم نحوه في المستدرك كتاب التوبة والإنابة (٤ / ٢٦٢) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يوافقه الذهبي ، بينما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٢٤٩) حديث رقم ١٢٧ .

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٤١) .

(٢) انظر المرجع السابق (٢ / ٥٠) ، وقد ردّ ابن القيم -رحمه الله - على المتصوفين الذين يجعلون الرجاء مرتبة دنيا خاصة بالعوام ، أما الخواص فلا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا !!

(٣) العبودية لابن تيمية ص ٥٨ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٥٤) .

(٥) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٥١٧) .

إن كان على طاعة رجا دوامها ورجا من الله قبولها ، وإن كان على معصية رجا أن يتوب الله عليه منها ورجا قبول توبته . فقلبه دوماً معلق بالله حتى يلقاه راضياً عنه غير غضبان .

ثانيًا : أنه من أقوى الأسباب التي ينال بها العبد مرضاة ربه عز وجل إذ إنه باعث قوي على العمل والصدق في الطلب ، وملازمة الطاعات ومجانبة السيئات[١] . (قال بعض أهل العلم الرجاء واسطة بين المعرفة والطلب فإن من لا معرفة له بالمرتجى لا خير له فيه على الطلب ، فالمعرفة تبعث على الرجاء والرجاء يبعث على الطلب)[٢]، ويتضمن الطلب أنواع العبادة المختلفة[٣].

والمطلب التالي يفصل المعرفة الباعثة على الرجاء .

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١١ / ٣٦٥) .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٥٢٠) .

(٣) لتفصيل أثر الرجاء في تحقيق عبودية سائر الجوارح أفرد مطلب خاص في نهاية هذا المبحث .

المطلب الثاني

في بيان الأسباب الباعثة على الرجاء

إن المعرفة بصفات المرتجى وأفعاله وأسمائه سبحانه وتعالى هي الباعثة على قوة الرجاء فيه ، والطمع في رحمته وثوابه لاسيما إذا كانت هناك معرفة بقصور النفس عن أداء حقه عز وجل .

ويمكن تفصيل هذه المعرفة الرئيسة إلى عدد من المعارف التي يبعث استحضارها عبادة الرجاء في قلب العبد :

أولاً : المعرفة بسعة رحمة الله سبحانه وتعالى : (فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، وغلبة رحمته غضبه)[١] . ورحمة الله تامة عامة : تامة تقتضي إفاضة الخير على جميع المحتاجين ، وإرادة النعمة لهم عناية بهم . عامة : تتناول المستحق وغير المستحق [٢] .

قال ﷺ مخبراً عن سعة رحمة الله سبحانه وتعالى : (جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٤٢) .

(٢) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص ٦٢ .

جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق،حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)[١] فنشره (رحمته على العباد مع كثرة ذنوبهم وعظائم جرمهم ، يخلصهم من غمرة الجزع ، ويفتح لهم أبواب الرجاء والطمع[٢] . ولو رفع الله رحمته عنهم لضاقت بهم الحياة ولتمادوا في الباطل .

ثانيًا : المعرفة بحلمه ومغفرته عز وجل : فهو (الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب ، ولا سيما إذا أتوا بما يسبب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . وهو عفو يحب العفو ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه)[٣] .

ومن تأمل واسع حلمه على العباد فإنه يرجو رحمته وإن عظم ذنبه، فربه الحليم الغفور يشمل عباده بعظيم مغفرته وكثير عفوه وكرمه ، ويكلؤهم على فرشهم ، يرعاهم بعينه التي لا تنام ويرزقهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب جعل الله الرحمة مائة جزء ص١١٦٣، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ص١١٠١ .

(٢) انظر أسرار المعاني لمحمود حسن ص ٣٧ .

(٣) شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص١٠٧ .

ويعافيهم ، برغم تماديهم في الغي وجرأتهم عليه سبحانه وتعالى، ومبارزتهم له بالعظائم . ألا ما أحلمه وأكرمه عز وجل .

ثالثا : المعرفة بقربه وإجابته سبحانه وتعالى: فالنفوس جُبلت على الإقبال على القريب منها، وسؤال من يجيبها ، والتزلف لمن يتلطف معها ويرأف بحالها ، والله سبحانه وتعالى له الكمال في ذلك كله فهو الذي (يقابل مسألة السائلين بالإسعاف ودعاء الداعين بالإجابة ، وضرورة المضطرين بالكفاية ، بل ينعم قبل النداء ويتفضل قبل الدعاء)[(١)]، و(هو البر بعباده ، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون)[(٢)] .

والعبد كلما عرف ربه عز وجل بصفات قربه ولطفه وإجابته قوي رجاؤه فيه ورغبته إليه وأمله في مرضاته وشوقه إلى لقائه .

فالرجاء هو عبودية لله بأسمائه وصفاته ، إذ معرفته بها توجب له الرجاء في مولاه من حيث يدري ومن حيث لا يدري[(٣)] .

وفي المطلب التالي بيان لبعض الأسماء والصفات الدالة على هذه المعاني والتي باستحضارها يتحقق الرجاء .

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص ١١٨ .

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص ٦٢ .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٤٢) .

المطلب الثالث

في بيان بعض الأسماء والصفات المحققة للرجاء

أسماء وصفاته الدالة على معاني الرحمة والمغفرة ونحوها كثيرة . وفي هذا المطلب بيان بعضها بحسب ما يظهر من ارتباط معانيها بتحقيق الرجاء في القلب ، وتأكيد حسن الظن بالله وتعميق الأمل في عفوه ورضوانه .

ويمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات بحسب تقارب معانيها ودلالتها :

أولاً : بعض الأسماء والصفات الدالة على سعة رحمة الله عز وجل :

فالرحمة صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى ،كتبها على نفسه وقال : ﴿ **كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ [الأنعام: ١٢]، رحمة شاملة واسعة كما قال عز وجل : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. ويدل عليها كثير من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى فهو الرحمن الرحيم وهو الرؤوف اللطيف سبحانه وتعالى .

والرحمن والرحيم : اسمان مشتقان من الرحمة، (فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ، وأسباب معاشهم

ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح . أما الرحيم فخاص بالمؤمنين كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٣][١] .

وهذان الاسمان يدلان على أنه سبحانه وتعالى راحم ، وأن له رحمة ومرحوماً . كما يدلان بالتضمن على وصفه عز وجل بالحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام واللطف ، وكذا وصفه بكل صفة لا يتم الفعل إلا بها[٢] .

و(المفهوم من الرحمن نوع من الرحمة هي أبعد من مقدورات العباد : بالإيجاد أولا ، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً ، وبالإسعاد في الآخرة ثالثاً ، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً)[٣] فاسم الرحمن يتضمن معنى الإنعام[٤] بما لا يتصور صدور جنسه من

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص ٣٨ .

(٢) انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٧٣) .

(٣) المقصد الأسنى للغزالي ص٦٣ .

(٤) ولا يعني هذا أن الرحمة الإلهية هي الإنعام كما قال بذلك الجهمية والمعتزلة انظر الكشاف للزمخشري (١ / ٤٥) ، بل الإنعام من آثار رحمته، وهو سبحانه وتعالى ذو رحمة حقيقية تليق بجلاله وعظمته ، بين ذلك ابن القيم في رده على الجهمية مثبتاً أن رحمة الله حقيقة لا مجاز . انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢ / ١١٢) .

العباد[١] ، والرحيم يتضمن معنى الإنعام بما يتصور صدور جنسه من العباد[٢] . ولذا (لا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى من حيث أن معناه لا يصح إلا له)[٣]، بخلاف الرحيم الذي هو (وصف يدل على الفعل الذي تقع المشاركة فيه ولذلك وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين)[٤] .

ومن رحمته أن كتب على نفسه الرحمة ، وأن جعل رحمته تغلب غضبه ، قال ﷺ : (لما خلق الله تعالى الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه ، وهو وضع عنده على العرش : إن رحمتي تغلب غضبي)[٥] .

وآثار رحمته مبثوثة في الكون والحياة وفي الخلق والأمر ؛ فهو الذي عمت رحمته خلقه في جميع الأقطار ؛ خلقهم وأنعم عليهم بالحياة والحواس والنعم العامة المتنوعة في أنفسهم التي لا

---

(١) كخلقه لهم ، وتشريعه الشرائع وإرساله الرسل وإنزاله الكتب ، وغيره مما لا يستطيعه العباد وإن كانوا رحماء .

(٢) كإيصال خير أو تسبب في نفع ونحوه مما يفعله العباد تراحماً بينهم . انظر لوامع البينات للرازي ص١٧ .

(٣) موسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي (١ / ٢٦) .

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ /٧٣) .

(٥) سبق تخريجه ص ٢٢١ .

يحصيها العد .

ومن آثار رحمته ما هيّأ لعباده من أسباب الاستقرار والمعيشة ؛ فبسط لهم الأرض ودحاها ، وبالجبال أرساها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وإن نضب ماؤها وقل خيرها فبرحمته ينزل المطر قال عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ [الشورى: ٢٨]، فيبصرون من آثار رحمته حياة أرضهم ونبات زرعهم قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم: ٥٠].

وحدثنا سبحانه عن آثار رحمته بقوله : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٣].

ومن رحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ كما أخبرنا بذلك فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، وبرحمته أنزل علينا كتابه وعلمنا من الجهالة وهدانا من الضلالة وبصرنا من العمى وأرشدنا من الغي . وبواسع رحمته وعظيم فضله عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله حتى عرفنا به أنه ربنا ومولانا . فأنواع النعم وصنوف الإحسان ، وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثار رحمته [١] .

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢ / ١٢١) . وانظر مابعدها فقد كتب كلاماً نفيساً أودع فيه تأملاته في آثار الرحمة. وكذا جمع =

وقد ورد اقتران الرحمن والرحيم كثيراً في القرآن : كما في البسملة والفاتحة ، وفي هذا الاقتران دلالة على سعة الرحمة وشمولها كما قال ﷺ : (الله أرحم بعباده من هذه - أي الأم الرؤوم -[١] بولدها)[٢] . (وربما رحم عبداً بما يكون في الظاهر مشقة وشدة ، ولكنه في الباطن نعمة ورحمة والعبد لا يعلم)[٣] .

كما ورد في القرآن كذلك اقتران اسم الرحيم باسم الغفور ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يوسف : ٩٨]، وباسم التواب قال عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة : ١١٨] وفي ذلك زيادة في دلالات الكمال ، فهو يغفر ذنوب عباده ويتوب عليهم بواسع رحمته ، لا لانتظار عوض منهم ، فدل ذلك على كمال

= الأستاذ شحاته في "أسماء الله الحسنى" حشداً من آثار الرحمة الإلهية مما يظهر للعلماء كلما تفكروا في أنفسهم وفي خلق السموات والأرض ، انظر ص٤٤٥ . وكذا انظر "في ظلال القرآن" (٥/ ٢٩٢٢) كلاماً نفيساً عن رحمة الله الواسعة يأسر القلب ويعمره بالحب والرجاء .

(١) التوضيح ليس من نص الحديث .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه ص١٠١١ .

(٣) موسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي (١ /٣٩٧) .

رحمته وكمال توبته ومغفرته .

كما ورد اقترانه باسم الودود [١]، قال عز وجل : ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠] ، وباسم البر قال تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٨] وكذا باسمه الرؤوف ،قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥] وفي ذلك دلالة على غاية الكمال في الرحمة، إذ هي رحمة بود وحب – وهذا خاص بالمؤمنين – رحمة فيها من صنوف البر والعطاء ما لا يخطر على قلب البشر ، رحمة عظيمة واسعة شديدة إذ الرأفة شدة الرحمة[٢] .

---

(١) وكذا ورد اقترانه بـ "العزيز" لبيان كمال العزة والغلبة والتي لا تتنافى مع الرحمة بل بحكمته عز وجل يتجلى بعزته ورحمته ؛ فيغلب أعداءه ويذلهم بعزته ، وينجي رسله وأتباعهم برحمته. ومن هذا ختمه سبحانه وتعالى قصص الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء فقال عقيب كل قصة : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ كما في آية رقم ٩. انظر أسماء الله الحسنى لابن القيم ص ٢٩٧.

(٢) والفرق بين الرحمة والرأفة أن الرأفة أشد الرحمة وأبلغها ، كما أنها لاتكون إلا مع الخير والعافية والرحمة تكون كذلك بشيء مكروه أو عقيب بلاء . انظر شأن الدعاء للخطابي ص٩١ ، والمقصد الأسمى للغزالي ص١٤٢، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (٢/٢١٦) .

واسمه **الرؤوف** : يدل على أنه ذو الرأفة ، وهو بمعنى الرحيم مع مبالغة[١]، ويقترن به كثيراً في التنزيل .

وكذا من أسمائه عز وجل الدالة على رحمته : اسم **الرفيق** ، ومعناه : الكثير الرفق ، الميسر المسهل لأسباب الخير كلها ، وكذا يأتي بمعنى الحليم الذي لا يعجل بعقوبة العصاة ليتوب من سبقت له العناية[٢] . ومن رفقه سبحانه وتعالى بعباده أنه يظهر لهم رأفته ورحمته بهم شرعًا وقدراً[٣] .

وكذا من الأسماء الدالة على رحمته اسم **اللطيف** ، ومعناه : (البر بعباده ، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون ، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون)[٤] . فهو(المحسن إلى عباده في خفاء وستر)[٥]، و(إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك

---

(١) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص ١٤٠ .

(٢) انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٥٥٧) .

(٣) انظر المرجع السابق (٣ / ١٢) .

(٤) شأن الدعاء للخطابي ص٦٢ .

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٤٤ .

تم معنى اللطف)[١] . وليس ذلك لأحد على الكمال إلا له سبحانه وتعالى .

والوجود كله يشهد برأفته ولطفه ، فآثار رحمته الواسعة التي يعجز الإنسان عن ملاحقتها وتتبعها في نفسه وتكوينه وأجهزته المختلفة ، وفيما سخر الله له من حوله مما يعلمه ومما لا يعلمه ، هي كذلك آثار للطفه ورأفته سبحانه وتعالى .

ثانيا : بعض الأسماء والصفات الدالة على حلمه ومغفرته عز وجل :

حلم الله سبحانه وتعالى صفة فعلية له يدل عليها كثير من أسمائه وصفاته نحو: الحليم والغفور والغفار والعفو والتواب والكريم [٢]:

فاسمه **الحليم** ، دال على أنه (هو ذو الصفح والأناة)[٣] . فهو سبحانه وتعالى (لا يعاجل بالعقوبة)[٤] مع أنه يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ، ولو شاء أخذهم في وقت معصيتهم

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص١٠١ . فهو بمعنى الخبير ويقترن به كثيراً في التنزيل ، وبمعنى الرؤوف ، انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥/٤٥٧) .

(٢) في أحد معانيه كما سيأتي بيانه .

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص ٦٣ .

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٤٥ .

أخذهم ولكنه لا يسارع إلى الانتقام مع غاية الاقتدار[١] .

ف(هذا الاسم مفهومه الصبر عن استعجال المجازاة مع الاقتدار عليها لاستدراك العفو، ولظهور الفضل ، وإنهاء العذر أو لحكمة بالغة)[٢] .

من آثار حلمه : تركه العصاة يتقلبون في نعمته ، قال عز وجل : ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ [فاطر: ٤٥]، وحلمه على الجهال والسفهاء من اليهود والنصارى الذين نسبوا له الولد واتهموه بالفقر وهو يصبر عليهم بل يرزقهم ويعافيهم سبحانه وتعالى . وصفه رسوله محمد ﷺ فقال : (ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يدعون له الولد ، ثم يعافيهم ويرزقهم)[٣] ، فهو سبحانه وتعالى لا يحبس إحسانه ورزقه

---

(١) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص ١٠٣ . و الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١ /١٤٤) .

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٩٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، ص١٤٠٦١ . وفي كتاب الأدب ، باب الصبر على الأذى ص١١٧٨ . وأخرج مسلم نحوه في صحيحه ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ص١١٢٨ .

حتى عن العصاة المنهمكين في المعصية، ولو تفكروا في هذا لاستحيوا منه ورجوا رحمته وخافوا عذابه .

ومن حلمه تأخير عقوبة المتكبرين على الحق كما حكى لنا قولهم عز وجل : ﴿ **وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ثم هو يحلم عليهم، لعلهم يرجعون إلى رشدهم ، ويتفكرون في رحمته بهم ؛ فيتوبوا[١] .

فهو سبحانه وتعالى الحليم (الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة والباطنة ، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم ويستعتبهم كي يتوبوا ويمهلهم كي ينيبوا)[٢] (ولكن الناس يغترون بالإمهال ، فلا تستشعر قلوبهم رحمة الله وحكمته ، حتى يأخذهم سبحانه بعدله وقوته ، عندما يأتي أجلهم الذي ضرب لهم)[٣] وفرق بين الغرور والرجاء .

ويقترن اسم الحليم في القرآن باسمه العليم سبحانه وتعالى وفي ذلك بيان للحلم الذي تقصر عن وصفه العبارة ؛ إذ إمهاله وصبره عز وجل لا عن سهو أو غفلة ، وإنما محض رحمة وحكمة قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً** ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥١] .

---

(١) انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ /٩٧) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥ /٤٦٠) .
(٣) النهج الأسمى للحمود (١ /٢٧٨) .

كما أن حلمه سبحانه وتعالى مع غاية غناه لذا قرنهما الله عز وجل في قوله : ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة: ٢٦٣] . وهو يحلم ثم يتفضل بالعفو والصفح كما أطمعنا في ذلك بقوله : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥] ، بل ويضاعف القليل ويشكره : ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧] .

ومما يدل على عظيم حلمه تجاوزه عن سيئات عبيده تسميه بالغفار والغفور والعفو والتواب سبحانه وتعالى :

فالغفار : هو (الستار لذنوب عباده والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته)[١] ، (مبالغ في الستر فلا يُشهّر في الدنيا ولا في الآخرة)[٢] .

والغفور : (هو الذي تكثر منه المغفرة)[٣] ، فهو بمعنى الغفار ولكنه ينبئ بشيء من نوع مبالغة لا ينبئ عنها الغفار ، ففي معنى الغفار مبالغة في المغفرة مرة بعد مرة ، وفي معنى الغفور مبالغة في تمامها وشمولها وكمالها حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة[٤] . والله سبحانه وتعالى هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى . كلما

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص٥٢ . وانظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٣٨ .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٢٠١) .

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص ٦٥ .

(٤) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص١٠٥ .

تكررت التوبة من الذنب من العبد ؛ تكررت المغفرة منه تعالى، كما قال عز وجل: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢].

أما اسمه **العفو** فمعناه : (الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، فهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه ، فإن الغفران ينبئ عن الستر والعفو ينبئ عن المحو)[١] فالعفو سبحانه وتعالى هو (الواضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثامهم إذا تابوا)[٢] .

ومن كمال عفوه ومغفرته ستره ذنوب عباده في الآخرة وتجاوزه عنها برحمته وعفوه قال ﷺ : (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول: نعم أي رب . حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك ، قال:سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . فيعطى كتاب حسناته)[٣]. فيُظهر الجميل ويستر القبيح ، والذنوب من جملة القبائح التي يسترها ، بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة[٤] ، قال عز

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٠ .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٢٠١) .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] ، وأخرج مسلم نحوه في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن أكثر ص١١٠٨ .

(٤) المقصد الأسنى للغزالي ص٨٠.

وجل : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد : ٦].

والذي يعرف رحمة ربه بالستر والمغفرة والعفو تنفتح أمامه أبواب الرجاء والأمل فيبادر بتوبة نصوح طمعاً في مرضاته سبحانه وتعالى إذ (كل من أقلع عن زلته وصدق الله في توبته عفا الله عنه، وغفر له، وعاد كمن لا ذنب له . قال تعالى : ﴿ إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ [طه: ٨٢]، بل وعد المتجاوزين للحد من العصاة بالمغفرة إن تذكروا واستغفروا بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ويقترن اسمه الغفور بالعفو؛ فيدل على كمال في المغفرة والعفو أكثر مما يدل عليه كل اسم بمفرده . وكذلك يقترن باسمه الرحيم والحليم لينبئ عن مغفرة بعد صبر وإمهال، مغفرة تكتنف العبد برحمة مولاه، وفي هذا الاقتران كمال إلى كمال، يعمر قلب المؤمن بالرجاء ويدفعه للتوبة والطاعة .

وكذا ورد في القرآن اقتران الغفور بالودود والشكور؛ ليقبل العبد على ربه أكثر توبة ورجاء، فربه الودود يغفر ذنوبه، ويشكر توبته فيبدل سيئاته حسنات كما وعد[1] فقال : ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ

---

(١) انظر أسماء الله الحسنى لابن القيم ص ٢٨٣ .

وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠].

وكذلك ورد اقتران الغفور والغفار بالعزيز من أسمائه سبحانه وتعالى للدلالة على وجه كمال عظيم في ذاته وفي عفوه سبحانه وتعالى، فالغفور هو كذلك السيد التام القدرة ، المنيع الذي لا يغلب، وإنما يغفر فضلا وإحساناً من دون قيد ولا شرط[١] . ومن هذا الباب أيضا اقتران اسم العفو باسم القدير ، فعفوه عن رحمة وود وكذا هو عن قوة وغلبة واقتدار مع حكمة وإرادة .

ومن تأمل هذا سارع لمرضاته حباً وخوفاً ورجاءاً وفي ذلك كمال عبوديته .

وكذلك اسمه **الكريم** يدل على عفوه ومغفرته فالكريم : هو الصفوح[٢] الذي يعرض عن الذنب ويغفره ، بل من كرمه (أن العبد

---

(١) انظر موسوعة "له الأسماء الحسنى" للشرباصي (١ /١٨٩) .

(٢) وله معانٍ أخر هي : الكثير الخير ، وبهذا المعنى هو أقرب للدلالة على معنى الإحسان والإنعام ، وكذا يأتي بمعنى العزيز العظيم وهو بهذا المعنى دال على عظمة الذات وجلالة الصفات . انظر شأن الدعاء للخطابي ص ٧١. والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ١١٢). والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١ / ٢٠١) .

إذا تاب عن السيئة محاها عنه وكتب له مكانها حسنة ، فهو إذا قدر عفا ، وإذا وعد أوفى ، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء [١] .

واسمه **التواب** كذلك من معاني الحلم والمغفرة قريب فالتواب معناه : (الذي يقبل رجوع عبده إليه تاركاً لمعصيته)[٢] ، وهو (الذي يتوب على عبده ويقبل توبته ، وكلما كرر التوبة تكرر القبول)[٣] ، وفي وصفه بأنه تواب(مبالغة ؛ لكثرة من يتوب عليه ، ولتكريره ذلك في الشخص الواحد حتى يقضي عمره)[٤] . قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٤] ، وقال واصفًا نفسه عز وجل: ﴿ **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴿٣﴾ ﴾ [غافر: ٣] ، وبين ذلك رسول الله ﷺ بقوله : (إن العبد إذا اعترف ثم تاب إلى الله تاب الله عليه)[٥] .

---

(١) انظر المقصد الأسنى للغزالي ص ١١٧ .

(٢) انظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٦٢ .

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص ٩٠ .

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٤١٠) .

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ص ٧٨٨ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، ص ١١١٢ .

وورد اقتران اسم التواب باسمه الرحيم في كتاب الله ، وفي هذا الاقتران دلالة على مزيد الفضل[١] من كمال قبوله للتوبة فيرحمه بعدها ولا يعاقبه ، ويقبله ولا يرده فضلا منه ورحمة ، فهو (المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة ورحمته إياه إقالة عثرته ، وصفحه عن عقوبة جرمه)[٢] وكذا من رحمته (تيسيرأسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما يُظهر لهم من آياته ويسوق لهم من تنبيهاته)[٣] .

كذلك اقترن بالحكيم واقترانه به ورد في سياق حادثة الإفك في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [النور: ١٠]، ودل ذلك على كمال توبته على العباد ببيان أثرها من تشريع الحدود والكفارات التي تطهر من الذنب وتكون توبة للعبد[٤] ترجّيه في فضل الله وتطمعه في ثوابه .

ثالثًا : بعض الأسماء والصفات الدالة على قربه وإجابته عز وجل :

قرب الرب سبحانه وتعالى (قرب لا تدرك له حقيقة [٥]، وإنما

---

(١) انظر روح المعاني للآلوسي (١ / ٢٣٨) .

(٢) جامع البيان للطبري (١ / ١٩٥) .

(٣) المقصد الأسنى للغزالي ص ١٣٩ .

(٤) انظر النهج الأسمى للحمود (٢ / ١٩١) .

(٥) فهو قرب يليق بجلاله وعظمته . وليس عدم إدراك كنهه مبرراً لتعطيله أو تحريفه كقول الجهمية : القرب المراد إرادة الثواب . كما أنه لا يقتضي =

تعلم آثاره ، من لطفه بعبده وعنايته به ، وتوفيقه وتسديده)[١] ، وقد سمى نفسه سبحانه وتعالى : **القريب** وهو اسم دال على صفة فعل له عز وجل وهي دالة على قرب حقيقي خاص كنزوله سبحانه وتعالى للسماء الدنيا . وقربه ممن دعاه .

ومن المعاني التي يدل عليها اسم القريب : قربه بعلمه من خلقه ، وقربه بإجابته ، فهو قريب ممن يدعوه بالإجابة[٢]،كما قال عز وجل : **﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾** [البقرة: ١٨٦]، فوصف الله عز وجل نفسه بالقرب من داعيه ، وكذا بين رسول الله ﷺ قربه من عابده والساجد له فقال : (أقرب ما يكون العبد من ربه ، وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء)[٣] ، وقربه من المتهجدين في جوف الليل ونزوله إلى السماء الدنيا، قال ﷺ : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء

= الحلول كما يقول الحلولية . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ٤٦٦). وانظر صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة للسقاف ص٧٥ . والصفات الإلهية للجامي ص٢٤٦ .

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥ / ٤٦١) .

(٢) انظر شأن الدعاء للخطابي ص ١٠٢ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع ص ٢٠٠ .

الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له)[١]، وقربه عشية عرفة، ودنوه من عباده ، ونحو ذلك مما جاءت به النصوص الصحيحة الصريحة ، وهولا يتنافى مع علوه على عرشه وفوقيته على عباده وهو أيضا مما ثبت بالأدلة المستفيضة[٢](فسبحان من هو علي في دنوه قريب في علوه)[٣].

والعبد إذا عرف ربه بصفة القرب كما في الحديث القدسي (يقول الله تعالى : من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)[٤]؛ فإن ذلك يدفعه إلى التقرب له ودعائه وطاعته رجاء قربه عز وجل .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ص٢٢٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الترغيب في الذكر والدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ص٣٩٨ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (٥ / ٤٦٥) و(٦ / ١٤) .

(٣) انظر شرح القصيدة النونية لهراس (٢ / ٩٢) وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسى (٢ / ٢٢٩) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ص١٠٧٨، وأخرج البخاري نحوه في الصحيح ، كتاب الوحيد ، باب قول الله : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ص١٤١٠.

وقد اقترن القريب في القرآن بالسميع قال تعالى : ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾[سبأ: ٥٠]، وفي اقترانهما مزيد كمال يُشعر المستغفرين والتائبين بقربه منهم، وسماعه لابتهالهم وتضرعهم وإن خفتت أصواتهم .

وكذا اقترن بالمجيب قال عز وجل : ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١]، (ومعلوم أنه لا يقال مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه)[١] فسمى نفسه المجيب سبحانه وتعالى . والمجيب : (هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويغيث الملهوف إذا ناداه)[٢]، (وهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا وأين كانوا وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا ، الوعد المطلق. وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له ، المنقادين لشرعه)[٣]. فتح باب الدعاء على مصراعيه وحث عباده على طرق بابه وبشرهم بالإجابة[٤] ، ففي الحديث القدسي : (ياعبادي لو أن

---

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسى (٢ / ٢٣٠) .

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٥١ . وانظر شأن الدعاء للخطابي ص٧٢ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥ / ١٦٤) .

(٤) إجابة الدعاء أعم من إعطاء عين السؤال ، بيّن ذلك رسول الله ﷺ بقوله : (ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال : إما أن يعجل له دعوته ، أو يدخر له من الخير مثلها)، أو يصرف عنه من الشر مثلها ، قالوا يا رسول الله إذا نكثر ، قال : (الله أكثر). بيّن هذا ابن أبي العز ، انظر شرح الطحاوية ص٥٣٩ .

أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)[١] .

ومن آثار اسمه **المجيب** إجابته لدعوات الأنبياء ودعوات عباده المضطرين التي حفل بذكرها القصص القرآني ، وكذا صنوف العطايا والنعم – التي يحصلها العبد كلما أقبل ودعا ، وألحّ وتضرع ، وطلب وتذلل – التي لا يمكن حصرها وتقصيها .

ومن دلائل قربه وإجابته أنه شكور ، ومعنى الشكور من أسمائه عز وجل: أنه (يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود)[٢] فـ(يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملا)[٣] ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وأنه يتقرب ممن تقرب إليه قليلا تقرباً كثيراً ، وفي هذا إضافة إلى صفات القرب والإجابة دلالة على صفة الود المقتضية للإحسان والتفضل.

---

(١) سبق تخريجه ص٢٨٠ .

(٢) المقصد الأسنى للغزالي ص١٠٥ .

(٣) توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص٣٨٥ .

فمن أسمائه **الودود** : (الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم)[١]، وهو الـ(مودود عند أوليائه)[٢](لما يتعرفونه من إحسانه إليهم وكثرة عوائده عندهم)[٣]. فمعنى الودود في وصفه أنه يود المؤمنين ويودونه [٤] قال تعالى : ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة: ٥٤]. كما أنه سبحانه وتعالى يودد عباده إلى الناس[٥] : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴿٩٦﴾ ﴾

[مريم: ٩٦].

وكذا يدل على قربه وإجابته اسمه **الحيي** ، ومن حيائه سبحانه وتعالى أنه يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يرده بلا إجابة [٦].

واسم الحيي معناه :كثير الحياء[٧]. وحياؤه سبحانه وتعالى وصف

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص١٢٢ .

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٥٢ .

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص ٧٤.

(٤) انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (٢ / ٤٢٥) .

(٥) انظر شأن الدعاء للخطابي ص ٤٧ .

(٦) مقتبس من حديث أخرجه أبو داوود (٢ / ١٤٨٨) ، والترمذي (٥/ ٣٥٥٦) ونصه : (إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً) .

(٧) انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١ / ٥٣٣) وشرح القصيدة النونية لهراس (٢ / ٨٠) .

يليق بجلاله وعظمته[١] . ومن أثره ما يرى العبد من إكرام ربه له وإجابته دعوته وإعطائه سؤله .

والعبد الراجي لربه متعلق الأمل ببره وجوده وكرمه ، عابد له بأسمائه : الحليم ، الغفور ، الكريم ، القريب ، المجيب ، الشكور الودود ونحوها[٢]، فإذا استحضر العبد أن ربه قريب منه ، يجيب دعوته ويشكر سعيه ، وإن أقبل عليه قبله وإن استغفره غفر له فإنه ولاشك يحبه ويرجو أن يكون محبوباً عنده فيدفعه ذلك إلى تحقيق عبوديته له بأنواع الطاعات والعبادات التي ترضيه عنه وتفصيل هذا في المطلب التالي .

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر المرجع السابق ، و النهج الأسمى للحمود (٣ / ١٠٣).

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٤٣) .

المطلب الرابع

أثر الرجاء في تحقيق العبودية

إن رجاء الله ورجاء رحمته ورضاه أمر لازم للعبد كي يحقق عبوديته لمولاه سبحانه وتعالى، فإنه لا يخلو من (ذنب يرجو مغفرته ، وعيب يرجو إصلاحه ، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها)[١] ، والرجاء يشحذ همة العبد للعمل فيما يقربه مما يرجوه ، ويحقق له ما يؤمله ، وينيله ما يطلبه ، فهو باعث قوي للنفس على تحقيق العبودية لله رب العالمين وآثاره على القلب واللسان والجوارح كثيرة ، وتفصيل هذا يظهر في الأمثلة التالية :

أولاً : أثر الرجاء في تحقيق عبودية القلب :

الرجاء حادٍ يحدو القلب لتحقيق العبودية ويدفعه إلى ملازمتها والنصح فيها ، وفيما يلي بعض أمثلة تبين أثر الرجاء في تحقيق أنواع من العبادات القلبية :

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٤٣) .

أ . أثر الرجاء في تحقيق المحبة :

الراجي معلق أمله بحصول ما يحبه من قبول ربه لتوبته ، ورضاه عنه ، وغير ذلك من المحبوبات ، و(كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى)[١] وكلما ازداد حباً ازداد رجاءاً وطمعاً في فضل أكثر وعطاء أوسع من ربه الكريم الودود فالحب والرجاء بينهما تلازم كبير و(كل واحد منهما يمد الآخر ويقويه)[٢].

ب . أثر الرجاء في تحقيق الخوف :

لا يتحقق الرجاء إلا مع الخوف كما أن الخوف لا يتحقق إلا مع الرجاء (فهما متلازمان لأن الرجاء بلا خوف أمن على الحقيقة ، والخوف بلا رجاء قنوط في الحقيقة ويأس من رحمة الله)[٣].

و الرجاء محمود لأنه باعث ، واليأس مذموم ـ وهو ضده ـ لأنه صارف عن العمل ، فالخوف ليس بضد للرجاء بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة ، وكل من رغب في شيء خاف فواته (فكل راج خائف ، وكل خائف راج)[٤].

---

(١) المرجع السابق (٢ / ٥٠) .

(٢) المرجع السابق (٢ / ٥١) .

(٣) حدائق الحقائق للرازي ص٤٦ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ١٥) .

وهكذا فرجاء العبد في ثواب الله ، والنظر إلى وجهه الكريم يدفعه للسعي في الطريق الموصل لذلك ، مع خوف من التقصير أو الرد الذي يفوّت عليه المحبوب .

ج . أثر الرجاء في تحقيق الشكر لله عز وجل :

إن في الرجاء من حسن الظن والأمل في فضل الله ما يوجب فرح العبد الشديد بحصول علامات تدل على قرب ما يرجوه ؛ فيشكر ربه عز وجل على فضله ورحمته ونعمائه ، وكلما (حصل له مرجوه كان أدعى لشكره)[١] وامتنانه . وإذا علم أن ربه الحيي ، الكريم ، المجيب لن يرده خائباً وإن لم يعطه سؤله ذاته ، فرح بما يستشعره من إجابة ربه فيلهج لسانه بحمده ، ويسارع لمرضاته شكراً له[٢] . وهكذا يكون رجاؤه سبباً في تعبّده لله بالشكر عملا وقولا .

د . أثر الرجاء في تحقيق حسن الظن بالله سبحانه وتعالى :

حسن الظن واجب من واجبات التوحيد ، وهو مبني على العلم برحمة الله وإحسانه وعزته وحكمته وكافة أسمائه وصفاته[٣] ، وقد ذم الله من أساء الظن به فقال : ﴿ **يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ**

---

(١) المرجع السابق (٢ / ٥٠) .

(٢) راجع الفرق بين الإجابة والإعطاء ص٣٩٠ .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد لآل الشيخ ص٥٠٨ .

هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، والراجي لربه عز وجل ظنه فيه أنه وحده إلهه الذي يملك أمر نفعه وضره، وحده يعلم حاجته، ويدفع ضرورته، وحده يسمع نجواه ويجيب دعاه؛ فظنه فيه أنه عليم رحيم حليم غفور ودود شكور قريب مجيب، فيعكف قلبه على محبته ويظل يدعوه ليحصل له ما يرجوه، واثق بكرمه، محسن الظن فيه.

وكذلك فللرجاء أثر كبير في تحقيق التوبة والإنابة وغيرها من أعمال القلوب، فما ذكر من أثره على هذه الأنواع إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر.

ثانيًا: أثر الرجاء في تحقيق عبودية اللسان:

إن الطمع والأمل في الله الناتج من الرجاء؛ يوجب للعبد ملازمة الاستغفار ليتطهر مما يحول بينه وبين لقائه.

كذلك فالراجي دائم الطلب لما يرجوه ممن يرجوه، وهذا يدفعه للإلحاح في الدعاء بأن يحقق الله مبتغاه ويمن عليه برضاه (إذ الدعاء طلب ولا طلب إلا بعد الرجاء)[١]. وكلما قوي طمع العبد في ربه ورجاؤه له أقبل عليه أكثر وانصرف عن الطلب من غيره[٢].

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٥٢٧).
(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٣٨١).

ودعاء المسألة ودعاء الثناء من العبادات القولية العظيمة التي يحققها رجاء الله عز وجل فالداعي يعلم علم ربه الذي يدعوه بحاله وحاجته ، وسماعه لندائه واستغاثته ، ويعرف أنه (قريب منه يجيب دعوته ، ويغفر زلته ، ويعطيه على جهده القليل الأجر الوافر الجزيل، كما في الحديث القدسي : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني)[1]، ولذا فإنه يكثر التضرع والتذلل ، ويلح في دعائه بأسمائه وصفاته مستجيبا لدعوته في القرآن : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، يحدوه رجاؤه في ربه القريب المجيب .

وقد ضرب إمام العابدين وسيد المحققين محمد ﷺ أروع الأمثلة في الثناء والدعاء[2] إذ كان رجاؤه في الله أعظم رجاء وأكمله، ومعرفته بالله أكمل معرفة ، والله (سبحانه يُحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله ، لأن الملك الحق الجواد أجود من سُئل وأوسع من أعطى . وأحب ما إلى الجواد أن يُرجى ويُؤمّل ويُسأل)[3]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ص١٠٧٨ .

(٢) راجع كتاب فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء ، لمحمد الغزالي ؛ لتعيش مع ذلك القلب النابض بحب الله العامر برجاء الله عز وجل .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٥٠) .

إذ في الدعاء إظهار للحاجة والذل وهذا محض العبودية ، واعتراف لله بالملك والغنى وسائر صفات ربوبيته وألوهيته سبحانه وتعالى .

ثالثًا : أثر الرجاء في تحقيق عبودية سائر الجوارح :

من تأمل رحمته سبحانه وتعالى وواسع حلمه ورأفته ؛ انصرف بكليته إليه ، متعلقاً به ، باذلا أسباب رضاه ، فالرجاء (يورث طول المجاهدة بالأعمال ، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال)[١] ، فلا يزال العبد متقرباً إلى الله بما يرضيه ، متحمّلا (كل مكروه في القيام بحقه الذي ينال به ما وعد من جزيل ثوابه)[٢] ، بل إنه إذا قوي رجاؤه تلذذ بدوام الإقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له[٣] .

والقرآن مملوء بذكر حاجة العباد إلى الله دون ما سواه ، وذكر نعمائه عليهم ، وذكر ما وعدهم في الآخرة من صنوف النعيم مما يبعث الرجاء في قلوبهم ويدفعهم إلى تجنب ما يسخطه وتتبع ما يرضيه ، فيكونون بهذا عبيده حقاً وصدقاً .

فالرجاء له أعظم الأثر في تحقيق عبودية سائر الجوارح وهذا ينطبق

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٢٥) .

(٢) الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ص٥٣١ .

(٣) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٤ / ١٢٥) .

على جميع أنواع العبادة ؛ فالراجي صلاته أكثر خشوعا لقوة مطالعته لقرب ربه عز وجل منه ، وكذا حرصه على التهجد أكبر لرجائه في نيل محبوباته من قبول توبته أو دوام استقامته ونحو ذلك ، يريد اغتنام وقت النزول الإلهي في الثلث الأخير .

وفي الجملة فالراجي دائم التقربْ لله سبحانه وتعالى إذ إن أعلى محبوباته لقاء ربه عز وجل والتلذذ بالنظر لوجه الكريم ، الذي يعيش دنياه كلها آملا أن ينال ما يرجوه في الآخرة فيدخل الجنة ويحظى بمقعد صدق عند مليك مقتدر .

❁ ❁ ❁

الخاتمة

وهكذا وبعد هذه الفصول الثلاثة يظهر بجلاء أن العبودية لله رب العالمين لا تتحقق إلا بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، إذ كل اسم له تعبّد مختص به ، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي عرفها البشر ، لا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخــر[١] : فهو يعرف ربه بجماله وجلاله ؛ فيحبه ويعظمه . ويعرفه بقوته وقدرته وشدة عذابه وانتقامه ؛ فيهابه ويخافه . وكذلك يعرفه برحمته وحلمه وقربه فلا يرجو إلا إياه .

ومن ثم يدفعه الحب إلى الامتثال والطاعة ، ويحدوه الرجاء فيشحذ همته ، ويحمله الخوف على الاستقامة ، وبذا يكمّل مراتب عبوديته لله عز وجل من الذل والخضوع ، والصبر والشكر ، والرضا والإنابة ، والتوكل والاستعانة ، وكل ما يتبع ذلك من قول وعمل في مرضاة الله عز وجل ، ثم إذا قُدِّر عليه الذنب وارتكبه على حين غفلة منه كمّل عبوديته لربه بالتوبة وصدق اللجأ ودوام التذلل والتضرع ، وفي تحققه بهذا وصوله إلى غاية السعادة التي يطلبها العبد ، والتي يسعى لها الناس على اختلاف فكرهم وعقائدهم.

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٤٢٠).

وما أحوج العباد اليوم – وقد صدئت كثير من العقول والقلوب – أن يرجعوا إلى المعين الصافي في القرآن والسنة ليتلقوا منهما المعتقد الحق الذي يروي ظمأ الروح ، ويجلو صدأ القلب ، ويصحح السلوك ، ويقوّم الأخلاق ويحقق الصحة النفسية التي فقدها كثيرون في هذا العصر .

ويمكن تلخيص أهم نتائج البحث في النقاط التالية :

١ – أن المعرفة الحية الحاضرة هي طريق تحقيق العبودية ، ولهذا دعا الله عباده في القرآن بقوله : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فهو سبحانه وتعالى (مستحق للتوحيد ، الذي هو دعاؤه وإخلاص الدين له : دعاء العبادة بالمحبة والإنابة ، والطاعة والإجلال ، والخشية والرجاء ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته . ودعاء المسألة والاستعانة بالتوكل عليه ، والالتجاء إليه ، والسؤال له ، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته)[١] .

فلفظ الدعاء الذي اقترن الأمر به بأسماء الله الحسنى يعني التعبد بها من بعد معرفتها كما قال ﷺ : (الدعاء هو العبادة)[٢] . وحقيقة الدعاء : (إظهار الافتقار إليه ، والتبرؤ من الحول والقوة ، وهو

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ٤٥٦) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٠ .

سمة العبودية ، واستشعار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه)[١] والإقرار بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العلا .

٢ - أن أثر المعرفة في تحقيق العبودية يكون بحسب قوة المعرفة وضعفها ، فكلما كانت المعرفة بالله وأسمائه وصفاته قوية مفصلة مستحضرة كانت العبودية بها أتم ، وكلما كانت ناقصة وضعيفة أو اعترتها غفلة كان صاحبها أبعد عن سمة العبودية .

٣ - أن الجهل بالله سبحانه وتعالى والإلحاد في أسمائه وصفاته أصل الكفر والشرك والتعطيل ، كما أن الغفلة عن المعرفة بهذا الباب العظيم سبب رئيس في ضعف محبة الله والخوف ورجائه في قلوب العباد ومن ثم بعدهم عن سمت العبودية وما يتبع هذا من مظاهر السلوك غير السوي فـ(الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه)[٢] .

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص٤ .

(٢) ولهذا لم يجيء في القرآن والسنة إطلاق القول بأن العبادة تكليف ومشقة، وإنما ذكر التكليف في موضع النفي كقوله تعالى : ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ولا نسمي جميع الشريعة تكليفاً لأن غالبها قرة العيون وسرور القلوب ولذات الأرواح وكمال النعيم لما فيها من إرادة وجه الله والإنابة إليه وذكره وتوجه الوجه إليه فهو الإله الحق الذي =

٤- أن تحقيق ركائز العبودية الثلاث : الحب والخوف والرجاء ، كفيل إن صح - بعد توفيق الله - برفع العبد إلى أعلى درجات العبودية؛ درجة المحسنين السابقين بالخيرات ، وأن تخلف العبد عن الارتقاء في درجات العبودية إنما هو من ضعف تحقيقه لهذه الركائز والتي معرفة الأسماء والصفات أساس تحقيقها .

٥- تحقيق العبودية لله رب العالمين هو المخرج للأمة اليوم وقدسيطر السعار المادي على كثير من القلوب والعقول ، وانتشرت مظاهر كثيرة تدل على اختلال الأخلاق والسلوك ، وفشت أنواع القلق والحيرة والاكتئاب وغيرها من الأمراض النفسية ؛ إذ بتحقيق العبودية تزكو النفوس ، وتطمئن القلوب ؛ ففي القلب فاقة لايسدها إلا معرفة الله وفي القلب شعث لايلمه إلا العبودية له تعالى .

٦- أهمية إبراز التعبد الشرعي الصحيح بالأسماء والصفات لكثرة المنتشر بين الناس من أنواع التعبد البدعي الذي يتزعمه المتصوفة مستغلين بذلك حاجة الفطرة للمعرفة والعبادة [١] .

= تطمئن إليه القلوب . انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١ / ٢٦) .

(١) ومن ذلك ما تضمنته مؤلفاتهم في شروح أسماء الله الحسنى التي ينبغي التحذير منها ، مثل : شرح أسماء الله الحسنى على منظومة النابلسي لأحمد إبراهيم محمد ، و كتاب : ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها لأحمد عبد الجواد ، وكتاب منظومات أسماء الله الحسنى لمحمد عبدالرحيم .

٧- أهمية لفت انتباه العامة والخاصة إلى ضرورة فهم معاني أسماء الله وصفاته على المعتقد الحق ، واستحضار معرفتها ، وإبراز دورها في العبادة والسلوك .

هذا كما أوصي في ختام البحث الباحثين من بعدي باستشراف آثار توحيد الأسماء والصفات على مناحي الحياة والسلوك والأخلاق في مواضيع حية تبرز عظمة هذا الدين وملاءمته للفطرة السوية ، وموافقته للعقل الصحيح ، كما تبرز الدور الإيجابي للعقيدة الصحيحة في حياة الأمة المسلمة من الناحية العلمية والعملية .

هذا وإني أحمد الله عز وجل على ما وفقني ، ويسر لي من معايشة هذه المعاني العظيمة طيلة زمن البحث ، وأحمده سبحانه وتعالى على ما بلغني إياه من إتمامه وإخراجه بهذه الصورة والتي حرصت أن تكون سهلة التناول نافعة للعامة والخاصة إسهاماً في تلبية الحاجة الملحة النابعة من الفطرة في معرفته جل جلاله حق المعرفة وعبادته حق العبادة. وأنى لجهد العبد الضعيف أن يكفي لمثل هذه المهمة العظيمة التي ما خلق الجن والإنس إلا لتحقيقها كما قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولكنه جهد المقل الذي أسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يباركه ويقبله عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعلني أول المنتفعين به .

وأسأله بكرمه وعفوه وغفرانه أن يعفو عني إن زل بي قلم عن الحق أو شطت بي فكرة عن الصواب ، إنه سميع قريب مجيب .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .





قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

[أ]

٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري، تحقيق رضا معطي ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

٣ - الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، طبعة المشهد الحسيني ، القاهرة.

٤- اجتماع الجيوش الإسلامية ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : عواد عبد الله المعتق ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥- أحكام القرآن ، أبوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق : علي محمد البجاوي. دار المعرفة ، بيروت . ١٤١٣هـ -١٩٩٣م .

٦- إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار الكتب .

٧- أربع رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مطبوعة ضمن مجموعة التوحيد النجدية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة، ١٣٧٥هـ

٨- إرشاد الطالب ، سليمان بن سحمان ، مطبعة المنار ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ .

٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود محمد العمادي ، دار الفكر ، بيروت، لبنان ، ١٣٤٧هـ .

١٠- أساس البلاغة ، محمود الزمخشري ، مطبعة دار الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م

١١- أسباب نزول القرآن ، أبي الحسن علي بن الواحدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

١٢- أسرار المعاني في أسماء الله الحسنى ، محمود السيد حسن ، المكتب الجامعي الحديث .

١٣- أسماء الله الحسنى ، عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

١٤- أسماء الله الحسنى ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق: يوسف علي بديوي ، أيمن عبد الرزاق الشوا ، دار ابن كثير ،

دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٥- أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم والحديث الصحيح ، زين محمد شحاته ، دار خضر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .

١٦- أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

١٧- الأسماء والصفات ، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الأولى .

١٨- أضواء البيان ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت .

١٩- الاعتصام ، إبراهيم بن موسى الشاطبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٢٠- الأعلام ، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٩م

٢١- أعمال القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع : سليمان ابن صالح بن عبد العزيز الغصن ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة

الأولى ، ١٤١٦ هـ .

٢٢- إغاثة الهفان في مصايد الشيطان ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد عفيفي ، دار الخاني ، الرياض .

٢٣- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، أبوالعباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مطابع المجد التجارية .

٢٤- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ، والرد على الطوائف الضالة فيه ، علي بن نفيع العلياني ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

٢٥- الإيمان والحياة ، يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثامنة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

[ب]

٢٦- البحر المحيط ، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .

٢٧- بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ضبط وتخريج : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٢٨- البداية والنهاية ، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، مطبعة

كرد ستان ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٨هـ .

٢٩- بيان تلبيس الجهمية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ .

[ت]

٣٠- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد الزبيدي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٣١- تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل الجوهري ، تحقيق : أحمد عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٣٢- تاريخ حكماء الإسلام ، ظهير الدين البيهقي ، عناية : محمد كرد علي ، من مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٤٠٩هـ.

٣٣- التبيان في أقسام القرآن ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد شريف سكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .

٣٤- تجريد التوحيد المفيد ، أحمد بن علي المقريزي الشافعي، تحقيق: علي بن محمد العمران .

٣٥- التحرير والتنوير ، محمد الطاهرابن عاشور ، الدار التونسية للنشر .

٣٦- تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام ، عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ، جمع : محمد الشايع ، دار الفائزين، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م .

٣٧- التعريفات ، علي الجرجاني ، مكتبة لبنان ، بيروت .

٣٨- تفسير أسماء الله الحسنى ، أبي اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

٣٩- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تصحيح : خليل الميس، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية .

٤٠- التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٤١- التفكير الفلسفي في الإسلام ، عبد الحليم محمود ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م

٤٢- تقريب التدمرية ، محمد بن صالح العثيمين ، تخريج : سيد الحليمي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٢ م .

٤٣- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ، عبد الرحمن بن صالح السعدي .

٤٤- تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ، محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق : محمود مهدي الاستانبولي. محمد عيد عباسي ، دار ابن القيم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٥- توحيد الخلاق ، عبد المجيد عزيز الزنداني ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

٤٦- التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، محمد بن عبد الوهاب، تصحيح ومراجعة : أحمد شاكر عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٤٧- التوحيد مع إخلاص العمل والوجه لله عز وجل ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد السيد الجليند ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧ م .

٤٨- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تعليق : محمد خليل هراس، دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨م .

٤٩- التوحيد ومعرفة أسماء الله (وصفاته على الاتفاق والتفرد ، أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي بن منده ، تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٥٠- توضيح الكافية الشافية ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ، جزء العقيدة الإسلامية ، مركز صالح بن صالح الثقافي ، عنيزة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٥١- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن ابراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٥٢- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي، جزء العقيدة الإسلامية ، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٥٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، تخريج : عرفان عبد القادر حسونة العشا ، دار الفكر ، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٥٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مراجعة : علاء السعيد ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

[ج]

٥٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م .

٥٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

٥٧- جامع بيان العلم ، ابن عبد البر ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة.

٥٨- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م .

٥٩- الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : أبي حذيفة عبيدالله بن عالية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

[ح]

٦٠– حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، الطبعة الرابعة ، ١٤١٠هـ .

٦١– الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، أبي القاسم اسماعيل بن محمد الأصبهاني ، الجزء الأول بتحقيق : محمد بن ربيع بن هادي المدخلي ، الجزء الثاني بتحقيق : محمد بن محمود أبو رحيم ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ– ١٩٩٠م .

٦٢– حدائق الحقائق ، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق : عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م .

٦٣– الحق الواضح المبين ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ، جزء العقيدة الإسلامية ، مركز صالح بن صالح الثقافي ، عنيزة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.

٦٤– حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[خ]

٦٥- الخشوع في الصلاة ، ابن رجب الحنبلي، تحقيق : عادل أبوالمعاطي ، دار المشرق العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[د]

٦٦- دائرة معارف القرن العشرين ، محمد وجدي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ،١٩٧١م.

٦٧- الدر المنثور ، السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت .

٦٨- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضبط وتصحيح : عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٦٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة، مصر .

٧٠- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، جيلان بن خضر العروسي ، مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

٧١- دعوة التوحيد ، محمد خليل هراس ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧ م .

٧٢- دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات ، اختصار الأسماء والصفات للبيهقي ، عبد الله بن محمد الأنصاري ، تحقيق : عماد الدين حيدر ، دار الجنان للطباعة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٧٣- دلائل التوحيد ، محمد جمال الدين القاسمي ، تخريج : خالد العك ، دار النفائس ، دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

[ذ]

٧٤- ذم التأويل ، موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، تحقيق : بدر البدر، الدار السلفية .

٧٥- الذيل على طبقات الحنابلة ، الحافظ ابن رجب ، تصحيح : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ.

[ر]

٧٦- الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، دار القلم ، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

٧٧- الرسالة التدمرية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٧٨- رسالة التوحيد ، محمد عبده ، تحقيق : محمد عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٩٧١ م .

٧٩- رسالة العقائد ، حسن بن أحمد البنا ، مطبوعة ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٨٠- الرسالة القشيرية في علم التصوف ، أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، تحقيق : معروف مصطفى زريق ، علي عبد الحميد أبو الخير ، دار الخير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٨١- رسالة المسترشدين ، أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، دار السلام ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٨٢- الرسل والرسالات ، عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

٨٣- الرعاية لحقوق الله ، أبي عبد الله الحار بن أسد المحاسبي ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .

٨٤- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٨٥- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عصام فارس الحرستاني ، محمد يونس شعيب، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

[ز]

٨٦- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله . دار الفكر ، بيروت .

٨٧- الزهد ، عبد الله بن المبارك ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

[س]

٨٨- سؤال وجواب في أهم المهمات ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي، جزء العقيدة الإسلامية ، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٨٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فهمها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

٩٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض ، ١٤١٥هـ-١٩٨٥م .

٩١- سنن أبي داوود ، للحافظ أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

٩٢- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تعليق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية : بيروت .

٩٣- سنن الترمذي ، المسمى (الجامع الصحيح) ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار عمران ، بيروت .

٩٤- سنن النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت

٩٥- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تخريج وإشراف : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٩٦- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، محمد بن محمد أبو شهبة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .

[ش]

٩٧- شأن الدعاء ، أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٩٨- شجرة المعارف والأحوال ، عزالدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، تحقيق : إياد الطباع دار الفكر المعاصر ، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٦١ هـ- ١٩٩٦م .

٩٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ .

١٠٠- شرح أسماء الله الحسنى ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مطبوع في آخر تيسير الكريم الرحمن.

١٠١- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، مطبعة سفير ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .

١٠٢- شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الدمشقي ، تحقيق : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٠٣- شرح العقيدة الواسطية ، محمد بن صالح العثيمين ،تخريج : سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ .

١٠٤- شرح القصيدة النونية ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م

١٠٥- شرح ثلاثة الأصول ، محمد بن صالح العثيمين ، دار الثريا ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م .

١٠٦- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، عبد الله بن محمد الغنيمان ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ.

١٠٧- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي، شرح : محمد بن صالح العثيمين ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٠٨- شفاء العليل ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

[ص]

١٠٩- صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار بيت الأذكار الدولية ، الرياض ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

١١٠- صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، عناية : أبو صهيب الكرمي ، دار بيت الأذكار الدولية ، الرياض ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

١١١ - صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١١٢- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة ، محمد بن أمان الجامي ، دار الفنون للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

١١٣- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ، علوي بن عبد القادر السقاف ، دار الهجرة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١١٤- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : علي الدخيل الله .

[ض]

١١٥- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم : دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٣٠٨ هـ- ١٩٨٨ م .

[ط]

١١٦- طبقات الحنابلة ، أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان .

١١٧- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م .

١١٨- طريق الوصول إلى العلم المأمول ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، عناية : سمير الماضي ، يوسف البكري ، دار رمادي للنشر ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م .

[ع]

١١٩- العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين ، محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ، دار المجتمع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

١٢٠- العبادة في الإسلام ، يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

١٢١- العبودية ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، دار المدني للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

١٢٢- عبودية الكائنات لرب العالمين ، فريد إسماعيل التوني ، مكتبة الضياء ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

١٢٣- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تصحيح : زكريا علي يوسف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٢٤- العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٢٥- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، محمد أحمد ملكاوي ، دار

ابن تيمية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

١٢٦- العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل والإمام ابن تيمية ، سيد عبد العزيز السيلي ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٥م .

١٢٧- عقيدة الشيخ مجمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، صالح العبود ، الجامعة الإسلامية بالمدينة ، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي .

١٢٨- العقيدة في الله ، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤م .

١٢٩- علاقة صفات الله بذاته ، راجح عبد الحميد الكردي ، دار العدوي ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

١٣٠- علم التوحيد ، عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

[ف]

١٣١- الفتاوى الكبرى ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تقديم : حسنين مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت .

١٣٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع

وترتيب: أحمد الدويش ، دار أولي النهى الطبعة الأولى، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٣٣- فتاوى المرأة المسلمة ، محمد آل الشيخ ، عبد الرحمن السعدي ، وآخرون ، مكتبة دار طبرية، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م .

١٣٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد العزيز بن باز ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

١٣٥- فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان .

١٣٦- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، أنصار السنة المحمدية .

١٣٧- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر .

١٣٨- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، مطبوع ضمن مجموعة التوحيد ، تحقيق: بشير محمد عيون ، مراجعة : عبد القادر الأرناؤوط ، دار البيان ، دمشق ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م .

١٣٩- فضل علم السلف على الخلف ، أبي الفرج زين الدين بن أحمد ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : بشير عيون ، مكتبة دار البيان، دمشق - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

١٤٠- الفقه الإسلامي وأدلته ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

١٤١- الفقه الأكبر ، أبي حنيفة النعمان ، شرح : ملا علي القاري ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر .

١٤٢- الفكر التربوي عند ابن القيم ، حسن بن علي الحجاجي ، دار حافظ للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

١٤٣- الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : بشير محمد عيون ، دار البيان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

١٤٤- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

١٤٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، محمد عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الباز ، مكة المكرمة .

[ق]

١٤٦- قاعدة في المحبة ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

١٤٧- القاموس المحيط ، محمد الفيروز آبادي مؤسسة الحلبي ، القاهرة.

١٤٨- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، مطبوع ضمن مجموعة التوحيد النجدية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ .

١٤٩- القواعد الحسان لتفسير القرآن ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مطبوع في آخر تيسير الكريم الرحمن .

١٥٠- القواعد الطيبات في الأسماء والصفات ، ابن القيم . الشنقيطي . ابن عثيمين ، تعليق : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، أضواء السلف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٥١- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان ، دار الهجرة ، الرياض ، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

١٥٢- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، دار ابن عفان ، الخبر ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

١٥٣- القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح محمد بن صالح العثيمين ، جمع وتخريج : سليمان بن عبد الله أبا الخيل ، خالد بن علي المشيقح ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

[ك]

١٥٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت .

[ل]

١٥٥- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

١٥٦- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، المطبوع مع كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ، تصحيح ومراجعة أحمد شاكر ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

١٥٧- الله يتجلى في عصر العلم ، نخبة من العلماء الأمريكيين ، إشراف : جون كلوفر مونسيما ، ترجمة : الدمرداش سرحان ، تعليق : محمد الفندي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

١٥٨- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، محمد بن أحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي .

١٥٩- لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ، للفخر الرازي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي .

[م]

١٦٠- مجمل اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : زهير سلطان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

١٦١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ .

١٦٢- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين ، جمع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان ، دار الوطن، الرياض ، ١٤١٣هـ .

١٦٣- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع : محمد الشويعر ، دار أولي النهى ، الرياض ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٦٤- المحبة والشوق والأنس والرضا ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ .

١٦٥- مختصر سيرة ابن هشام ، محمد عفيف الزعبي ، دار النفائس، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

١٦٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت : لبنان ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .

١٦٧- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، عثمان جمعة ضميرية ، مكتبة السوادي للتوزيع ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م .

١٦٨- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة

والجماعة ، إبراهيم بن محمد البريكان ، دار السنة ، الخبر ، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة ، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

١٦٩- المستدرك على الصحيحين في الحديث ، الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم ، وفي ذيله تلخيص المستدرك للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الباز ، مكة المكرمة .

١٧٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تعليق : صدقي محمد جميل العطار ، دار الفكر ، الطعة الثانية ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م . وطبعة ثانية ترقيم : محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

١٧١- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ، عبد الرحمن بن زيد الزنيدي ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م .

١٧٢- المصطلحات الأربعة في القرآن ، أبو الأعلى المودودي ، دار التراث العربي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

١٧٣- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد الحكمي ، تعليق : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الدمام . المملكة العربية السعودية ، الطبعة

الثانية ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م .

١٧٤- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، محمد بن خليفة التميمي ، أضواء السلف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

١٧٥- معجم ألفاظ العقيدة ، عامر عبدالله فالح ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م .

١٧٦- المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.

١٧٧- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار المثنى ومكتبة إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٧٨- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ترتيب لفيف من المستشرقين ، مكتبة برايل ، ١٣٣٦هـ .

١٧٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث ، مصر ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

١٨٠- المعجم الوسيط ، ابراهيم أنيس ، عبد الحليم المنتصر وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .

١٨١- معرفة الله عز وجل وطريق الوصول إليه عند ابن تيمية ،

مصطفى حلمي، دار الدعوة ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م .

١٨٢- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير- محمود الفخر الرازي ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٧هـ .

١٨٣- مفاهيم ينبغي أن تصحح ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

١٨٤- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق: حسان عبد المنان الطيبي ، عصام فارس الحرستاني ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

١٨٥- مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م .

١٨٦- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى . أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، عناية : بسام الجابي ، دار الجفان والجابي للطباعة والنشر ، قبرص ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

١٨٧- الملل والنحل ، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، تحقيق : عبد الأمير علي مهنا ، علي حسن فاعور ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م

١٨٨- مناهج الجدل في القرآن الكريم ، زاهر عواض الألمعي ، مطابع الفرزدق التجارية .

١٨٩- المنهاج في شعب الإيمان ، الحسين بن الحسن الحليمي ، تحقيق: حلمي محمد فوده ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ .

١٩٠- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، عثمان بن علي حسن ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

١٩١- موسوعة له الأسماء الحسنى ، أحمد الشرباصي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .

١٩٢- ميزان العمل ، أبي حامد الغزالي ، مكتبة الجندي ، القاهرة .

[ن]

١٩٣- النبوات ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م .

١٩٤- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ، دار الأندلس ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ .

١٩٥- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ، راجح عبد الحميد الكردي مكتبة المؤيد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

١٩٦- النعوت ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد العزيز الشهوان ، مكتبة العبيكان الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

١٩٧- نقض المنطق ، عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية .

١٩٨- النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري ، تحقيق : محمود محمد الطناجي ، طاهر أحمد الزاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م .

١٩٩- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، محمد الحمود النجدي ، مكتبة الإمام الذهبي ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

[و]

٢٠٠- الولاء والبراء في الإسلام ، محمد بن سعيد القحطاني ، دار طيبة ، مكة المكرمة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٣هـ .

❁ ❁ ❁


الفهارس

فهـــرس الآيـــات (*)

(*) مرتبة حسب ورودها في المصحف الشريف.

الآيـــــة	رقمـهـا	رقم الصفحة
(سـورة يوسف)		
﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.	٣٤	٢٠٨
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾.	٤٠	٣٠
﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.	٩٨	٢٠٨، ٣٧٦
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.	١٠٦	٥١
(سـورة الرعد)		
﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.	٢	٢٠٧
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾.	٦	٣٨٤
﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.	٢٨	١٣٨
(سـورة إبراهيم)		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً...﴾.	٢٤	١٥٩

الآيــــــــة	رقمـهـا	رقم الصفحة
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ .	٧٤	٣٤٥
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ .	٩٠	٣١٧
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .	١٠٧	٣٧٥
(سورة الحج)		
﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ .	١٩	٣٤٧
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .	٤٠	٣٢٨
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .	٦٥	٣٧٧
(سورة المؤمنون)		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴾ .	١، ٢	٣٥١
﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ .	٩١	٢١٤
(سورة النور)		
﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ .	١٠	٣٨٧

❁ ❁ ❁



فهـــرس الأحاديث

طرف الحديث | رقم الصفحة

طـــرف الحـــديـــث | رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة
النشور	٣٠٢
○ خلقت عبادي حنفاء	١٩٦
○ خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم	٨٩
○ الدعاء هو العبادة	١٧٠، ٤٠٢
○ الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم	٥٨
○ رب اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري كله	٣٥٥
○ ربنا لك الحمد ،ملء السموات وملء الأرض	٢٧٩
○ سألت عن الركعتين بعد العصر	٣٠٥
○ سبحان الله رضى نفسه	٢٢٩
○ شيبتني هود	٢٩٤
○ العز إزاره ، والكبرياء رداؤه	٢٧٦
○ فإذا عرفوا الله	١٤٧، ١٦٠
○ فأقع ساجداً فأحمد ربي بمحامد	٢٣٣
○ القصد القصد تبلغوا	٧٤
○ قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله	

طـــرف الحــــديــث	رقم الصفحة

طـــرف الحـــديـــث	رقم الصفحة

طــرف الحـــديــث | رقم الصفحة

❁ ❁ ❁



فهرس الأسماء الحسنى

الاســـــم	الصـــــفحة
السِتِّير	٢٢٢
السلام	٢٨٢، ٢٨٥
السميع	٢١٥، ٢٣٩، ٣٣٩، ٣٥٣، ٣٩٠
السيد	٩، ٢٦٧، ٢٨٠، ٣٨٥
الشكور	٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩١، ٣٩٣
الشهيد	٣٤٢، ٣٤٣
الصمد	٩، ١١٣، ١٢٥، ٢١٦، ٢٣٧، ٢٦٧، ٢٨٠
الطيب	٢٢٢
الظاهر	٢٣٠، ٢٨٢
العدل	٧٣، ٢٧١
العزيز	٢٧١، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٨٥
العظيم	٢٢٩، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧
العفو	٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤
العلي	٢٨٢
العليم	١٦٥، ٢٧٨، ٣٥٣، ٣٨١
الغفار	٣٣٢، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٤
الغفور	٧٦، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٣
الغني	١٤٨، ٢٧٩، ٣٨٢

الاسم	الصفحة

❁ ❁ ❁

فهرس الصفات العلا (*)

(*) لم أدرج في هذا الفهرس كثيراً من الصفات التي وردت بصيغة العَلَمية، إذ إنها وردت في فهرسة الأسماء.

الصـــــفـــة	الصـــــفـــحـة

الصفة	الصفحة

❁ ❁ ❁

فهرس العبادات

❁ ❁ ❁

فهـرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الفصل الثاني

معرفة الله بأسمائه وصفاته

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثالث

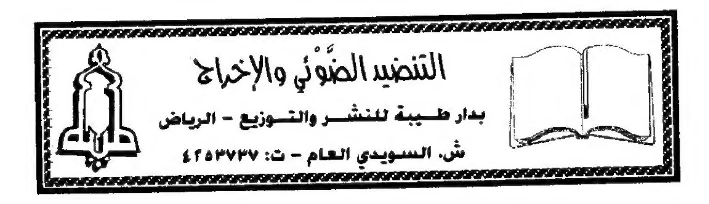
أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق العبودية

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــــوع **الصفحة**

☆☆ ☆ ☆☆


التنضيد الضَّوْئي والإخراج
بدار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض
ش. السويدي العام - ت: ٤٢٥٣٧٣٧





